المائة المنيفة

مما جاء في القلب من

الأحاديث الشريفة

جمعها وعلَّق عليها

د. زكريا شعبان الكبيسي

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلامُ على رسوله الأمين، سيِّدنا وحبيبنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه ومَنْ سار على نَهجه واتَّبع سنَّته إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ: فلا يخفى على كلِّ ذي لبٍّ ما للقلب مِنْ أهميَّة في صحَّة الجسد وسقْمه مِنَ النَّاحية الطبيَّة، لذلك نرى العُقلاءَ مِنَ النَّاس يحرصُون حِرصًا عظيمًا على صحَّةِ قلوبهم، فيراجعونَ الأطباءَ عند اضطرابِه، أوْ عند شعورِهم بِسْقمه، ونرى الأطباءَ ينصحونَ بترك هذا الطَّعامِ وذاك، وبتركِ هذا الشَّراب وذاك؛ حِفَاظًا على صحَّة القلب من السَّقْم، أو لدفعه عنه؛ لأنَّ في صحَّته صحَّة الجسد كلِّه، وفي ضعفه ضَعف الجسدِ كلِّه.

وإذا كان هذا حال القلب بالنسبةِ للأعضاء مِنَ النَّاحية الطبيَّة، فهو أزيد مِنْ ذلك في الأمور التَّعبديَّة، والأحوال والأعمال الشَّرعيَّة، فلا عملَ يُقبل حتَّى يكون القلب مصدِّقة، ولله عامله ومخلِصُه.

لذا رتَّبتْ الشَّريعةُ أحكامها بناءً على ما يقررهُ القلبُ؛ لأنَّه موطنُ العقلِ والفكرِ والنيَّة والاختيار؛ فالقلب في الحقيقة هو العالمُ بالله، وهو المتقرِّب إلى الله، وهو العامل لله، وهو السَّاعي إلى اللهِ، وهو محلُّ نظر الله سبحانه وتَعَالى، وإنَّما الجوارحُ كلُّها أتباعٌ وخدمٌ وآلاتٌ له، يستخدمها ويستعملُها استعمال المالك للعبد، واستخدام الرَّاعي للرَّعية، والصَّانع للآلة.

لذا فما أصلح الإنسانُ شيئًا خَيْرًا له من صلاح قَلْبِهِ؛ لأنَّه هو المقبول عندَ الله؛ إذا سَلِمَ مِنْ غير الله، وهو المحجوبُ عن الله؛ إذا صارَ مستغرقًا بغير الله، وهو المطالب، وهو المخاطبُ، وهو المكلَّف، وهو المعاتبُ، وهو الَّذي يُسْعَد بالقربِ مِنَ الله، فيفلَحُ إذا زكَّاه صاحبُه، وهو الَّذي يخيبُ ويشْقَى إذا دنَّسهُ ودسَّاهُ، وهو المطيعُ بالحقيقة لله تَعَالى، وإنَّما الَّذي ينتشرُ على الجوارح مِنَ العباداتِ أنوارُه، وهو العاصي المتمرِّدُ على الله تَعَالى وإنَّما السَّاري إلى الأعْضاءِ مِنَ الفواحشِ آثارُه، وبإظلامه واستنارته تظهرُ محاسنُ الظَّاهر ومساويْه؛ إذْ كلُّ إناءٍ ينضحُ بما فيه، وهو الَّذي إذا

عَرَفه الإنسان فقد عَرَفَ نفسه، وإذا عَرَفَ نفسَه فقدْ عَرَفَ ربَّه[١]، وهو الَّذي إذا جَهِله الإنسان فقدْ جَهِلَ نفسَه، وإذا جَهِلَ نفسَه فقد جَهِلَ ربَّه، ومَنْ جَهِلَ قلبَه فهو بغيرِهِ أجْهَل؛ إذ أكثر الخلق جاهلونَ بِقُلوبِهم وأنفسِهم، وقد حِيْل بينهم وبينَ أنفسِهم؛ فإنَّ اللهَ يحولُ بين المرءِ وقلبِهِ[٢].

وإذا كان الحالُ على ما تقدَّم ذكرُه، فإنَّا نجد القلب قد ذُكِرَ في عَشَرات الأحادِيثِ النَّبويَّة، مبيِّنةً أنواعَه وأحوالَه وأعمالَه، وصحتَه وسقمه، وأدْوَائَه ودوائَه، وأثرَه على الجوارح صَلاحًا وفسَادًا، وما يطرأ عليه، فوقعَ في نَفْسي أنْ أجمعَ الأحاديثَ الَّتي تُعنى بالتَّعريف بالقلب، وشرحِها والتَّعليق عليها في موطنٍ واحدٍ؛ ليعمَّ النَّفعُ، بالوقوف على معرفة حقوقِ القلبِ الَّتي ينبغي أنْ يعرفها صاحبُه، وكذلك معرفة أنواع القلوبِ وأحوالِها وصفاتِها الحسنةِ وغيْرِها؛ لاجتناب ما يُجْتنب، وعمل ما يُمدح، والخشية والحذر مما حُذِّر منه، والله وحْده الموفِّق والمستعان على هذه المضْغَة.

إلا أنِّي كنت أقدِّم خطوةً وأخِّر أخرى، وبقيَ الحال على ذلكم لأيَّامٍ، ثمَّ شاء اللهُ أنْ ذهبتُ لصلاة الجمعة، وإذا بالخطيبِ يتكلَّمُ عن القلب وأحوالِه، فقلتُ في نفسي: قدْ ثَبَتَ الأمرُ، فشمَّرتُ عن ساعد الجِدِّ، ونشطْتُ فجمعتُ مائةَ حديثٍ مرفوعٍ، ذُكِرَ فيها القلبُ صراحةً، وعلَّقت عليها بكلام أهل العلم، إذْ عليهم المعوَّل، ولولاهُم لما رُحْنَا ولا جِئْنا، وقد سمَّيْتُها: «**المِائَةُ المُنِيْفَةُ ممَّا جَاءَ فِي القَلبِ مِنَ الأحَادِيثِ الشَّرِيْفَةِ**».

وكانتْ دراسَتِي عَلَى ما يأتي:

١. جمعُ مائة حديثٍ مرفوعٍ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، ولم اشترط الصِّحة فيها.

٢. قسَّمت الأحاديثَ على سبعةِ فصولٍ، وهي كما يأتي:

---

(١) قال مولانا الشَّيخ عبَّاس الحسني في كتابه ميزان الاعتدال-المحبوبات-٧٧معلِّقًا على هذه العبارة: «أي مَنْ عَرَفَ نفسه بالعبوديَّة عرف ربَّه بالرُّبوبية، وَمَنْ عَرَفَ نفسه بالفناء عَرَفَ ربَّه بالبقاء، وَمَنْ عَرَفَ نفسه بالجفاء والخطأ، عَرَفَ ربَّ بالوفاء والعطاء، وَمَنْ عَرَفَ نفسه بالافتقار قام لله على قدم الاضطرار، وَمَنْ عَرَفَ نفسه لمولاه، قلَّت حوائجه إلى مَنْ سواه».

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين؛ للغزالي٣/٢، وله فصلٌ بديعٌ في كتابه الإحياء، شرح فيه عجائب القلب، فليراجع.

الفصل الأول: التَّعريف بالقلب.

الفصل الثَّاني: قلب النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وبعض ما ورد في أحواله.

الفصل الثالث: القلب وتوحيد الله والإخلاص له سبحانه وتَعَالى.

الفصل الرابع: القلب والإيمان والتَّقوى.

الفصل الخامس: في الأدعية والأذكار.

الفصل السادس: آفات القلب وأدوائه.

الفصل السابع: الفضائلُ والرَّقائق والأدوية.

٣. لم ألتزم في كتابي هذا الحديث الصحيح كما سبق ذكره، فخرَّجت الصَّحيح وغيره، مع بَيان الحكم على الأحاديثِ، وما كان في الصَّحيحين فإنِّي اكتفيت بالإحالة عليهما، ولم أذهب خارج الكتب السِّتة والتِّسعة إلا نَادرًا؛ ولم أتوسَّع في التَّخريج؛ مشيًا مع موضوع الكتاب، ولم أطبِّق الصِّناعة الحديثيَّة المحضَة؛ مشيًا مع موضوع الكتاب.

٤. شرحتُ الأحاديث وبيَّنت غريبها وما يتعلَّق بها، وقدْ ذكرتُ الإحالات كلَّها، وأستغفر الله مِنْ إحالة نسيتُها، وقد اقتصرتُ على شرح ما يخصُّ القلب فقط؛ حتى لا يطول الكتاب.

٥. ولتتمَّ الفائدة قدَّمت بمقدِّمة في التَّعريف بالقلبِ، ثمَّ الفرق بينَه وبينَ الفؤادِ، وذكرتُ الآيات الَّتي ذُكرت فيها القلوب، وقسَّمتها بحسب موضوعاتِها، وعرَّفت ببعض ما يحتاج إلى تعريفٍ أو بيانٍ، ولولا خَشْيَة الطُّول لنقلتُ دقائق التفسير؛ للآيات. ثمَّ كانت الخاتمة.

وأخيرًا أقول: هذا كتابي: «**المائةُ المُنِيْفَةُ ممَّا جاء فِيْ القلبِ مِنَ الأَحَادِيْثِ الشَّريفةِ**»؛ أُقدِّمه لمحبِّ السنَّة النبويَّة، لكم غُنْمُه وعليَّ غُرْمُه، وحسبي أنِّي بذلتُ وسعي ولا أدَّعي الكمال، فإنْ أصبتُ فَمِنَ الله وحْدَهُ، وإنْ أخطأتُ فَمِنْ نفسي ومن الشَّيطان، مع دعائي لِمَنْ أتحفني بشيء مِنَ الملحوظات؛ حتَّى أتلافاها وأتداركها.

وصلَّى الله على جُملة الجمال، وكلِّ الكمال، واسطة العِقد، وزينة الدِّهر، على مَنْ يزيدُ على الأنبياء زيادة الشَّمس على البدر، والبحر على القَطْر، على أصدرهم وبدرهم، وعليه يدور أمرهم، على قُطب فلكهم، وعينِ كتيبتِهم، واسطة قلادتهم، ونقش فصِّهم، وبيت قصيدتِهم، وحاتمهم وخاتمهم، على من تحرَّكت لتعظيمه السَّواكن، فحنَّ إليه الجذعُ، وسبَّح بين يديه الحصى، وتزلزل الجبل لما صعد عليه، وكلَّمه الذئب، كل كنَّى عن شوقه بلغاته.

صلَّى الله عليه كلَّما ذكره الذَّاكرونَ، وغَفَل عن ذكره الغافلونَ، وصلَّى عليه في الأولين والآخرين، أفضل وأكثر وأزكى ما صلَّى على أحدٍ من خلقه، وزكَّانا والقارئين بالصَّلاة عليه أفضل ما زكَّى أحدًا من أمته بصلاته عليه، وجزاه الله عنَّا أفضل ما جزى مرسلًا عمَّن أرسل إليه، فلم تمس بنا نعمة ظهرت ولا بطنت، نِلْنَا بها حظًا في دين ودنيا، أو دفع بها عنَّا مكروه فيهما أو في واحدٍ منهما إلا ونبيُّا مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم سببها، القائد إلى خيرها، والهادي إلى رشدها.

وكتبه:

الدكتور زكريَّا شعبان الكبيسي

٢٠ ربيع الأول، لعام ١٤٤٠، من هجرة النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم.

التعريف بالقلب

• **القلب**: القافُ واللَّامُ والباءُ (قلب) أصلانِ صحيحانِ، أحدهما يدُلُّ على خالص شيءٍ وشريفه، والآخر على ردِّ شيءٍ من جهةٍ إلى جهةٍ.

فالأَوَّلُ القلبُ: قلبُ الإِنسان وغيره، سُمِّي بذلك؛ لأَنَّهُ أَخلصُ شيءٍ فيه وأَرفعُهُ. وخالصُ كلِّ شيءٍ وأَشرفُهُ قَلْبُهُ[١].

والقَلبُ: هو مضغةٌ، معلَّقةٌ بالنِّياط في الصَّدر.

وقد عرَّفه حجُّة الإِسلام الغزالي(٥٥٥هـ): (لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين:

أحدهما: اللَّحم الصنوبريُّ الشَّكل، المودع في الجانب الأيسر مِنَ الصَّدر، وهو لحمٌ مخصوصٌ، وفي باطنه تجويفٌ، وفي ذلك التجويف دمٌ أسودُ، هو منبعُ الرُّوح ومعدنه،... .

والمعنى الثاني: هو لطيفةٌ ربَّانية روحانيَّة، لها بهذا القلب الجِسْمانيِّ تعلُّق، وتلك اللطيفة هي حقيقةُ الإنسان، وهو المدرك العالمُ العارف من الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب، والمعاتب والمطالب، ولها علاقة مع القلب الجسمانيِّ، وقد تحيَّرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته؛ فإنَّ تعلُّقه به يضاهي تعلُّق الأعراض بالأجسام، والأوصاف بالموصوفات، أو تعلُّق المستعمل للآلة بالآلة، أو تعلُّق المتمكن بالمكان)[٢].

سميًا القلبُ قلبًا؛ لتقلبه بالخواطر[٣]، قَالَ الشَّاعر:

ما سُمِّي القَلْبُ إلا من تقلُّبِه ... والرأي يُصرف والإنسان أطوار

يُقال: جئتُك بهذا الأمر قَلْبًا، أي محضًا لا يشُوبه شيء، ومنه قولهم: كان قُرشيًا قَلبًا، أي: محضًا.

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة؛ لابن فارس٥/١٧.

(٢) الإحياء٣/٣.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي١/١٨٨.

وقُلُوبُ الشَّجر: ما رخص فكان رخصًا من عروقه الَّتي تقودُه، ومن أجوافه، وقَلْبُ النَّخلة: شحمتها، وهي شَّطبة بيضاءٌ تخرج في وسطها، كأنَّها قُلْبُ فضة، وهي الجُمَّار، رخص وسُمِّي قَلْبًا؛ لبياضه. والقُلْبُ من الأسورة: ما كان قلدًا واحدًا، ولكلِ شيءٍ قَلْبٌ.

والقَلْبُ: تحويلُك الشيء عن وجْهِهِ، وكلام مَقلُوبٌ، وقَلَبْتهُ فانقَلَبَ، وقَلَّبْتُه فَتَقلَّب. وقَلَبْتُ فلانًا عن وجهه، أي: صرفتُه. والمنْقَلَبُ: مصيرك إلى الآخرة[١]، والله نسأل أن يُحسن منقلبنا إليه.

ويطلقُ القلب على العَقْل، قَالَ تَعَالى: {**إِنَّ فِي ذَالِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**}[٢]. قَالَ أبو زكريَّا الفرَّاء(٢٠٧هـ) -رحمه الله- : «يقول: لمنْ كان له عقلٌ. قال: هذا جائزٌ في العربية، أنْ تقول: مالكَ قلبٌ، وما قَلبك معكَ، تقول: ما عقلك معك، فأين ذهبَ قَلبك، أي: أين ذهبَ عقلُك»[٣].

● **الفرقُ بين القلبِ والفؤادِ**: النَّاظر في كتب اللغة والتفسير والحديث والغريب يجد أنَّ الأعم الأغلب منهم، لم يُفرِّقوا بين القلبِ والفُؤاد، يُعرِّفون هذا بهذا، وهذا وبهذا، ومنهم من فرَّق بينهما، وسنجمل القول في ذلك:

قيل: القلبُ أخصُّ من الفؤاد في الاسْتِعمال، كما جاء في الحديث المرفوعِ: «**أَتَاكُم أَهلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أفئدةً، وَأَلْيَنُ أَفْئِدَةً**»[٤]، فجعل الرِّقة؛ للفؤادِ، واللينَ؛ للقلبِ، ولذلك قالوا: أصبت حبَّةَ قَلْبِه، وسويداءَ قَلْبِه. وقالوا: إنَّما غاير بينهما؛ لأنَّ الفؤاد غشاء القلب، فإذا رقَّ نفذ

---

(١) ينظر: العين؛ للخليل٥/١٧٢.

(٢) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٣) تهذيب اللغة؛ لأبي منصور٩/١٤٣.

(٤) سيأتي تخريجه مع شرحه وبيانه في هذا الكتاب إن شاء الله تَعَالى، وهو برقم: (٧٦)، فهو من جملة الأحاديث المعنيَّة بالدِّراسة.

القول، وخَلُص إلى ما وراءِه، وإذا غَلِظ بَعُد وصوله إلى الدَّاخل، وإذا كان القلبُ لينًا عِلِقَ كلُّ ما يصادُفه[١]، وهذا تأصيلٌ جيدٌ جدًا.

وَقَدْ عرَّف الخليل بنُ أحمد الفراهيديُّ(١٧٠هـ) –رحمه الله– القلب بأنَّه: (مضغةٌ مِنَ الفؤاد، مُعلَّقةً بالنِّياط)[٢]، فجعلَ القلبَ جُزءًا مِنَ الفؤادِ، لا الفؤادَ نفسه.

وقيل: القلوبُ والأفئدةُ قَرِيْبانِ مِنَ السَّواءِ، وكُرِّر ذِكرهُما في الحديثِ؛ لاختلافِ لَفَظَيْهما تأكيدًا. وقَالَ بعضهم: سُمِّي القلب قلبًا لتقلُّبه، وسُمِّي فؤادًا؛ لتحرُّقه على من يَشْفق عليه.

قَالَ الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديُّ(١٧٠هـ)رحمه الله: (وسُمِّيَ الفُؤاد لتفَوُّده، أي: لتوقُّده. وفُئِدَ الرجلُ فهو مَفؤود أي أصابَه داء في فؤاده، وافتأَدَ القومُ: أَوقدوا نارًا ولَهُوَجُوا عليها لَحْمًا. وفَأَدْتُ النّارَ: سَجَرت خشبها، والمفأَدُ: المسجَرُ، والمِفتأَدُ: موضع النار في الأرض. وفأَدْتُ لحمًا: شَوَيتُه)[٣].

قَالَ أبو منصُور(٣٧٠هـ) رحمه الله: (ورأيتُ مِنَ العرب من يُسمِّي لحمة القلب بشحمِهَا وحجابها قلبًا، ورأيتُ بعضَهم يُسمُّونه فؤادًا، ولا أنكر أنْ يكون القلبُ هي العلقةُ السَّوداءُ في جَوْفِه، والله أعلم؛ لأنَّ قلبَ كلِّ شيءٍ لبُّهُ وَخَالِصُه)[٤].

وقَالَ العسكريُّ(٣٩٥هـ) رحمه الله: (لم يُفرِّق بينهما أهلُ اللغة، بل عرَّفوا كُلاً منهما بالآخر، وقَالَ بعضُ أصحابِنَا مِنْ أهلِ الحديث، الأفئدةُ تُوصف بالرِّقة، والقلوبُ باللين؛ لأنَّ الفؤاد: غِشَاءُ القلبِ، إذا رَقَّ نفذ القولُ فيهِ وخَلُص إلى ما وراءه، وإذا غَلُظ تعذَّر وصوله إلى داخلِه)[٥].

---

(١) ينظر: فتح الباري؛ لابن حجر٨/١٠٠.

(٢) العين؛ للخليل٥/١٧٠.

(٣) العين؛ للخليل٨/٨٠.

(٤) تذهيب اللغة٩/١٤٣.

(٥) معجم الفروق اللغوية١/٤٣٣. والذي أصَّل هذا الكلام هو الخطابي رحمه الله تَعَالى، وهو المقصود هنا، والله أعلم.

وقيل: الفؤادُ وعاءُ القلب، وقيلَ: داخله، وقيل: وسَطِه[١]، وقيلَ: غِشاؤه، والقلبُ: حبَّتُه وسويداؤه كما تقدَّم، وَقيل: إنَّما يُقَالَ للقلبِ: الفؤادُ، إذا اعتُبر فيه معنى التَّفؤُّد، أي التَّوقُّد[٢].

قَالَ الفخر الرازيُّ(٦٠٦هـ) رحمه الله: «وَمِنَ النَّاس من فرَّق بين القلبِ والفؤادِ، فقالَ: القلبُ هو العلقةُ السَّوداءُ في جوف الفؤادِ دون ما يكتنفها مِنَ الَّلحم والشَّحم، ومجموع ذلك هو الفؤاد، ومنهم مَنْ قال: القلب والفؤاد لفظان مُترادفان، وكيف كان فيجب أنْ يُعلم أنَّ من جملة العضو المسَمَّى قلبًا وفؤادًا موضعًا هو الموضع في الحقيقة للعقل والاختيار، وأنَّ معظم جُرم هذا العضو مسخَّر لذلك الموضع، كما أنَّ سائر الأعضاءِ مسخَّرة للقلب، فإنَّ العضو قد تزيد أجزاؤه من غير ازدياد المعاني المنسوبةِ إليه، أعني: العقل، والفرح، والحزن، وقد ينقص من غير نقصانٍ في تلك المعاني، فيشبه أنْ يكون اسم القلب اسمًا للأجزاء الَّتي تحلُّ فيها هذه المعاني بالحقيقة، واسم الفؤاد يكون اسمًا لمجموع العضو، فهذا هو الكلام في هذا الباب، والله الموفِّق للصواب»[٣].

ولا شكَّ أنَّ لكل منهُما دِلالته في التَّعبير وإن اتحدا في وصف العضوِ؛ فالقلبُ مِنَ التَّقلُّب، والفؤادُ مِنَ التَّفؤد، وهو التَّوقُّد والتَّحرُّق، فمدلول الفؤاد غير مدلولِ القلبِ، وإن اشتركا في تسمية العضو نفسِهِ، وبدليل أنَّ الله غاير بينهما في آيةٍ واحدةٍ، قَالَ الله تَعَالى: {**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**}[٤].

ففي حالة الفراغ سمَّاه الله فؤادًا؛ لشدَّة تحرُّقها على موسى عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام، وفي حالة الرَّبط وهو التثبيت والتقوية سمَّاه الله قلبًا؛ لثباته وسكونه.

ولا يمنع من ذلك أن يكون لهما ما للإسلام والإيمان مِنْ معنى؛ إذا ذكرا معًا اختلفا، وإذا افترقا اتحدا، وإن كان لكلٍّ منهما مدلوله اللغوي، والله تَعَالى أعلم.

---

(١) ينظر: لسان العرب؛ لابن منظور٣/٣٢٩.

(٢) ينظر: تاج العروس؛ للزبيدي٨/٤٧٧.

(٣) التفسير الكبير؛ للفخر الرازي٢٤/٥٣٢. وثمة رسالة منسوبة للحكيم الترمذي (٣٢٠هـ)، تحت مسمى: بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، فمن أراد التوسع فليراجعها.

(٤) سورة القصص، الآية: ١٠.

وللشيخ عدنان الغامدي[١] محاولة لا بأس بها في التفريق بين القلب والفؤاد، فراح يُعرِّف الفؤاد بأنَّه: وعاء الحاضر، الَّذي يتلقَّى ما يلج فيه من الحواس، وهو مناط العواطف والشُّعور، من خوفٍ، وحبٍّ، ورجاءٍ، وبغضٍ، وحقدٍ، ورضى، وشهوةٍ، وسعادةٍ، وحزنٍ، ونحو ذلك من المشاعر البشريَّة، وهو متعلِّق بكل فعلٍ قبيحٍ إذا استعلى على العقل وتقدَّم عليه.

والقلب بأنَّه: جماع العقل والفؤاد وقائدهما، يرجِّح ويتَّبع العقل عندما يعتلي على الشَّهوة (الفؤاد)، أو العكس، وهو مناط الإدراك، ومنشأ الفعل والقرار[٢].

وقد جاء ذكر الفؤاد واشتقاقاته ست عشرة مرَّة في القرآن الكريم، في خمس عشرة آية، وهي:

١. قَالَ اللهُ تَعَالى: {**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**}[٣].

٢. قَالَ اللهُ تَعَالى: {**وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ**}[٤].

٣. قَالَ اللهُ تَعَالى: {**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**}[٥].

٤. قَالَ اللهُ تَعَالى: {**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**}[٦].

---

(١) تحت عنوان: العقل والقلب والفؤاد في ضوء المفهوم القرآني، وهو بحث منشور على ملتقى أهل التفسير.

(٢) ومن أراد الزيادة فليرجع إلى البحث سالف الذكر.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١١٣.

(٥) سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

٥. قَالَ الله تَعَالى: {**مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**}(١).

٦. قَالَ الله تَعَالى: {**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**}(٢).

٧. قَالَ الله تَعَالى: {**لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**}(٣).

٨. قَالَ الله تَعَالى: {**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**}(٤).

٩. قَالَ الله تَعَالى: {**وَهُوَ الَّذي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**}(٥).

١٠. قَالَ الله تَعَالى: {**وَقَالَ الَّذينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**}(٦).

١١. قَالَ الله تَعَالى: {**ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**}(٧).

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٤) سورة القصص، الآية: ١٠.

(٥) سورة (المؤمنون)، الآية: ٧٨.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٧) سورة السجدة، الآية: ٩.

١٢. قَالَ الله تَعَالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُ هُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}(١).

١٣. قَالَ الله تَعَالى: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}(٢).

١٤. قَالَ الله تَعَالى: {قُلْ هُوَ الَّذي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ}(٣).

١٥. قَالَ الله تَعَالى: {نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ}(٤).

في ضوء ما تقدَّم مِنَ الآيات تبيَّن أنَّ الله سمَّى القلب فؤادًا في حالات: العاطفةِ الشَّديدة، أوِ الخوفِ والحزنِ، كما هو حال أمِّ مُوسى، وسمَّاه فؤادًا في حالةِ تعلُّقه بالحواسِّ، وتفاعله مع ما يَرى، كما عِندَ العروجِ، وقد نَسَبَ الرُّؤية إليه، وكذلك سمَّاه فُؤادًا في حالةِ التَّثبيت؛ لِيسلمَ مِنَ الحُزنِ أوِ الشَّكِّ ونحو ذلك، كما في قوله: {لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ}، وكذلك سمَّاه فؤادًا عند جمعه مع السَّمع والبصر؛ لأنَّه موطن الحواس مِنَ حزنٍ، وفرحٍ، وهمٍ، وشهوةٍ، ونحو ذلك، وكذا سمَّاه فؤادًا في دُعاءِ إبراهيمَ؛ لغلبة شفقتِه على أهلِه، فدعا أنْ يُقيِّض اللهُ لهم أُنَاسًا يقصدونهم، ويعطفونَ عليهِم، وكذا سمَّاه فؤادًا عندَ الجزعِ والهلعِ.

ولم يشترك القلب والفؤاد صراحة إلا في معنيين اثنين، وهما: (الإصغاء)، (والتَّقليب) كما سيأتي عند الكلام عن آيات القلب، وغير الصراحة في: (الخوف)، بينما استعمل لفظ القلبِ مَعَ المعاني التَّالية: (الإحالة بين المرءِ وقلْبِه، وَالإزاغَة، وَالفَزع، والوَجَف، والتَّصدع، والشِّدة، والسَّكينة، والتَّمحيص، ونسبة العمل إليه، وأنَّه صاحب القرار، والإيمان، والكفر، والحياة، والموْت، والسَّلامة،

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢٦.

(٢) سورة النجم، الآية: ١١.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الهمزة، الآية: ٦، و ٧.

والإنابة، والخشيْة، والتَّقوى، والوَجَل، والطَّمأنية، والرَّبط، والامتحَان، والألفة، والرَّحمة، والرَّأفة، والهداية، والإخْبَات، واللِّين، والطَّبع، والخَتْم، والأكنَّة، والمرض، وحميَّة الجاهليَّة، والرَّان، والغُلْف، والقسوة، والرُّعب، والزَّيغ، والفقه، والعَقْل، والشَّك، والصَّرف، والإجْرَام، والغَفْلة، واللَّهو، والاشمئزاز، والمعرفة، والنَّكارة، والحَسْرة، والغِلظَة، والإثْم، والسُّوء، والنِّفاق، والغَمْرة، والشَّتات، والغيظ)، ونحو ذلك من المعاني، ومجملها يرجع إلى الإيمان والكفر، والمرض والنفاق، والمدح والذم، بخلاف الفؤاد، فمجمل ما يرجع إليه الشعور والحواس.

وعلى هذا يكون القلبُ أَخصُّ مِنَ الفُؤاد، وهو المقصودُ والمأمورُ والمكلَّف، وأنَّ الفؤاد موطنُ العواطفِ والأَحاسيس والمشاعر الَّتي تُحمل إلى القلبِ، من شهوةٍ، وغضبٍ، وحسدٍ، وكِبرٍ، وبغضٍ، وحقدٍ، وَيَصْدُق على ذلك أنْ يكونَ الفؤادُ هو حجابُ القلب، الجامع للمَشَاعرِ، ولا عبرة بتلك المشاعر حتى يُصدِّقُها القلبُ ويخضعُ لها، فالقلبُ هو صاحبُ القرارِ الأخيْر، لذلك كان هو محلُّ نَظَرِ الله سبحانه وتعالى، وهو المطالب والمخاطب والمعاتب والمكلَّف، والله أعلم[١].

• **القلبُ عند أهل الطب:** يُعرِّف أهلُ الطبِّ القلبَ بأنَّه: عُضْوٌ عضليٌّ عند البشرِ والحيوانات الأخرى، يضخُّ الدَّم عبر الأوعيةِ الدَّموية في الدَّورة الدَّموية، ويزوِّد الجسم بالدَّم الحامل للأوكسجين والمغذِّيات، كما يساعدُ في إزالةِ مخلفات عمليات الاستقلاب.

ويقعُ القلبُ عِندَ البشرِ بين الرِّئتين، في الحجرة الوِسْطَى للصَّدر، ويدقُّ القلب (١٠٠،٠٠٠) مرَّة تقريبًا في اليوم، يرسل (٢،٠٠٠) جالون، أي ما يقارب(٧٥٧٠) لتر في اليوم الواحدِ، نحو(٥) لترات في الدَّقيقة، فسبحان الخلَّاق العظيم، الذي أحسنَ كلَّ شيءٍ خلقه!

مسافة الأوعية الدَّموية الَّتي يقطعها إذا وصلت مع بعضٍ تصل إلى (٦٠،٠٠٠) ميلٍ، يبحث عن كلِّ عضو وخلية؛ ليوصلها بالأوكسجين والغذاء، يدقُّ القلب من (٦٠) إلى (١٠٠) مرَّة في الدَّقيقة الواحدة، ويصل إلى (١٥٠) دقَّة عند الأطفالِ حديثي الوِلادَة.

---

(١) وفي ذلك كلام طويل، والوجهات مختلفة، فنكتفي بهذا القدر من أوجه الفرق.

ويتكوَّن قلبُ الإنسان مِنْ جِدار له ثلاث طبقاتٍ، البِطانة، والعضلة القلبية، والتامور، ويحتوي على أربعِ حُجُرات، علويتانِ، وهما الأذينان الأيمن والأيسر، وسفليتان، وهما البطينان الأيمن والأيسر، ويضخُّ القلب الدَّم بإيقاع نظمي، تحددهُ مجموعة خلايا ناظمة للخُطى في العُقدة الجيبية الأذينية، تنتجُ هذه الخلايا تيارًا يُسبب تقلُّص القلب، وينتقلُ هذا التقلُّص إلى العُقدة الأذينيَّة البطينيَّة، وَمِنْ ثمَّ ينتقل عبر الجهاز الموصل للقلب. وفيه أربعُ صمَّامات، الصمَّام الميترالي بين الأذين الأيسر والبطين الأيسر، والصمَّام الأورطي بين البطينِ الأيسرِ والشِّريان الأورطي، والصمَّام ذو ثلاث شرفات بين الأذين الأيمنِ والبطين الأيمنِ، والصمَّام الرِّئوي بين البطين الأيمن والشِّريان الرِّئوي . ويعمل القلبُ على ضخِّ الدَّم إلى كافة أنحاءِ الجسمِ، عَنْ طريق أربعِ دُوراتٍ:

دورةٌ صغرى مِنَ القلبِ إلى الرِّئتين ثمَّ تعودُ إلى القلب محمَّلة بالأوكسجين. ودورةٌ كُبرى تكون مِنَ القلب، حيث يقوم البُطين بضخِّ الدَّم إلى كافةِ أَنحاءِ الجسمِ، بواسطة الشَّريان الأبهري، ثمَّ يعود الدَّم المحمَّل بثاني أُوكسيد الكاربون إلى الجزء الأيمن مِنَ القلب، عن طريق الوريدين الأجوفينِ. والدَّورة البابيَّة، ويقومُ فيها القلبُ بنقل الدَّم مِنَ الرِّئتين إلى الكَبِدِ. والدَّورة القلبيَّة، عملية نقل الدَّم إلى عضلةِ القَلبِ، ومراحل الانقباض والانبساطِ لحجرات القلب[1].

(١) وقد كتب إلينا هذه المعلومات أخونا الشيخ الطبيب الدُّكتور علاء حسن العاني، جزاه الله كلَّ خيرٍ، وبارك الله فيه وفي ذريته، وهو ممَّن انتفعت بهم علمًا وأدبًا.

● **بعض الأخبار الَّتي جاءت عن القلب في القرآن الكريم:**

سأذكرُ الآيات الَّتي ذُكر فيها القلب في القرآن الكريم، موزَّعة مرتَّبة على حسب الموضوعات، وقد اجْتهدت في ترتيبها، مع بيان بعض المعاني الَّتي تحتاج إلى توضيح، وَمِنَ الله التَّوفيق[١]:

- **اللهُ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِه إنْ شاءَ سبحانَه وتَعَالى،** (**يَحُوْلُ**): وَجَاءَ ذِكْرُ ذَلِك في آيةٍ واحدةٍ، ومعناه: الحجز بينهما[٢].

١. قَالَ الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**}[٣].

- **تقلُّب القلوب،** (**تتقلَّب**): وجاءَ ذِكْرُ ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والتَّقلب هنا مِنَ الإيمانِ إلى الكُفر، ومِنَ الطَّاعة إلى المعصيةِ، نسأل الله العفوَ والعافية.

٢. قَالَ الله تَعَالى: {**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**}[٤].

---

(١) وثمة بعض المقالات على الشبكة العنكبوتية، راجعتها واستفدتُ منها، جزى الله كتَّابها خيرًا.

(٢) قَالَ الطَّبري في تفسيره للآية ١٣/٤٧٢: (خبرٌ من الله عزَّ وجل، أنَّه أملك لقلوب عباده منهم، وأنَّه يحول بينهم وبينها إذا شاء، حتى لا يقدر ذو قلبٍ أن يُدرك به شيئًا من إيمانٍ، أو كفرٍ، أو أن يَعِي به شيئًا، أو أنْ يفهم، إلا بإذنه ومشيئته. وذلك أنَّ الحول بين الشَّيءِ والشَّيء، إنَّما هو الحجز بينهما، وإذا حجز جلَّ ثناؤه بين عبد وقلبه في شيءٍ أن يدركه أو يفهمه، لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبَه إدراكَه سبيلٌ).

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٤) سورة النُّور، الآية: ٣٧.

- **بلوغ القلوبُ الحناجرَ**، ﴿**وَبَلَغتْ، لَدَى**﴾: وجاء ذِكْرُ ذلك في آيتين، والحناجر جمع حنجرة، وهي رأس الغَلْصَمَة حيثُ تراهُ ناتئًا مِنْ خارج الحلقِ، وبلغت القلوب الحناجر؛ أي صَعَدَتْ عن مواضعها من الخوف إليها(١)، وهو تعبير مجازيٌّ عن شدَّة الخوف.

١. قَالَ الله تعالى: {**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**}(٢).

٢. قَالَ الله تعالى: {**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**}(٣).

- **فَزَعُ القلبِ**، ﴿**فُزِّع**﴾: وجاء ذكْرُ ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والفزعُ: الذُّعرُ(٤).

١. قَالَ الله تعالى: {**لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**}(٥).

---

(١) ينظر: لسان العرب٤/٢١٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٠.

(٣) سورة غافر، الآية: ١٨.

(٤) ينظر: مختار الصحاح؛ للرازي: ٢٣٩. قَالَ الأزهريُّ أبو منصور في كتابه تهذيب اللغة٢/٨٧: ﴿اتَّفق أهلُ التَّفسير وأهلُ اللغة أنَّ معنى قوله: {**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ**}: كشف الفزع عن قلوبهم، وتأويل الآية أنَّ ملائكة سماء الدُّنيا كان عهدهم قد طال بنزول الوحي من السموات العلا، فلمَّا نزل جبريل بالوحي على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أوَّل ما بعث نبيًّا ظنَّت الملائكة الَّذين في السَّماء الدُّنيا أنَّ جبريل نزل لقيام السَّاعة، ففزعوا له، فلمَّا تقرر عندهم أنَّه نزل لغير ذلك، كشف الفزع عن قلوبهم، فأقبلوا على جبريل ومن معه من الملائكة، وقالوا لهم: ماذا قَالَ ربكم؟ قالوا: قَالَ الله الحقَّ، وهو العلي الكبير. والَّذين فزُعِّ عن قلوبهم ههنا ملائكة السَّماء الدنيا. وقيل: إنَّ ملائكة كل سماء فزعوا لنزول جبريل ومَنْ معه من الملائكة، فقَالَ كل فريق منهم لهم: ماذا قَالَ ربكم؟﴾.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

– **توجَف القلوب يوم القيامة،** (**وَاجِفَةٌ**): وجاء ذكرُ ذلك مرَّةً واحدةً، والوَجَفُ: سرعة السَّيرِ، والواجفة: الخائفةُ أوِ المضطربة؛ لهولِ ما ترى[١].

١. قَالَ الله تعالى: {**قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ**}[٢].

– **تقطُّع القلوب،** (**تَقَطَّع**): وجاء ذكرُ ذلك في آيةٍ واحدةٍ، وتقطَّع: بمعنى تتصدَّع[٣].

١. قَالَ الله تعالى: {**لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**}[٤].

– **الدُّعاء على القلب بالشِّدَّة،** (**واشْدُدْ**): وجاء ذِكُر ذلك في آيةٍ واحدةٍ، وهي مِنَ الشِّدة، والمعنى: اطبع على قُلوبهم[٥].

١. قَالَ الله تعالى: {**وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**}[٦].

– **ما جعل اللهُ لرجلٍ مِنْ قَلْبَيْن في جَوْفِهِ**[٧]: وجاء ذِكْرُ ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والمعنى أنَّ الذَّاتَ الإنسانية واحدةُ التَّركيب العضوي، واحدةٌ في كلِّ إنسان، وما خلق اللهُ لأيِّ أحدٍ قلبين، فليس لأيِّ رجل قلبان في صدره، وإنَّما هو قلبٌ واحدٌ؛ لأنَّ القلبَ محلُّ التَّوجيه والإرادة والعزم،

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة؛ لأبي منصور١١/١٤٥.
(٢) سورة النَّازعات، الآية: ٨.
(٣) ينظر: تفسير الطَّبري١٤/٤٩٥.
(٤) سورة التَّوبة، الآية: ١١٠.
(٥) ينظر: لسان العرب٣/٢٣٤.
(٦) سورة يونس، الآية: ٨٨.
(٧) وهذا من دقائق التعبير القرآني؛ إذا خص الرجل دون المرأة؛ لأنَّ المرأة يكون لها قلبان أثناء الحمل.

فإذا كان الإنسانُ مؤمنًا بالله ورسوله، فلن يكون كافرًا أو منافقًا، أي أنَّه لا يجتمع في قلبٍ واحدٍ اعتقادان، ولا يجتمع اتجاهان متضَادانِ، يأمر أحدهما أو ينهى بنقيض ما يطلبه الآخر[١].

١. قَالَ الله تعالى: {**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**}[٢].

- **تمْحِيْصُ الله للقُلُوبِ**، (**وَلِيُمَحِّصَ**): وجاء ذكر ذلك في آية واحدة، والمحْصُ: خُلُوصُ الشَيء، مَحَصْتُه مَحْصًا: خَلَّصتُه من كلِّ عيب[٣].

١. قَالَ الله تعالى: {**ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**}[٤].

- **علمُ اللهِ محيطٌ بالعلانية وما يكنُّه القلب مِنْ سريرة**، (**يَعْلَم**): وجاء ذكر ذلك أربع آيات:

١. قَالَ الله تعالى: {**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا**}[٥].

---

(١) ينظر: تفسير المنير؛ لوهبة الزحيلي٢١/٢٣٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

(٣) العين؛ للخليل٣/١٢٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

٢. قَالَ الله تَعَالى: {**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}(١).

٣. قَالَ الله تعالى: {**تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا**}(٢).

٤. قَالَ الله تَعَالى: {**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**}(٣).

- **المؤاخذةُ بما** (**كَسَبَتْ**) **القلوب و**(**تعمَّدتْ**): وجاء ذِكْرُ ذلك في آيتين، وكسبتْ: تعمَّدت(٤)، والعمد: القصد، وهو نقيض الخطأ(٥).

١. قَالَ الله تعالى: {**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**}(٦).

٢. قَالَ الله تعالى: {**أدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**}(٧).

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٤) ينظر: تفسير الطَّبري٤/٤٤٩.

(٥) ينظر: العين؛ للخليل٢/١٥١.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٢٥.

(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

- **تشابه قلوبِ الكفَّارِ في الكفر والعِناد،** (**تَشَابَهَتْ**): وجاء ذِكْرُ ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والمعنى: تشابهتْ في الكفر والعناد والتَّكذيب[١].

٢. قَالَ الله تعالى: {**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**}[٢].

● **ذِكْرُ القلوب السَّليمة وبعض صفاتها:**

- أولًا: القلب الحيُّ، (لمنْ كانَ لهُ قلبٌ): وجاء ذِكْرُ ذلك مرَّةً واحدةً، والمعنى: أنَّ الذكرى تنفع لمن كان له قلبٌ حيٌّ يَعْقِلُ ما يسمع مِنَ الأحاديث الَّتي ضَربَ اللهُ بِهَا مَنْ عصاه مِنَ الأمم، والقلب في هذا الموضع: العَقل، وهو مِنْ قولهم: ما لفلان قلبٌ، وما قلبُه معه، أي: ما عَقْلَه معه. وأين ذهب قلبك؟ يعني: أين ذهب عقلُك[٣].

١. قَالَ تعالى: {**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد**}[٤].

- **ثانيًا: القلبُ السَّليم،** (**سليم**): وجاء ذكرُ ذلك في آيتين، والقلب السَّليم: هو السَّالم من الشِّرك والشَّك، الخالص لله تَعَالى[٥].

١. قَالَ الله تعالى: {**إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**}[٦].

٢. قَالَ الله تعالى: {**إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**}[٧].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي٢/٩٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٨.
(٣) ينظر: تفسير الطَّبري٢٢/٣٧٣.
(٤) سورة ق، الآية: ٣٧.
(٥) ينظر: تفسير الطَّبري١٩/٣٦٦.
(٦) سورة الشعراء، الآية: ١٨٩.
(٧) سورة الصَّافات، الآية: ٨٤.

- **ثالثًا: القلب المُنِيْب**، (**مُنِيْب**): وجاء ذِكْرُ ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والمنيبُ: المقبل والرَّاجع، وأناب فلانٌ إلى الله إنابة، فهو مُنِيبٌ، إذا نابَ ورجع إلى الطَّاعة. وناب عنّي فلانٌ في هذا الأمر نيابةً، إذا قام مَقامَك[١].

١. قَالَ الله تعالى: {**مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ**}[٢].

- **رابعًا: القلب التَّقيُّ**، (**تَقْوَى القُلُوْبِ**)[٣]: وجاء ذِكْرُ ذلك في آيةٍ واحدةٍ.

١. قَالَ الله تعالى: {**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**}[٤].

- **خامسًا: القلب الوَجِل**، (**وَجِلتْ**): وجاء ذِكْرُ ذلك في آيتين، والوَجلُ: الخوفُ والفَزَعُ[٥].

١. قَالَ الله تعالى: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**}[٦].

٢. قَالَ الله تعالى: {**الَّذينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**}[٧].

---

(١) ينظر: العين؛ للخليل٨/٨٣١.
(٢) سورة ق، الآية: ٣٣.
(٣) ينظر: تفسير القرطبي١/١٦١.
(٤) سورة الحج، الآية: ٣٢.
(٥) ينظر: لسان العرب؛ لابن منظور١١/٧٢٢.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٢.
(٧) سورة الحج، الآية: ٣٥.

- سادسًا: القلب المؤمن: وجاء ذكر ذلك في آيتين:

١. قَالَ الله تَعَالى: {**وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**}(١).

٢. قَالَ الله تَعَالى: {**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}(٢).

- **سابعًا: القلب الخاشِعُ، (تَخْشَع)**: وجاء ذكرُ ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والخشوعُ: السُّكون والخضوع، والتَّخشُّع: التضرعُّ(٣).

١. قَالَ الله تعالى: {**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**}(٤).

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة؛ لأبي منصور ١/١٠٧.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٦.

- **ثامنًا: القلب المُطْمَئِنُّ، (وَتَطْمَئِنُّ، لِيَطْمَئِنَّ، مُطْمَئِنٌّ، تَطْمَئِنُّ، وَلِتَطْمَئِنَّ)**: وجاءَ ذِكْرُ ذلك في ستِ آيات، والطمأنينة: سكون النَّفس إلى الوعد بالصِّدق.

١. قَالَ الله تَعَالى: {**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**}(١).

٢. قَالَ الله تعالى: {**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**}(٢).

٣. قَالَ الله تعالى: {**قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ**}(٣).

٤. قَالَ الله تعالى: {**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**}(٤).

٥. قَالَ الله تعالى: {**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**}(٥).

٦. قَالَ الله تعالى: {**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**}(٦).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١٠.

(٥) سورة الرَّعد، الآية: ٢٨.

(٦) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

- **تاسعًا: القلب السَّاكن،** (**السَّكينة**): وجاء ذكر ذلك تصريحًا في آيةٍ واحدةٍ، والسَّكينة الأمنة والطمأنينة(١).

١. قَالَ الله تعالى: {**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**}(٢).

- **عاشرًا: القلب القويُّ، مربوط الجأش،** (**وليَرْبِطَ، وَرَبَطْنَا**): وجاء ذكر ذلك في ثلاث آيات، والرَّبط: هو ربط الجأش مِنَ الفزع، أو الخوف.

١. قَالَ الله تعالى: {**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**}(٣).

٢. قَالَ الله تعالى: {**وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا**}(٤).

٣. قَالَ الله تَعَالى: {**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**}(٥).

---

(١) ينظر: تفسير الطَّبري٥/٣٢٦.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ١١.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١٤.

(٥) سورة القصص، الآية: ١٠.

– **أحد عشر: القلب المُمْتَحن للتَّقوى،** (**امْتَحَنَ**): وجاء ذِكْرُ ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والممتحن: المصفَّى المهذَّب المخلَّصُ، مِنْ محنتُ الفضةَ إذا صفَّيتها وخلَّصتها بالنَّار(١).

١. قَالَ الله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**}(٢).

– **اثنا عشر: القلب المؤتلف،** (**فألَّف، وألَّف، المؤلَّفة**): وجاء ذِكْرُ ذلك في ثلاث آيات(٣)، والألفة بمعنى الاتفاق، من أَلَّف بين الشّيئين فتألَّفا وأتلفا، ويقَالَ أَلْفٌ مؤلَّفةٌ أَيْ مكمَّلةٌ. وتَأَلَّفهُ على الإِسلام، ومنه المؤلَّفةُ قلوبهم(٤).

١. قَالَ الله تعالى: {**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**}(٥).

٢. قَالَ الله تعالى: {**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**}(٦).

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة؛ لأبي منصور١٣/٤٠١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٣.

(٣) والثالثة: قوله تعالى: {**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**} [سورة التوبة، الآية: ٦٠]، وإنَّما جعلتها في الحاشية؛ لعدم توافقها مع موضوع الفقرة من حيث المدح.

(٤) ينظر: مختار الصحاح؛ للرازي: ٢٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٦٣.

- **ثلاثة عشر: القلب الطَّاهِرُ**، ﴿**أَطْهَر**﴾: وجاء ذكر ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والتطهُّر: التنزُّه عمَّا لا يحل[١].

١. قَالَ الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا**﴾[٢].

- **أربعة عشر: القلب الرَّؤوفُ الرَّحيمُ**، ﴿**رَأْفَة، وَرَحْمَة**﴾: وجاء ذكر ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والرَّأفة: اللينُ، وهي أشدُّ الرَّحمة، والرَّحمة: الشفقة[٣].

١. قَالَ الله تعالى: ﴿**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾[٤].

---

(١) ينظر: لسان العرب؛ لابن منظور٦/١٠٠مادة(طهر).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣. قَالَ القرطبي في تفسيره للآية ١٤/٢٢٧: (يريد من الخواطر الَّتي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال، أي: ذلك أنفى للريبة، وأبعد للتهمة، وأقوى في الحماية، وهذا يدل على أنَّه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له؛ فإنَّ مجانبة ذلك أحسن لحاله، وأحصن لنفسه، وأتم لعصمته).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي١٧/٢٦٣.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

- **خمسة عشر: القلب المَهْدِي،** ﴿**يَهْدِ**﴾: وجاء ذِكر ذلكَ في آيةٍ واحدةٍ:

١. قَالَ الله تعالى: {**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**}(١).

- **ستة عشر: القلوب الصَّاغية،** ﴿**صَغَتْ**﴾: وجاء ذكر ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والإصغاء: هو طلب إدراك المسموع بإمالة السَّمع إليه، يقال: صغا يصغو، إذا مال وأصغى غيره(٢).

١. قَالَ الله تعالى: {**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**}(٣).

- **سبعة عشر: القلوب المُخْبِتة،** ﴿**فَتُخْبِتْ**﴾: وجاء ذكر ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والخَبْتُ: ما اتسع من بطون الأرض، وجمعه خُبُوت. والمخْبِتُ: الخاشع المتضرعٌ، يخبت إلى الله، ويخبت قلبُه لله(٤)، وتخبت: تخشع وتَسْكُن(٥).

١. قَالَ الله تعالى: {**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**}(٦).

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١١.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية؛ للعسكري١/٨٩.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٤) ينظر: العين؛ للخليل٤/٢٤١.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي١٢/٨٧.

(٦) سورة الحج، الآية: ٥٤.

- **ثمانية عشر: القلب اللِّين**، (**تَلِيْنُ**): وجاء ذكر ذلك في آيتين، واللِّين: ضد الخُشُونة(١).

١. قَالَ الله تعالى: {**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**}(٢).

● **ذكر القلوب غير السليمة**: وفيما يأتي الصِّفات غير المحمودة الَّتي تقع في القلب، مع ذِكْر القلوب غير السَّليمة، سواء كانت ميتةً، أو مريضةً:

- **أولًا: القلبُ المَطْبُوع عَلَيْه**، (**طَبَعَ، وَطَبَعَ، يَطْبَعُ، نَطْبَعُ، وَنَطْبَعُ**): وقد جاء ذكر ذلك في عشر آياتٍ، وقد فُسِّر الطبعُ بالختم على الشيء، والطَّابع الخاتم، وطبع على القلوب أي: ختم عليها(٣)، فلا تعي وَعْظًا، ولا توفَّق لخيرٍ، وعلى هذا فمعنى الطبع والختم واحدٌ، وهو التَّغطية على الشَّيْء، والاستيثاق من أَن يدْخلهُ شَيْء(٤)، والمعنى أنَّ الصدَّ عن الحقِّ أصبح سجيَّة لهم والعياذ بالله(٥)، نظيرُ الطَّبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف، الَّتي لا يوصَل إلى ما

---

(١) ينظر: مختار الصحاح: ٢٨٨.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٣) ينظر: العين؛ للخليل٢/٢٥. قَالَ مجاهد: (كانوا يُرون أنَّ القلبَ في مثل هذا - يعني الكفَّ - فإذا أذنبَ العبد ذنبًا ضُمَّ منه، وقَالَ بإصبعِه الخنصر هكذا، فإذا أذنب ضُمَّ، وقَالَ بإصبع أخرى، فإذا أذنب ضُمَّ، وقَالَ بإصبع أخرى هكذا، حتى ضم أصابعَه كلَّها، قال: ثم يُطبع عليه بطابَعٍ، وكانوا يُرون أنَّ ذلك: الرَّيْنُ). تفسير الطَّبري١/٢٥٩.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة؛ لأبي منصور٢/١١٠، وقال: (وأمَّا طَبَع القلب بحركة الباء فهو تلطُّخه بالأدناس).

(٥) قَالَ الطَّبري في تفسيره١/٢٥٨: (فإن قَالَ لنا قائلٌ: وكيف يختِمُ على القلوبِ، وإنَّما الختمُ طبعٌ على الأوعية والظروف والغلف؟ قيل: فإنَّ قلوبَ العباد أوعيةٌ لما أُودِعت من العلوم، وظروفٌ لما جُعل فيها من المعارف بالأمور . فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع - الَّتي بها تُدرَك المسموعات، ومن قِبَلها يوصَل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المغَيَّبات - نظيرُ معنى الختم على سائر الأوعية والظروف).

فيها إلا بفضِّ ذلك عنها ثمَّ حلِّها. فكذلك لا يصل الإيمانُ إلى قلوب من وَصَف الله أنَّه ختم على قلوبهم، إلا بعد فضِّه خَاتمَه وحلِّه رباطَه عنها[١].

ومنهم مَنْ فرَّق بين الطَّبع والخَتْمِ، بأَن الطَّبْع أثر يثبُت فِي المطبوع ويلزمهُ، فهو يُفيد من معنى الثَّبات واللزوم ما لا يفيدهُ الختم، ولهذا قيل: طبع الدِّرْهَم طبعًا، وهو الأثر الَّذي يؤثره، فلا يَزُول عَنهُ، كذلك أَيضًا قيل: طَبْعُ الإنسان؛ لِأَنَّهُ ثَابت غير زائلٍ[٢]، وعلى هذا يكون الطَّبْعُ أشدُّ مِنَ الختْمِ، نسأل الله العافية.

٣. قَالَ الله تَعَالى: {**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا**}[٣].

٤. قَالَ الله تعالى: {**أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**}[٤].

٢. قَالَ الله تعالى: {**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ**}[٥].

٣. قَالَ الله تعالى: {**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**}[٦].

---

(١) ينظر: تفسير الطَّبري١/٢٦٥.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية؛ للعسكري١/٧٣. وقَالَ ابن القيم في شفاء العليل٩٢: (قَالَ أبو إسحاق: معنى ختم وطبع في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء، والاستيثاق منه، فلا يدخله شيء كما قَالَ تَعَالى: {**أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**}، وكذلك قوله: {**طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**}. قلتُ: الختم والطبع يشتركان فيما ذكر، ويفترقان في معنى آخر، وهو أنَّ الطبع ختم يصير سجية وطبيعة، فهو تأثير لازم لا يفارق).

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة مُحَمَّد، الآية: ١٦.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٨٧.

٤. قَالَ الله تعالى: {**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**}[(١)].

٥. قَالَ الله تعالى: {**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**}[(٢)].

٦. قَالَ الله تعالى: {**تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ**}[(٣)].

٧. قَالَ الله تعالى: {**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**}[(٤)].

٨. قَالَ الله تعالى: {**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**}[(٥)].

٩. قَالَ الله تعالى: {**ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ**}[(٦)].

١٠. قَالَ الله تعالى: {**أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**}[(٧)].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٣.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٠١.

(٤) سورة الروم، الآية: ٥٩.

(٥) سورة غافر، الآية: ٣٥.

(٦) سورة يونس، الآية: ١٧٤.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٠٠.

- **ثانيًا: القلب المَخْتُوم عَلَيْه، (خَتَمَ، وَخَتَمَ)**: وجاء ذِكْرُ ذلك في ثلاث آياتٍ، وقد سَبَقَ بيان الخَتْمِ عند الكلام على الطَّبع، فأغنى عَنْ إعادته هنا.

١. قَالَ الله تعالى: {**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**}(١).

٢. قَالَ الله تعالى: {**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ**}(٢).

٣. قَالَ الله تعالى: {**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**}(٣).

- **ثالثًا: القلب المكْنُون، (أَكِنَّة)**: وجاء ذكر ذلك في أربع آياتٍ، والكِنُّ: كلُّ شيء وَقَى شيئًا، والكِنانة كالجَعْبة غير أنَّها صغيرة تتخذ للنَّبل. واكْتَنَّت المرأة: سَتَرَتْ وَجْهَها؛ حياءً من النَّاس(٤). ومعنى الأكنَّة على القلوب أي: لا تَفْقَه ولا تَفْهَم؛ لأنَّها مغطاةٌ، نسأل الله العافية.

١. قَالَ الله تعالى: {**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**}(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٦.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٤) ينظر: العين؛ للخليل١٥/٢٨١.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٢٤.

٢. قَالَ الله تعالى: {**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا**}(١).

٣. قَالَ الله تعالى: {**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إلى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**}(٢).

٤. قَالَ الله تعالى: {**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ**}(٣).

- **ثالثًا: القلب المريض،** (**مَرَضٌ، مَرَضًا**): وجاء ذِكْرُ ذلك في إحدى عشرة آيةٍ، والمرضُ نوعان: مرضُ قلوب، ومرض أبدانٍ، وهما مذكوران في القرآن، ومرض القلوب نوعان أيضًا: مرض شبهةٍ وشكٍّ ونفاقٍ، ومرضُ شهوة وغيٍّ(٤)، وكلُّ ما في القرآن مِنَ أمراض القلوب هي مرضُ شبهةٍ وشكٍّ ونفاقٍ إلا قوله تعالى: {**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**}، فهو مرضُ شهوةٍ، نسأل الله العافية.

١. قَالَ الله تعالى: {**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**}(٥).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٧.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٥.

(٤) ينظر: زاد المعاد؛ لابن القيم٤/٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠.

٢. قَالَ الله تعالى: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}(١).

٣. قَالَ الله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}(٢).

٤. قَالَ الله تعالى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(٣).

٥. قَالَ الله تعالى: {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}(٤).

٦. قَالَ الله تعالى: {أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(٥).

٧. قَالَ الله تعالى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا}(٦).

٨. قَالَ الله تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا}(٧).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٢.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٥.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٩.
(٤) سورة الحج، الآية: ٥٣.
(٥) سورة النور، الآية: ٥٠.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ١٢.
(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

٩. قَالَ الله تعالى: {**وَيَقُولُ الَّذينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ**}(١).

١٠. قَالَ الله تعالى: {**أَمْ حَسِبَ الَّذينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ**}(٢).

١١. قَالَ الله تعالى: {**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**}(٣).

- **رابعًا: القلب الَّذي فيه حميَّة الجاهليَّة**(٤): وجاء ذِكْرُ ذلك في آيةٍ واحدةٍ:

١. قَالَ الله تَعَالى: {**إِذْ جَعَلَ الَّذينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقوى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**}(٥).

- **خامسًا: القلب الَّذي عليه رانٌ**، (**رَان**): وجاء ذكر ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والرَّان: هو تتابع الذَّنب على الذَّنب حتى يسودَّ القلبُ، يُقَال: قد رِينَ بالرجل رَينًا إذا وَقع فيما لا يستطيع الخروج

(١) سورة مُحَمَّد، الآية: ٢٠.

(٢) سورة مُحَمَّد، الآية: ٢٩.

(٣) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٤) قَالَ الطَّبري في تفسيره٢٢/٢٥١: (يعني تَعَالى ذكره بقوله: {**إِذْ جَعَلَ الَّذينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**}حين جعل سُهيل بن عمرو في قلبه الحميَّة، فامتنع إن يكتب في كتاب المقاضاة الَّذي كتب بين يدي رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم والمشركين: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، وأن يكتب فيه: مُحَمَّد رسول الله، وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم عامه ذلك).

(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

منهُ، ولا قبل له به، يقال: رِينَ به: انقطع به؛ لأنَّهُ إذا أَتاهُ ما لا قبل لهُ به فهو مُنقطع به، وكذلك كل مَا غلبك وعلاك فقد رانَ بك ورانَ عليك(١).

١. قَالَ الله تعالى: {**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**}(٢).

– **سادسًا: القلب الأغلف، (غُلْف)**: وجاء ذكر ذلك في آيتين، والغلف: جمع أغلف، وهو الَّذي في غلافٍ وغطاءٍ، كما يُقَالَ للرجل الَّذي لم يختتن: أغلف، والمرأة: غَلْفَاء. وكما يقَالَ للسَّيف إذا كان في غلافه: سيف أغْلَف، والمعنى: أنَّها في أغْطِيَة(٣).

١. قَالَ الله تعالى: {**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا**}(٤).

٢. قَالَ الله تعالى: {**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ**}(٥).

– **سابعًا: القلب القَاسي، (قَسَتْ، فَقَسَتْ، قَاسِيَة، للقَاسِيَة)**: وجاء ذِكْرُ ذلك في خمسِ آياتٍ، وَقَسَتْ: بمعنى غلُظت ويَبِست وعَسَت، فتأويل القسوة في القلب ذهاب اللِّين والرَّحمة والخشوع منه(٦).

١. قَالَ الله تَعَالى: {**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**}(٧).

---

(١) ينظر: غريب الحديث؛ للقاسم بن سلام٣/٢٧٠.
(٢) سورة المطففين، الآية: ١٤.
(٣) ينظر: تفسير الطَّبري٢/٣٢٥.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٥٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٨٨.
(٦) ينظر: لسان العرب؛ لابن منظور١٥/١٨١.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

٢. قَالَ الله تعالى: {**فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**}(١).

٣. قَالَ الله تعالى: {**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**}(٢).

٤. قَالَ الله تعالى: {**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**}(٣).

٥. قَالَ الله تعالى: {**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**}(٤).

- **ثامنًا: القلب غير المؤمن، (الإِيْمَان، إِيْمَانُكُم)**: وجاء ذكر ذلك في آيتين:

١. قَالَ الله تعالى: {**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**}(٥).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٦.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٩٣.

٢. قَالَ الله تعالى: {**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**}(١).

- **تاسعًا: القلب المَرْعُوب،** (**الرُّعب**): وجاء ذكر ذلك في أربع آياتٍ، والرُّعب: الخوف والفزع، يقال: رعبتُ فلانًا رُعبًا ورُعُبًا، فهو مرعوب مُرتَعِبٌ، أي: فَزِع(٢).

١. قَالَ الله تبارك وتعالى: {**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ**}(٣).

٢. قَالَ الله تعالى: {**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**}(٤).

٣. قَالَ الله تعالى: {**وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا**}(٥).

٤. قَالَ الله تعالى: {**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**}(٦).

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.
(٢) ينظر: العين؛ للخليل ٢/١٣٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥١.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ١٢.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٢٦.
(٦) سورة الحشر، الآية: ٢.

- **عاشرًا: القلب الزَّائغُ**، (**زَيغٌ، يزيغ، أزاغ، تُزغ**): وجاء ذكرُ ذلك في أربع آياتٍ كريمات، والزَّيغ: الميل عن الحقِّ والهدى(١).

١. قَالَ الله تعالى: {**هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**}(٢).

٢. قَالَ الله تعالى: {**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**}(٣).

٣. قَالَ الله تعالى: {**لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**}(٤).

٤. قَالَ الله تعالى: {**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**}(٥).

---

(١) ينظر: تفسير الطَّبري٦/١٨٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

(٥) سورة الصف، الآية: ٥.

- **أحد عشر: القلب الَّذي لا يَفْقَه:** وجاء ذلك آيةٍ واحدةٍ، والفقه: الفَهْم.

١. قَالَ الله تعالى: {**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**}(١).

- **اثنا عشر: القلب الَّذي لا يَعْقِل**(٢): وجاء ذلك في آيةٍ واحدةٍ.

٢. قَالَ الله تعالى: {**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**}(٣).

- **ثلاثة عشر: القلب المُرْتَاب،** (**وارْتَابَت، رِيْبَة**): وجاء ذِكْرُ ذَلك في آيتين، والرَّيبُ: الشَّكُّ.

١. قَالَ الله تعالى: {**إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**}(٤).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩. قَالَ الطَّبري في تفسيره١٣/٢٧٨: (فإنَّ معناه: لهؤلاء الَّذين ذرأهم الله لجهنَّم من خلقه قلوب لا يتفكَّرون بها في آيات الله، ولا يتدبَّرون بها أدلته على وحدانيته، ولا يعتبرون بها حُجَجه لرسله، فيعلموا توحيد ربِّهم، ويعرفوا حقيقة نبوّة أنبيائهم. فوصفهم ربُّنا جل ثناؤه بأنهم: {**لَا يَفْقَهُونَ بِهَا**}؛ لإعراضهم عن الحق، وتركهم تدبُّر صحة نبوّة الرسل، وبُطُول الكفر. وكذلك قوله: {**وَلَهم أعينٌ لا يُبْصِرُون بِهَا**}، معناه: ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته، فيتأملوها ويتفكروا فيها، فيعلموا بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم، وفسادِ ما هم عليه مقيمون، من الشرك بالله، وتكذيب رسله، فوصفهم الله بتركهم إعمالها في الحقّ، بأنَّهم لا يبصرون بها).

(٢) قَالَ القرطبي في تفسيره١٢/٧٧: (أضاف العقل إلى القلب؛ لأنَّه محله، كما أنَّ السمع محله الأذن، وقد قيل: إنَّ العقل محله الدماغ، وروي عن أبي حنيفة، وما أراها عنه صحيحة).

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٥.

٢. قَالَ الله تعالى: {**لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**}(١).

- **أربعة عشر: القلب المَصْرُوف عَنِ الحقِّ**، (**صَرَفَ**): وجاء ذكر ذلك في آيةٍ واحدةٍ:

١. قَالَ الله تعالى: {**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ**}(٢).

- **خمسة عشر: القلب الحَقُوْد**، (**غِلًّا**): وجاء ذكر ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والغِلُّ: بالكسر الغشُّ والحقد، وقد غلَّ صدرُهُ يغلُّ بالكسر غلًّا إذا كان ذا غِشٍّ أَوْ ضِغنٍ أَوْ حِقدٍ(٣).

١. قَالَ الله تعالى: {**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**}(٤).

- **ستة عشر: القلب المُقْفَل**، (**أَقْفَالُها**): وجاء ذِكْرُ ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والأقفال: جمع قفل، وأصل القفل اليَبَس والصَّلابة(٥).

١. قَالَ الله تعالى: {**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**}(٦).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٧. فائدةٌ: قَالَ القرطبي في تفسيره٨/٣٠٠: (أخبرنا مُحَمَّد بن عبد الملك القيسي الواعظ: حدثنا أبو الفضل الجوهري سماعًا منه يقول: كنَّا في جنازة، فقَالَ المنذر بها: انصرفوا رحمكم الله فقال: لا يقل أحدٌ انصرفوا؛ فإنَّ الله تَعَالى قَالَ في قومٍ ذمَّهم: {**ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**}، ولكن قولوا: انقلبوا رحمكم الله؛ فإنَّ الله تَعَالى قَالَ في قومٍ مدحهم: {**فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**} [آل عمران : ١٧٤])، وهذا المعنى مروي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما كما في تفسير الطَّبري١٤/٥٨٣.

(٣) ينظر: مختار الصحاح؛ للرازي: ٢٢٩.

(٤) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي١٦/٢٤٧.

(٦) سورة مُحَمَّد، الآية: ٢٤.

- **سبعة عشر، قلب المجْرمين**: وجاء ذِكْرُ ذلك في آيتين:

١. قَالَ الله تعالى: {**كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ**}(١).

٢. قَالَ الله تعالى: {**كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ**}(٢).

- **ثمانية عشر: القلب الغَافل، (أَغْفَلْنَا)**: وجاء ذكر ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والغفلةُ ضد اليقظة، وأغفلنا قلبه: أي جعلته غافلًا، مشغول القلب عن ذكر الله بالكفر وغلبة الشَّقاء عليه(٣).

١. قَالَ الله تعالى: {**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**}(٤).

- **تسعة عشر: القلبُ اللَّاهِي، (لَاهِيَةً)**: وجاء ذكر ذلك مرة واحدة، واللاهية: الغافلة(٥).

١. قَالَ الله تَعَالى: {**لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ**}(٦).

---

(١) سورة الحجر، الآية: ١٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٠٠.

(٣) تفسير الطَّبري١٨/٨.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١٢٨.

(٥) ينظر: تفسير الطَّبري١٨/٤١٠.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٣.

- **عشرون: القلب المُشْمَئِزُّ، (اشْمَأَزَّت)**: وجاء ذِكْرُ ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والشَّمز: نفور النَّفس من الشيء الَّذي تكرهه، وشمأزَّت: نَفَرَتْ(١).

١. قَالَ الله تعالى: {**وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**}(٢).

- **واحد وعشرون: القلب المُتَحَسِّر، (حَسْرة)**: وجاء ذكر ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والحسرة: النَّدامة على ما فات(٣).

١. قَالَ الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**}(٤).

- **اثنا وعشرون: القلب المُنْكِر، (مُنْكِرَة)**: وجاء ذكر ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والمنكرة ضد العارفة، وهي الَّتي لا تقبل الوعظ، ولا ينفع فيها الذِّكر(٥).

١. قَالَ الله تعالى: {**إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ**}(٦).

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة؛ لأبي منصو١١/٢١٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٥.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة؛ لأبي منصور٣/١٣٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٦.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي١٠/٩٥.

(٦) سورة النحل، الآية: ٢٢.

– **ثلاثة وعشرون: القلب الغائِظ، (غَيْظَ)**: وجاء ذكر ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والغيظ: الغضب، وقيل: أشدُّ من الغضب، وقيل: هو غضبٌ شديدٌ للعاجز(١).

١. قَالَ الله تعالى: {**وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**}(٢).

– **أربعة وعشرون: القلب الآثِمْ، (آثم)**: وجاء ذكر ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والإثم: الذَّنب، والقلب الآثم الَّذي اكتسب ذنبًا عظيمًا(٣).

١. قَالَ الله تعالى: {**وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**}(٤).

– **خمسة وعشرون: القلب المزيَّن بالسُّوء، (زُيِّن)**: وجاء ذكر ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والزَيْنُ: نقيض الشَّين، زانه الحُسنُ يزينه زَينًا. وازدانتِ الأرضُ بعُشبِها، وازَّيَّنَتْ وتَزَيَّنَتْ. والزِّينة: اسم جامعٌ لكُلِّ ما يُتزيَّن به(٥).

١. قَالَ الله تعالى: {**بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إلى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا**}(٦).

---

(١) ينظر: لسان العرب٧/٤٥٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٥.

(٣) ينظر: تفسير الطَّبري٦/٩٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.

(٥) ينظر: العين؛ للخليل٧/٣٨٧. قَالَ الطَّبري٢٢/٢١٣: ({**وزيّن ذَلِكَ فِيْ قُلُوْبِكُم**}، وحسَّن الشَّيطان ذلك في قلوبكم، وصححه عندكم حتى حسُن عندكم التَّخلف عنه، فقعدتم عن صحبته، {**وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ**} يقول: وظننتم أنَّ الله لن ينصر مُحَمَّدا صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وأصحابه المؤمنين على أعدائهم، وأنَّ العدوَّ سيقهرونهم ويغلبونهم فيقتلونهم).

(٦) سورة الفتح، الآية: ١٢.

- **ستة وعشرون: القلب المَبَطَّن بالسُّوء، خلاف ما يُظهر**: وجاء ذكر ذلك ست آياتٍ:

١. قَالَ الله تعالى: {**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**}(١).

٢. قَالَ الله تعالى: {**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**}(٢).

٣. قَالَ الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**}(٣).

٤. قال الله تعالى: {**كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ**}(٤).

٥. قَالَ الله تعالى: {**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ**}(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٤١.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٨.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٦٤.

٦. قَالَ الله تعالى: {**سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**}(١).

- **سبعة وعشرون: القلب المُنَافِق،** (**نَفَاقًا**): وجاء ذكر ذلك آيةٍ واحدةٍ، وأعقبهم: أورثهم(٢)، والنِّفاق معروفٌ، والعياذ بالله.

٢. قَالَ الله تعالى: {**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**}(٣).

- **ثمانية وعشرون: القلب المَغْمُور،** (**غَمْرَة**): وجاء ذكر ذلك آيةٍ واحدةٍ، والغَمْرَةُ ما سَتَر الشَّيء وغطاه(٤).

قَالَ الله تعالى: {**بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ**}(٥).

- **تسعة وعشرون: القلب المُشَتَّت، وهو قلب الكافر،** (**شتَّى**): وجاء ذكر ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والمعنى: متفرِّقة؛ لافتراق عقائدهم، واختلاف مقاصدهم(٦).

١. قَالَ الله تعالى: {**لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ**}(٧).

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١١.
(٢) ينظر: لسان العرب ١/٢١٣.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٧٧.
(٤) ينظر: تفسير القرطبي ١٧/٣٤.
(٥) سورة (المؤمنون)، الآية: ٦٣.
(٦) ينظر: تفسير البيضاوي ٥/٢٠١.
(٧) سورة الحشر، الآية: ١٤.

- **ثلاثون: القلب الغَلِيْظ**، (**غَلِيْظ**): وجاء ذكر ذلك مرَّةً واحدةً، والغليظ: القاسي، وأمرٌ غليظ: شديدٌ صعبٌ[١].

١. قَالَ الله تعالى: {**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**}[٢].

- **واحد وثلاثون:** القلب الأعْمَى، (تَعْمَى): وجاء ذكر ذلك في آيةٍ واحدةٍ، والعمى هنا العمى الضار في الدِّين، عَمَى القلب عَنِ الحقِّ، حتَّى لا يشاهده كما لا يشاهد الأعمى المرئيَّات[٣]؛ وذلك أنَّ الدين سمعه وبصره في القلب[٤].

١. قَالَ الله تعالى: {**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**}[٥].

---

(١) ينظر: لسان العرب؛ لابن منظور٧/٤٤٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٣) ينظر: تفسير السعدي١/٥٤٠.

(٤) ينظر: تفسير الطبَّري١٢/٢٤.

(٥) سورة الحج، الآية: ٤٦.

الفصل الأول

التَّعريف بالقلب

بابُ: مَا رُوِيَ عَنْهُ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((إنَّما سُمِّي القلبُ مِنْ تَقَلُّبِه)).

١. عن أَبِي موسى الأَشعريِّ رضي الله عنه، قال: قَالَ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ**))[١].

● ما يستفاد من الحديث:

– في الحديث دلالةٌ على أنَّ القلب سُمِّي بذلك؛ لتقلُّبه بالخواطر الَّتي تُعرض عليه؛ لأنَّه موضع الفكر، وقد سبق ذكر ذلك عند التعريف بالقلب، فليرجع إليه.

– شبَّه القلب بالريشة المعلقة، أي: الملقاة بأرض واسعةٍ عديمةِ البناء، تقلُّبها الرِّيح بسهولة، وعبَّر بالرياح كناية عن فتن الشُّبهات والشَّهوات الَّتي تمرُّ على القلب، فكأنَّ القلب هدفٌ يصابُ على الدَّوام مِنْ كلِّ جانب، فإذا أصابه شيءٌ يتأثَّر بِهِ[٢]، أصابه مِنْ جانبٍ آخرَ ما يُضادُّه، فتتغيَّر صفتُه، فإنْ نزل به الشَّيطان فدعاه إلى الهوَى، نزل به الملكُ وَصَرَفه عنه، وإنْ جذبه شيطانٌ إلى شرٍ، جذبهُ شيطانٌ آخر إلى غيرِه، وإنْ جذبه ملكٌ إلى خيرٍ، جذَبَه آخرٌ إلى غيره، فتارةً يكون

---

(١) أخرجه: أحمد(١٩٦٦١)، وابن ماجه(٨٨)، وإسناده ضعيفٌ، والصحيح وقفه على أبي موسى كما أخرجه أبو نعيم في الحلية١/٢٦٣.

(٢) قَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الحسنة والسيئة٦٥: (والنفس بطبعها متحولة؛ فإنَّها حية، والإرادة والحركة الإرادية من لوازم الحياة؛ ولهذا قَالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم في الحديث الصحيح: ((**أصدَقُ الأسماء حارث وهَمَّام**))؛ فكل آدمي حارث وهمام، أي: عامل كاسب، وهو همام، أي: يهم ويريد، فهو متحرك بالإرادة. وقد جاء في الحديث: ((**مثل القلب مثل ريشة ملقاة بأرض فَلاة**))، ((**ولَلْقَلْبُ أشد تَقَلُّبًا من القِدْر إذا استجمعت غليانًا**))، فلما كانت الإرادة والعمل من لوازم ذاتها، فإذا هداها الله، علمها ما ينفعها وما يضرها، فأرادت ما ينفعها، وتركت ما يضرها).

متنازعًا بين ملكين، وتارةً بين شيطانين، وتارةً بين ملكٍ وشيطان، لا يكون قط مهملًا، فهو محل المعركة دائمًا إلى أن يقع الفتح لأحد الحزبين، فيسكن سكونًا تامًا[١]، وإليه الإشارة بقوله تَعَالى: {**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ**}[٢]، لذا ينبغي للعاقل أنْ يحذر مِنْ تقلُّب قلبه؛ فإنَّه ليس بين القلب والكَلب إلا التَّفخيم[٣] نسأل الله العافية، لذلك كانت يمينُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**لا وَمُقَلِّبَ القُلُوْبِ**)) كما سيأتي، وقد تقدَّم تفصيل ذلك[٤].

(١) ينظر: فيض القدير؛ للمناوي٥/٢٨١.

(٢) سورة الأنعام، من الآية: ١١٠. وينظر: إحياء علوم الدين؛ للغزالي٣/٤٦.

(٣) ينظر: فيض القدير؛ للمُناوي٣/٢.

(٤) قَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل٣/٣١٣: (وشواهد هذا الأصل كثيرة مع ما يعرفه كل أحد من حال نفسه من كثرة تقلب قلبه من الخواطر، الَّتي هي من جنس الاعتقادات، ومن جنس الإرادات، وفيها المحمود والمذموم، والله هو القادر على صرف ذلك عنه، فالاستعاذة بالله طريق مفضية إلى المقصود الَّذي لا يحصل بالنظر والاستدلال).

باب: القلب أشدُّ انقلابًا من القدر إذا اجتمعت غليًا

٢. عن سُليمان بنِ سُليمٍ، قال: قَالَ المقدادُ بنُ الأَسود رضي الله عنه: لا أَقول في رجلٍ خيرًا ولا شرًّا حتَّى أَنظُرَ ما يُختم له، يعني بعد شيءٍ سمعتُهُ من النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، قيل: وما سمعتَ؟ قال: سمعتُ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يقول: ((**لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا**))(١).

● ما يستفاد من الحديث:

– في الحديث دلالة على أنَّ القلب شديدُ التقلب، أي: فيما يحبُّه، ويعتقده، ويكرهه، ونحو ذلك، وقد شبَّه ذلك بالقِدْرِ، والمقصود به باطنه؛ لذلك كان صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يدعو ربَّه على أنْ يثبِّت قلبه على دينه؛ تضرعًا لله سبحانه وتَعَالى، وتعليمًا لنا وتحذيرًا، وإلا فقلب النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قد أُخْلِصَ لله سبحانه وتَعَالى.

باب: قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الله(٢)

٣. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أَنَّهُ سمع رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، يقول: ((**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**))، ثمَّ قَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**))(٣).

---

(١) أخرجه: أحمد(٤٢٦٣)، والبزار(٢١١٢)، وقَالَ عقيبه: (وإسناده إسناد حسن)، وصححه الحاكم في المستدرك(٣١٤٢).

(٢) ومذهبنا في ذلك هو مذهب السَّلف، وهو الإمرار كما جاءت بلا كيف. أمَّا من رأى نفسه مضطرًا للتأويل، أو العكس، كزيادة شرح وتفسير، ومبالغة إثبات، فلسنا مضطرين ولله الحمد.

(٣) أخرجه: مسلم(٢٦٥٤).

● **ما يستفاد من الحديث:**

– دلَّ الحديث على أنَّ القلوب بين أصبعين من أصابعه، فَمَنْ شاء الله أزاغه، ومَنْ شاء ثبَّته، فهي تحت تصرفه جلَّ وعلا، .

– قوله: ((**كَقَلْبٍ وَاحِدٍ**))؛ تقريب للعباد على قدرة القدير؛ ليدل على قدرتِه سبحانه وتَعَالى، وأنَّه لا يعزُب عنه قلبٌ، وأنَّ القلوب كلَّها تحت قهرِهِ وسُلطَانِه جلَّ وعلا، كما أنَّ أحدكم يقدر على شيء واحدٍ، اللهُ تَعَالى يقدرُ على جميع الأشياء دفعةً واحدةً، ولا يشغله شأنٌ عَنْ شأن[١]، كلُّ ذلك بقوله: كُن.

– أضاف التَّقليب إلى نفسه؛ إشعارًا بأنَّه مِنْ كمال رحمتِه بعباده تولَّى بنفسه أمْر قُلوبِهم، ولم يكله لأحدٍ مِنْ ملائكتِه[٢].

– خصَّ نفسه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بالتَّضرع والابتهال؛ إعلامًا بأنَّ نفسَه القدسية الطاهرة المصطفوية إذا كانت مفتقرةً إلى اللجأ منه إليه، كان غيرُه أولى وأحرى[٣]، حتى لا يظنَّ أحدٌ أنَّه غير مخاطب؛ ليفرَّ الخلق كل الخلق إلى الخالق الواحد؛ وليعكفوا على بابه؛ داعين متضرِّعين؛ بأنْ يُثبِّت قلوبهم على عبوديَّته سبحانه، فوالله لن يصل أحدٌ إليه إلا به سبحانه وتَعَالى.

– خُصَّ القلب بالأمر؛ لأنَّه ملك الأعضاء، المسيطر عليها، القائم بها، وليَّ أمرها كما سيأتي إن شاء لله.

(١) ينظر: شرح المشكاة؛ للطيبي٢/٥٤٥.
(٢) ينظر: التَّيسير بشرح الجامع الصغير للمُناوي١/٣٢٨.
(٣) ينظر: شرح المشكاة؛ للطيبي٢/٥٤٥.

باب: يمين النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «لا وَمُقَلِّبَ القُلُوْبِ»

٤. عن ابن عمرَ رضي الله عنهما، قال: كانت يمينُ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**لاَ وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ**»[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– تقليب القلوب هو صرفه لها مِنْ إيمانٍ إلى كفرٍ والعياذ بالله، وَمِنْ كفرٍ إلى إيمانٍ، وَمِنْ المعصية إلى الطَّاعة، وَمِنَ الطَّاعة إلى المعصية، وَمِنَ الأُنس إلى الوَحشة، وَمِنَ الوَحشة إلى الأُنس، وذلك كله مقدورٌ لله تَعَالى وفعلٌ له، بخلاف قول القدريَّة[٢].

– أشار الحديث إلى أنَّ تقليب القلوب هو صفةٌ مِنْ صفاتِ الله تَعَالى، لذلك قَسَمَ بذلك النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، ودلَّ على أنَّ الحلف بصفات الله تَعَالى جائزٌ تجب فيها الكفَّارة؛ لأنَّها منه تَعَالى ذكره[٣].

– المراد بتقليب القلوب تقليب أعراضها وأحوالها لا تقليب ذات القلب، وفي الحديث دِلالة على أنَّ أعمال القلب مِنَ الإرادات والدَّواعي وسائر الأعراض بخلق الله تَعَالى[٤].

– دلَّ الحديث على أنَّ القلب سريع التَّقلب، وهذا بحسب ما يطرأُ عليه مِنْ أمورٍ، وهو مصداق قوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»[٥]. لذا نبَّه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بيمينه على هذه المسألة؛ ليحذِّر النَّاس، ويسألوا ربَّهم الثَّبات بما

---

(١) أخرجه: البخاري(٦٦٢٨)، واللفظ له، ومسلم(٢٦٥٤)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) ينظر: شرح ابن بطال١٠/٤١٩.

(٣) ينظر: الاستذكار؛ لابن عبد البر٥/٢٠٦.

(٤) ينظر: فتح الباري١١/٥٢٧.

(٥) أخرجه: مسلم(١١٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

علَّمهم: {**رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّاب**}(١)، ومن وسائل الثبات: صحبةُ الأخيار، وكثرةُ الأذكار، مِنَ التَّسبيح والاستغفار، مع سؤال الله الثَّبات، والتَّضرع إليه، والانكسار بين يديه، لذلك كان صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يقول: ((**إنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ** يَشَاءُ))، ثُمَّ يدعو متضرِّعًا: ((**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**))(٢).

باب: صلاح الجوارِح بصلاح القلب، وفسادها بفساده

٥. عن النُّعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يقول: ((**الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ**

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨.

(٢) أخرجه: مسلم(٢٦٥٤)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. ومثل هذه الأخبار تجعل المؤمن يخاف مِنْ مكر الله سبحانه وتعالى، وأنْ يلزم ثوب الضَّراعة والانكسار والشَّفقة على نفسه من سوء الخاتمة وسوء المنقلب، روى الشيخ العلَّامة محمَّد الحسن ولد الددو الشَّنقيطيُّ في إحدى دروسه: أنَّ أحد الدُّعاة اشترى ببغاء، فعلَّمها قول: لا إله إلا الله، فكانت تردد كل وقتٍ لا إله إلا الله، وأهلُ البيت يرددون معها، فأصبحت تذكرهم بها دومًا، وفي يومٍ من الأيام دخل هرٌ البيتَ، فانقضَّ عليها، فسمع الشَّيخ الببغاء وهي تصرخُ صُراخها الأولي، بدل أنْ تقول: لا إله إلا الله، فجاء إليها فوجد الهِرَّ قد قضى عليها، فبكى الشَّيخ بكاءً شديدًا، فقال له تلامذتُه: أتبكي على ببغاء؟! الآن نجلب لك خيرًا منها، فقال لهم: ما عليها أبكي، وإنَّما أبكي على نفسي، فهذه الببغاء قد نست في ساعةِ شِدَّتها ما كانت تقوله في ساعة الرخاء مِنْ قول: لا إله إلا الله، وإنِّي أخشى أنْ يحال بيني وبين قول: لا إله إلا الله عند الموت؛ لذنوبي أو نحو ما قال. فجدير بك يا أخيَّ أنْ تنكسر بين يدي الله سبحانه وتعالى، وأنْ تسأله الثبات على التوحيد وعلى طاعته سبحانه، وأن تكون وجلًا خائفًا مع صلاتك وصيامك وزكاتك وصدقاتك؛ خشية أن لا تقبل منك، وكذلك أن تجعل ذكرك لله على وجه العبادة لا العادة، مع معرفة معاني الأذكار، فإنَّ ذلك من أنفع وسائل الثبات، والله وحده الموفِّق.

أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»[١].

● ما يستفاد من الحديث:

– يستفاد مِنَ الحديث أنَّ موطن العَقْل والفَهْم إنَّما في القلب، وما في الرَّأس منه إنَّما هو عَنِ القلب، ومنه السَّبب[٢]، وفي المسألة خلاف.

– المضْغةُ القِطْعَة مَنَ اللَّحم، سُمِّيت بذلك؛ لأنَّها تُمضغ في الفم؛ لصُغرِهَا، والمرادُ تصغير القلب بالنسبةِ إلى باقي الجسدِ، مَعْ أنَّ صلاح الجَسَدِ وفسادِه تابعان للقلب.

– بحسب قول أهلِ الطبِّ أنَّ القلبَ هو أوَّل نقطة تكون مِنَ النَّطفة، ومنه تظهرُ القُوى، ومنه تَنْبَعِثُ الأرواحُ، ومنه ينشأُ الإدراك ويبتدىء التَّعقُّل، فلهذه المعاني خُصَّ القلب بذلك[٣].

– في الحديث تأكيدٌ على السَّعي في صلاح القلب، وحمايتِه مِنَ الفسادِ[٤].

– عظَّم الشَّارع أمرَ القلب؛ لصدور الأفعالِ الاختيارية عنه، وعمَّا يقومُ به مِنَ الاعتقاداتِ والعلومِ، ورتَّب الأمرَ فيه على المضْغَةِ، والمراد المتعلِّق بها، ولا شكَّ أنَّ صلاح جميع الأعمال باعتبار العلمِ، أو الاعتقادِ بالمفاسدِ والمصالحِ[٥].

– جعل الله الجوارح مُسَخَّرةً للقلب ومطيعةً له، فما استقرَ فيه ظَهَر عليها وعَمِلتْ على معناه: إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًا فشرٌ[٦]؛ وذلك أنَّ القلب ملكُ الأعضاءِ، وبقيَّة الأعضاء جنودُه، وهم مع هذا جنودٌ طائِعون له، مُنْبَعِثون في طاعتِه، وتنفيذِ أوامرِه، لا يخالفونه في شيءٍ مِنْ ذلك،

---

(١) أخرجه: البخاري(٥٢)، واللفظ له، ومسلم(١٥٩٩).

(٢) ينظر: شرح ابن بطال ١/١٧.

(٣) ينظر: عمدة القاري؛ للعيني ١/٣٠٢

(٤) ينظر: شرح النووي على مسلم ١١/٢٩.

(٥) ينظر: إحكام الأحكام؛ لابن دقيق العيد ٢/٢٧٩.

(٦) ينظر: شرح الأربعين النووية؛ لابن دقيق العيد: ٤٩.

فإنْ كانَ الملكُ صالحًا كانتْ هذه الجنود صالحةً، وإنْ كان فاسدًا كانتْ جنوده بهذه المثابةِ فاسدةً[١].

– فيه إشارةٌ إلى أنَّ صلاحَ حركاتِ العَبْد بجوارحِه، واجتنابِه المحرماتِ واتقاءِه للشُّبهاتِ بحسب صلاح حركة قلبِه، فإذا كان قلبُه سليمًا، ليس فيه إلا محبَّة الله ومحبَّة ما يُحبُّه الله، وخشية الله وخشية الوقوعِ فيما يكرهه، صلحتْ حركاتُ الجوارحِ كلِّها، ونشأ عَنْ ذلكَ اجتناب المحرماتِ كلِّها، وتوقٍّ للشُّبهاتِ؛ حَذَرًا مِنَ الوقوع في المحرماتِ. وإن كان القلبُ فاسدًا، قد استولى عليه اتَّباع هواه، وطلب ما يحبُّه، ولو كرِهَهُ الله، فَسَدَتْ حركاتُ الجوارح كلُّها، وانبعثتْ إلى كلِّ المعاصي والمشتبهاتِ بحسب اتَّباع هوى القلب[٢].

– يلزم مِنْ صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح، فإذا كان القلب صالحًا ليس فيه إلا إرادة الله وإرادة ما يريدُه لم تنبعثْ الجوارحُ إلا فيما يريدهُ اللهُ، فسارعتْ إلى ما فيه رضاه، وكفَّت عمَّا يكرهه، وعمَّا يُخشى أنْ يكون ممَّا يكرهه وإنْ لم يتيقَّن ذلك[٣]، وعلى هذا فلا يُمكن أن يكون القلب صالحًا ولا يظهر ذلك على أعمال الجوارح، فالجوارح هي مغارف للقلب، يظهر عليها ما يكنُّه القلب من سريرة، فلا يقولنَّ أحدٌ إني قلبي طيِّبٌ صالحٌ وهو لا يصلِّي ولا يطيع الله، فمن صلح قلبُه انبعثتْ جوارحه في مرضات الله سبحانه وتعالى.

– كلُّ مَنْ خَشَعَ قَلْبُه خَشَعَتْ جوارحُه، ولا يَنْعَكس؛ ولهذا قيل: إيَّاكم وخشوع النِّفاق، وهو أنْ يكون الجسدُ خَاشعًا والقلب ليس بخاشعٍ، فإذا صَلَح القلبُ صلح الجسدُ كلُّه، وليس إذا كان الجسد في عبادة يكون القلب قائمًا بحقائِقِهَا، إذْ ليس كلُّ مَنْ صلَّى ببدنه يكون قلبُه مُنَوَّرًا بِذِكْر الله والخشوع وفَهْم القرآن، وإن كانت صلاتُه يُثاب عليها، ويسقط عنه الفرض في أحكامِ

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم؛ لابن رجب١/٢١٢.

(٢) المصدر نفسه١/٢١٠.

(٣) المصدر نفسه١/٢١٣.

الدُّنيا، فهكذا الإسلام الظَّاهر بمنزلة الصَّلاة الظَّاهرة، والإيمانُ بمنزلةِ ما يكون في القلب حين الصَّلاة مِنْ المعرفة بالله، والخشوع وتدبُّر القرآن[١].

– أجمعَ المسلمونَ على أنَّ مجرَّد أعمال البدن بدون عملِ القلب لا يكون عبادةً ولا طاعةً لله، وأنَّ كلَّ عملٍ لا يُراد به وجه الله فليس هو عبادة له[٢].

– دلَّ الحديثُ على أنَّ بين الجوارح وبين القلب علاقةٌ غير منفكَّة، وهذا واضحُ بتأثُّر كل واحدٍ منهما بالآخر، فترى العضو إذا أصابتَه جراحة تألَّم بها القلبُ، وترى القلبَ إذا تألَّم بعلمه بموتِ عزيزٍ مِنْ أعزَّته، أو بهجوم أمرٍ مخوِّف تأثرَّت به الأعضاء، وارتعدتْ الفرائضُ، وتغيَّر اللونُ، إلا أنَّ القلب هو الأصل المتبوع، فكأنَّه الأمير والرَّاعي، والجوارح كالخدم والرعايا والأتباع[٣].

– دلَّ الحديثُ أنَّ في صلاح القلبِ صلاح الجوارح كلِّها، وكذلك في صلاح ولاةِ الأمور صلاح الرَّعية، وقد رأينا ذلك جليًا في خلافة أهل العدلِ كالأربعة وعمر بن عبد العزيز، وَمِنَ المتأخرين الملك نور الدين زنكي رضي الله عنهم جميعًا.

---

(١) ينظر: كتاب الإيمان؛ لابن تيمية: ٢٨٨، لذلك نرى كثيرًا من النَّاس تشكو من عدم الخشوع في الصلاة، يظنون الخشوع يحصل أثناء الصلاة فقط! أنَّى لجسد أنْ يخشع في الصلاة وهو قبلها في غفلةٍ أو منهمك على معصيةٍ بعيد عن ضروب الخير، قريب من مواطن الشرِّ! الصلاة في حقيقتها ملخص لحال العبد مع الله جلَّ وعلا، فهي ميزان لحال العبد في أوقاته وخلواته، فكلَّما حسن حالُ العبد حَسُنتْ صلاته، وكلما أساء العبد ظهر أثر ذلك على صلاته، فمن أراد أن يخشع في صلاته فعليه بامتثال ما أمر الله سبحانه وتعالى قبل الصلاة ووقت الصلاة، فالمعاصي تحول بين القلب وبين الخشوع.

(٢) ينظر: الرد على الشاذلي؛ لابن تيمية: ٦٥.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين؛ للغزالي ٤/٣٦٧.

باب: القلوب أربعة

٦. عن أَبِي سعيدٍ رضي الله عنه، قال: قَالَ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ مِثْلُ السِّرَاجِ يَزْهَرُ، وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافِهِ، وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ، وَقَلْبٌ مُصْفَحٌ، فَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَجْرَدُ: فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ سِرَاجُهُ فِيهِ نُورُهُ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَغْلَفُ: فَقَلْبُ الْكَافِرِ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمَنْكُوسُ: فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ عَرَفَ، ثُمَّ أَنْكَرَ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمُصْفَحُ: فَقَلْبٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، فَمَثَلُ الْإِيمَانِ فِيهِ كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالدَّمُ، فَأَيُّ الْمَدَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَى الْأُخْرَى غَلَبَتْ عَلَيْهِ**»(١).

- **ما يستفاد من الحديث:**

– دلَّ الحديث على أنَّ القلوب على أربعة أضربٍ، بحسب حالِها مِنَ الله تَعَالى، وهي على ما يأتي:

– الأول: القلب الأَجْرَد، أي ليسَ فيه غِلٌّ ولَا غِشٌّ، فهو على أَصل الفطرَةِ، فنُورُ الإيمان فيه يُزهر(٢)، وهو قلب المؤمن المتجرِّد ممَّا سوى اللهِ ورسولِه، الَّذي سَلِمَ بتجرده ممَّا سوى الحقِّ، وفيه سِرَاجٌ يزهر، وهو مصباحُ الإيمانِ، فأشار بتجرِّده إلى سلامتِه مِنْ شُبهاتِ الباطل، وشهواتِ الغَيِّ، وبحصول السِّراج فيه إلى إشراقه واستنارتِه بنورِ العلم والإيمانِ.

– الثاني: وهو القلب الأَغْلَف، وهو قلب الكافر؛ لأنَّه داخل في غلافه وغشائِه، فلا يصلُ إليه نورُ العلم والإيمان، كما قَالَ تَعَالى حاكيًا عن اليهود: ﴿**وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ**﴾(٣)، وهو جمع أغلف، وقد سبق الكلام عنه عند ذكر القلوب غير السليمة، وهذه الغشاوة هي الأكنَّة الَّتي ضربها الله على قلوبِهم؛ عقوبة له على ردِّ الحقِّ، والتكبُّر عَنْ قَبوله، فهي أكنَّة على القلوب، ووقْرٌ في

(١) أخرجه: أحمد(١١١٢٩)، وإسناده ضعيف، والصواب أنَّه من قول حذيفة رضي الله عنه كما رواه عنه الأئمة، وقد أشار أبو نعيم في حلية الأولياء٤/٣٨٥ إلى علَّته.

(٢) ينظر: لسان العرب؛ لابن منظور٣/١١٩.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٨٨.

الأسماع، وعَمى في الأبصار، وهي الحجابُ المستور عَنِ العُيون في قوله تَعَالى: {**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**}(١)، فإذا ذكر لهذه القلوب تجريد التَّوحيد، وتجريد المتابعة، ولَّى أصحابُها على أدبارِهم نُفورًا.

- الثالث: القلب المنْكُوس، وهو المكبوب، وهو قلب المنافق، كما قَالَ تَعَالى: {**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا**}(٢)، أي: نكسهم وردَّهم في الباطل الَّذي كانوا فيه، بسبب كسبِهم وأعمالِهم البَاطلة، وهذا شرُّ القلوب وأخبثها؛ فإنَّه يعتقد الباطل حقًا، ويوالي أصحابه، والحق باطلًا، ويعادى أهله.

- الرابع: وهو المصْفَحُ الَّذي له مادتان إلى القلب، الَّذي لم يتمكَّنْ فيه الإيمانُ، ولم يزهر فيه سراجُه، حيث لم يتجرَّد للحقِّ المحض الَّذي بعث الله به رسوله، بل فيه مادَّة منه، ومادَّة مِنْ خلافِه، فتارةً يكون للكفرِ أقرب منه للإيمانِ، وتارةً يكون للإيمان أقرب منه للكُفْرِ، والحكم للغالب وإليه يرجع(٣)، وهذا يدل على أنَّ مِنَ النِّفاق ما لا يخرج مِنَ الإيمان، وهو ما لا يكون في الاعتقاد والتَّصديق، ولكنْ مَهْمَا لم يكن واعظُ القلب مساعدًا للإيمان، فربَّما غلبه النِّفاق، فذهب بالقلب، فَمِنْ ثمَّ كان التشبُّه بالمنافقين شديد القُبْحِ، عَظِيْم الخَطَر(٤).

باب: ومن النَّاس من قلبه قلب شيطان

٧. عن حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسول الله، إنَّا كُنَّا بِشرٍّ، فجاء الله بِخَيرٍ، فنحن فيه، فهل من وراءِ هذا الخيرِ شرٌّ؟ قال: ((**نَعَمْ**))، قلتُ: هل وراء ذلك الشَّرِّ خيرٌ؟ قال: ((**نَعَمْ**))، قلتُ: فهل وراء ذلك الخير شرٌّ؟ قال: ((**نَعَمْ**))، قلتُ: كيف؟ قال: ((**يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ**

(١) سورة الإسراء: ٤٥.
(٢) سورة النساء، من الآية: ٨٨.
(٣) انتهى ملخصًا من كلام ابن القيم من كتابه إغاثة اللهفان١/١٣ وما بعدها.
(٤) ينظر: حسن التنبيه لما ورد في التشبيه؛ لنجم الدين الغزي٩/١٧٠.

فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ))، قال: قلتُ: كيف أَصنعُ يا رسول الله، إن أَدركت ذلك؟ قال: ((**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**))(١).

● ما يستفاد من الحديث:

- دلَّ الحديث على أنَّ قلوب بعض أصناف بني آدم هي كقلب الشَّيطان، أي: في الظلمة، والقَساوة، والوسوسة، والتَّلبيس، والآراء الكاسِدة، والأهواءِ الفاسدة(٢)، تُظَلل على النَّاس، وتُفْسِد عليهم أمر دِيْنِهم ودُنْياهم؛ بتزيين الباطل في أعينهم.

- حذف أداة التَّشبيه، ووجه الشبة؛ ليدلَّ على عِظَمِ فساد تلك القلوب، حتى أنَّها صارتْ مثل قلوب الشياطين حقيقة نسأل الله العافية(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري(٣٦٠٦)، مسلم(١٨٤٧)، واللفظ له.

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح٨/٣٨٣٣.

(٣) قَالَ الشيخ نجم الدين الغزي في كتابه حسن التنبه لما ورد في التشبه٦/٣٨: (وهذا الحديث نصٌّ في أنَّ أتباع الولاة الظلمة متشبهون بالشياطين، توافقت قلوبهم وقلوبهم. والولاة الآن والقضاة لا يكادون ينفكون عن الظلم، وجلساؤهم موافقون لهم، ومن خالفهم أو أنكر عليهم فهو مطرود عنهم،...فجليس القاضي الجائر على جوره راضيًا به شيطان، فكيف بمن يعاونه على جوره ويفتح له أبواب الظلم، ويحسِّن له أكل أموال الناس بالباطل، واستدلاء أموالهم إليه. وأقول: إن من كان الآن على ضد ذلك في معاشرة القضاة والولاة لأشبه الناس بالملائكة...وما أرفع مقام هذا الرجل لو كان له في زماننا وجود).

باب: للقلوب سَحَابَةٌ كَسَحَابَةِ القَمَر

٨. عن عليٍّ رضي الله عنه قَالَ سمعتُ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يقول: ((**مَا مِنَ الْقُلُوبِ قَلْبٌ إِلَّا وَلَهُ سَحَابَةٌ كَسَحَابَةِ الْقَمَرِ، بَيْنَا الْقَمَرُ مُضِيءٌ إِذْ عَلَتْ عَلَيْهِ سَحَابَةٌ، فَأَظْلَمَ إِذْ تَجَلَّتْ عَنْهُ فَأَضَاءَ، وَبَيْنَا الرَّجُلُ يُحَدِّثُ إِذْ عَلَتْهُ سَحَابَةٌ، فَنَسِيَ إِذْ تَجَلَّتْ عَنْهُ فَذَكَرَ**))، الحديث(١).

● ما يستفاد من الحديث:

- دلَّ الحديث على أنَّ القلوب يُغَانُ عليها كما ثَبَتَ ذلك في الصَّحيح، فتارةً تكون مشرقةً، وللمعاني مستدركةً، ولربَّها ذاكرةً، وتارةً تكون مُظْلِمَة لا تُدْرك شيئًا(٢). والمعنى أنَّ للإيمان نورًا، تَحْجُبُه المعاصي والذُّنوب، أو الغَفْلة عن الذِّكر(٣)، كما تَحْجُب السَّحابة نور القمر، فإذا انقشَعَتْ السَّحابة أضاءَ القَمَرُ، وكذلك إذا انقشعت المعصيةُ بالتَّوبة والاستغفار، وعاد إلى القلب ماء الذِّكر، أضاء الإيمان في القلب مرَّة أخرى.

---

(١) أخرجه: الخرائطي في اعتلال القلوب(٥٢٢٠)، والطبراني(٥٢٢٠)، واللفظ له، وأبو الشيخ في أمثال الحديث(١٠٧)، والحاكم في المستدرك(٨١٩٩)، وضعَّفه العقيلي في الضعفاء١/١٣٥، وأبو نعيم في الحلية٢/١٩٦، وأنكره الذهبي تلخيصه للمستدرك. والصواب وقفه على عليٍّ رضي الله عنه. وقد سقته مختصرًا. وسبب وروده سؤال أمير المؤمنين عمر لعلي رضي الله عنهما: (الرجل يحدث الحديث إذ نسيه، إذ ذكره).

(٢) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير٩/٤٨٣.

(٣) قال الشيخ العارف بالله عبد الله الهرشي رحمه الله تعالى: (الغفلةُ عَنِ الله تعالى مُصْيبة دهياء، تُصيب الإنسان في حياته الدُّنيوية المؤقَّتة، وينساق شرورها معه إلى حياته الأخرويَّة الدَّائمة، والوقوع فيها أسهل ما يكون، إلا إذا انتبه الإنسان على نفسه فانتبه إلى ربِّه، وكرر هذا الانتباه عدَّة مراتٍ في يومه إن لم يستطع إدامة الانتباه طوال أوقاته، ولعلَّك تعي مِنْ هذه الحقيقة منفعة الإنسان العظمى مِنْ توزيع الصلوات المكتوبة على الأوقات الخمسة، ولعلَّك تفهم أيضًا استحسان السنن والتطوعات؛ فإنَّ الصلاة تذكر بالله جلَّ جلالُه، ومَنْ يَذْكُر اللهَ يرتدع عَنِ الفحشاء والمنكر...). مراتب الكمال بدين الله الإسلام؛ لمولانا الشيخ عبَّاس الحسني: ٣٦.

باب: القلوبُ جُنُوْدٍ مُجَنَّدةٌ

٩. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قال: ((**الْقُلُوبُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**))[١].

● ما يستفاد من الحديث:

– دلَّ الحديث على أنَّ القلوب تأتلفُ وتختلفُ على حسب ما جُعِلَتْ عليه مِنَ التَّشاكل والتَّنافر، فترى البر الخير يُحبُّ شَكْله، ويَنْفر عِنْ ضدِّه، وكذلك الفَاجر[٢]، وكذا كلَّ ذي طَبْعٍ يألفُ بطبعِه محبٌّ، فالعالمُ يألفُ بالعالِم، والجَاهِل يألفُ بالجاهِل، والهَازِل يألفُ بمجالسِ الهَزَلِ، وأهلُ الاجتهادِ يألفونَ بأهلِ الاجتهاد، والرُّجل الصَّالح يحبُّ مجالس الصَّالحين، ويجد سعادة فيها، والرَّجل الفاجر يحبُّ مجالس أهل الفجور، ويجد نفسه ترتاح هناك، فإذا جلبت الصَّالح إلى مجالسِ العصاة شَعَرَ بالضِّيق والكرب الشَّديد؛ لأنَّ قلبه وروحه لا تأتلف مع أصحاب هذه المجالس، ويكون حاله كحال السَّمكة الَّتي أخرجت مِنَ الماء، حياتها في الماء لا على اليابسة، فإنْ عادت إلى مائِها عادت إليها الرُّوح، وإلا ماتت. وكذلك تجد أهل الفجور لا يأنسون بأهل الإيمان، بل يجدون في كلامهم الملل، ويوجِّهون إليهم الخلل، فتراهم يقولون: متخلِّفون، رجعيُّون، مُعقَّدون، كلَّ ذلك؛ لأنَّ أرواحهم وقلوبهم تجد نفرةً، فهي مركَّبة على غير هذه الحالة، والله المستعان.

– ما في الحديث أصلٌ، ولا يعكِّر عليه أنَّ بعضَ المتنافرين ربَّما ائتلفا؛ لأنَّه محمول على مبدأ التلاقي؛ فإنَّه يتعلَّق بأصل الخلقة بغير سببٍ، وأمَّا في ثاني الحال فيكون مكتسبًا؛ لتجدد وصف يقتضي الألفة بعد النَّفرة، كإيمان الكافرِ، وإحسان المسيء[٣].

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الخرائطي(٤٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وكذا من حديث سلمان رضي الله عنه(٤٦١)، وهو ثابت بلفظ: ((**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ**...)). كما روى ذلكم البخاري(٣٣٣٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها، ومسلم(٢٦٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: كشف المشكل؛ لابن الجوزي٣/٥٦٤.

(٣) ينظر: فتح الباري؛ لابن حجر٦/٣٧٠.

باب: نظر الله إلى القلب

١٠. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إلى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إلى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إلى صَدْرِهِ**»[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– دلَّ الحديث على أنَّ الاحتساب والاعتداد لا يُعْتَد بما يظهر إذا لم تكن موافقةً للباطن؛ وذلك لأنَّ الأعمال الظَّاهرة مَنُوطةً بصحَّة السَّرائِر، والإخلاص في النيَّات، ولهذا قَالَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[٢]؛ يريد بذلك أنَّ النِّيات هي المصحِّحة للأعمال، وأنَّها مع إنفرادها عنها لا تقعُ مواقع القَبُول والإجزاء[٣]، والنيَّة في القلب، والقلب هو محل نظرِ الحقِّ، لمحل؛ النِّية والتَّقوى فيه، فلا عبرة بحسن الظَّاهر، وزخرف اللِّسان مع خبث الجنان[٤].

– دلَّ الحديثُ على أنَّ الله وحده هو العالِمُ المطلعُ على ما في القُلوب، وأنَّ القلب هو محلُّ نظرِ الله سبحانه وتَعَالى، وأنَّ الجوارح قد تِكْذِب وتَتَصنَّع في خَشْيَة الله وتعظيْمِه، والقلب خَرابٌ مِنْ ذلك كلِّه، فجديرٌ بالمرء أنْ يعتني بقلبه، وأنْ يعمره عمارة الصدِّيقين، خَشية وانْكسارًا، وتعظيمًا وإجلالًا لله جلَّ وعلا.

– وفي الحديث إشارةٌ واضحةٌ إلى وجود تباين بين الظَّاهر والباطن عند النَّاس، فهناك مَنْ يعتني بإصلاح ظاهره؛ وباطنه خراب، لذلك نبَّه على أنَّ الله مطلعٌ وناظرٌ على ما بطن لا على ما ظهر.

---

(١) أخرجه: مسلم(٢٥٤٦).

(٢) أخرجه: البخاري(١)، واللفظ له، ومسلم(١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) ينظر: كشف المشكل١/٢٧٠.

(٤) ينظر: فيض القدير٥/٤٩.

- كل من صلح باطنُه صلحُ ظاهره، وليس العكس، «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ**»، فصلاح قلب المسلم يظهر على جوارِحِه، بخلاف المنافق، قد لا يظهر فساد قلبه على جوارحه؛ لتكلُّفه في تجميل ظاهره، لذلك جاء الحديث بأنَّ نظر الله يكون على ما في القلب لا على ما يظهر للناس، وفي ذلك يقول الله تَعَالى: {**وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ**}(١)، أي: استخرج ما استتر من الأعمال، وقوله: {**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ**}(٢).

- إنَّ الاعتناء بإصلاح القلب مقدَّم على أعمال الجوارح؛ لتخصيص القلب بالذكر مقدمًا على الأعمال، وإنَّما كان ذلك؛ لأنَّ أعمالَ القلوبِ هي المصححة للأعمال؛ إذ لا يصح عملٌ شرعيٌّ إلا مِنْ مؤمنٍ عالمٍ بمَنْ كلَّفه، مخلصٌ له فيما يعمله، ثمَّ لا يكمل ذلك إلا بمراقبة الحقِّ فيه، وهو الَّذي عبَّر عنه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بالإحسان، إذْ قال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**»(٣).

- لما كانت القلوب هي المصححة للأعمال الظاهرة، وأعمال القلب غيب عنَّا، فلا يقطع بمغيّب أحدٍ؛ لما يرى عليه من صور أعمال الطَّاعة أو المخالفة، فلعلَّ مَنْ يُحافظ على الأعمال الظَّاهرة يعلم الله تَعَالى مِنْ قلبه وصفًا مذمومًا لا تصحُّ معه تلك الأعمال، ولعلَّ مَنْ رأينا عليه تفريطًا أو معصية يعلمُ الله مِنْ قَلْبِه وصفًا محمودًا يُغْفر له بسببه، فالأعمال أمارات ظنيَّة لا أدلَّة

(١) سورة العاديات، الآية: ١٠.

(٢) سورة الطارق، الآية: ٩.

(٣) أخرجه: البخاري(٥٠)، ومسلم(٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنهما.
قال الإمام النووي طيب الله ثراه وقدَّس الله روحه: «هذا من جوامع الكلم التي أوتيها صلَّى الله عليه وسلَّم؛ لأنَّا لو قدرنا أنَّ أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربَّه سبحانه وتعالى لم يترك شيئًا ممَّا يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به فقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان فإن التتميم المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه فلا يقدم العبد على تقصير في هذا الحال للاطلاع عليه وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد فينبغي أن يعمل بمقتضاه فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشيء من النقائص احتراما لهم واستحياء منهم فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعا عليه في سره وعلانيته».

قطعية، ويترتب عليها عدم الغلو في تعظيم مَنْ رأينا عليه أفعالًا صالحة، وعدم الاحتقار لمسلم رأينا عليه أفعالًا سيِّئة، بل تحتقر وتذم تلك الحالة السيِّئة، لا تلك الذات المسيئة. فتدبَّر هذا؛ فإنَّه نظرٌ دقيقٌ(١).

باب: الخواطر تعرض على القلب

١١. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: قَالَ الله: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}**(٢)»(٣).

● **ما يستفاد من الحديث:**

- لما كانت القلوب تُحبُّ الأشياءَ المتجددة والغريبة، أُخبرتْ بوجود ما يزيد على ذلك ممَّا لم يبلغ إلى معرفته، إذ لم ترَ جنسه، وذلك قوله تَعَالى: {**فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**}(٤)، وقد جعل ذلك في مقابلة قيام الليل حين قال: {**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**

---

(١) ينظر: المفهم؛ للقرطبي٦/٥٣٩.

(٢) سورة السجدة، من الآية: ١٧. سُئل مُحَمَّد بن كعب القرظي رحمه الله تَعَالى عن هذه الآية، فقال: إنَّهم أخفوا عملًا، وأخفى الله لهم ثوابًا، فقدموا على الله، فقرَّت تلك الأعين. وقَالَ ابن عبّاس: هو العبد يعمل سرًا أسره إلى الله تَعَالى لم يعمل به للنَّاس، فأسر الله له قرة أعين. ولا شكَّ أنَّ الصالحين يصلحون السرائر قبل إصلاح الظواهر، ولولا حسن سرائرهم لم تحسن ظواهرهم، فعمل السر له الثواب السر الَّذي لم يطلع عليه نبي مرسل، ولا ملك مقرب، لذلك روي أنَّ الله أوحى إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى، لو رأت عينك ما أعددت لعبادي الصالحين، لذاب قلبك، وزهقت نفسك اشتياقًا إليه. ينظر: حسن التنبيه؛ لنجم الدين الغزي٢/٤٤٥.

(٣) أخرجه: البخاري(٣٢٤٤)، واللفظ له، ومسلم(٢٨٢٤).

(٤) سورة السجدة، من الآية: ١٧.

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}(١)، فأخفى جزاءهم؛ لإخفائهم عبادته في الدُّجى(٢).

- دلَّ الحديث على أنَّ الخواطر تُعرض على القَلب، وأنَّ القلب هو محلُّ الخواطر، لذا خُص بالذِّكر دون غيره، فهو العضو المدبِّر والمتحكِّم في الجسد كله، ولا يستطيع عضو أن يخالف أمره.

باب: عرض الفتن على القلوب

١٢. عن حُذيفةَ رضي الله عنه، قال: كنَّا عند عمر رضي الله عنه، فقال: أَيُّكُمْ سمع رسولَ الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يذكُرُ الفِتن؟ فقَالَ قوْمٌ: نحنُ سمعناهُ، فقال: لَعلَّكُم تَعنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَجَاره؟ قالوا: أَجل، قال: تلك تكفِّرها الصَّلَاةُ والصِّيام والصَّدَقَةُ، ولكن أَيُّكُم سمع النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يذكر الَّتي تَمُوجُ موجَ البحرِ؟ قَالَ حذيفة: فأَسْكَتَ الْقَوْم، فقلتُ: أَنا، قال: أَنت للَّه أَبُوكَ، قَالَ حذيفة: سمعتُ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يقول: ((**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا**(٣) **فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا**(٤) **كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا**(٥) **لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**))...الحديث(٦).

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٢) ينظر: كشف المشكل؛ لابن الجوزي٢/٢٨٥.

(٣) الصفا: الحجر الأملس. ينظر: معجم اللغة؛ لابن فارس١/٥٣٥.

(٤) يقال: أربدَّ وجهه، أَي: تغيَّر إلى الغُبرة، والرُّبْدَةُ: لونٌ بين السواد والغبرة. ينظر: النهاية؛ لابن الأثير٢/١٨٣.

(٥) قَالَ أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه غريب الحديث٤/١٢١: (وأمَّا قوله: كالكوز مُجَخِّيا، فإنَّ المجَخي المائل، قَالَ أَبو زِياد: يُقَالَ منهُ قد جَخّى الليلُ إذا مال ليذهب. قَالَ أَبو عبيد: ولا أَحسبهُ أَراد مع ميله إِلَّا أَن يكون منخرق الأَسفل، فشبَّه به القلب الَّذي لَا يعي خيرًا كما لا يثبت الماء في الكوز المنخرق، وكذلك يروى في التَّفسير في قوله تَعَالَى: {**وأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**}).

(٦) أخرجه: البخاري(٥٢٥)، ومسلمٌ(١٤٤)، واللفظ له.

• **ما يستفاد من الحديث:**

– أفاد الحديث على أنَّه سيأتي زمانٌ والفتنُ تحيط بالقلوب، كما يَلصَق الحَصِيْرُ بجنب النَّائم، ويؤثِّر فيه شدَّة التصاقها به[١]، فتصير القلوب كالمحصور المحبوس، وقوله: ((**عُودًا عُودًا**)) أي: فتنةً بعد فتنةً، ومرَّة بعد مرَّة، فإذا قَبِلَها القلبُ وسَكَنَ إليها[٢]، ودخلت دخولًا تامًا، وألزمها وحلَّت منه محلَّ الشَّراب، ومنه قوله تَعَالَى: {**وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ**}[٣] أي: حبَّ العَجْل، ومنه قولهم: ثوب مُشَّرب بِحُمْرةٍ، أي: خالطَتْه الحُمرة مخالطة لا انفكاك لها[٤]، فإذا كان ذلك نُكِتَ في قلبِه نُكْتَة سَوادء بخلاف ما عليه مِنَ الأصلِ والفِطْرَة، حتَّى تكون القلوبُ على قَلْبِيْن، أبيضَ وأسودَ.

– دلَّ الحديث على أنَّ الجوارح وإن كانتْ تابعةً للقلب فقد يتأثَّر القلبُ – وإنْ رئيسها وملكها – بأعمالها؛ للارتباط الَّذي بين الظَّاهر والباطنِ، فالقلبُ كالكفِّ، يُقبضُ منه بكلِّ ذَنْبٍ إصبع، ثمَّ يُطبع كما قَالَ مجاهدٌ رحمه الله[٥].

– تشبيههُ القلب بالصَّفا ليس لما تقدَّم مِنْ بياضه، لكن أُخذ في وصفٍ آخرَ؛ مِنْ شدَّته على عقد الإيمانِ، وسلامتِه مِنَ الخَلَلِ، وأنَّ الفتنَ لم تلصَقْ بِه، ولم تؤثِّر فيه كالصَّفا، وهو الحَجَرُ الأملسُ الَّذي لا يَعْلَقُ به شيءٌ، بخلاف الآخر الَّذي شبَّهه بالكوز الخاوِي الفارغِ مِنَ الإيمانِ، كما قيل في قوله تَعَالَى: {**وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء**}[٦]: لا تعي خَيْرًا[٧].

---

(١) شرح النووي على مسلم٢/١٧١.
(٢) ينظر: كشف المشكل؛ لابن الجوزي١/١٢٨.
(٣) سورة البقرة، من الآية: ٩٣.
(٤) ينظر: شرح النووي على مسلم٢/١٧٢.
(٥) ينظر: تفسير القرطبي١/١٨٩.
(٦) سورة إبراهيم، من الآية: ٤٣.
(٧) ينظر: إكمال المعلم؛ للقاضي عياض١/٤٥١.

باب: لكل قلب وسواس

١٣. عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قَالَ رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**لِكُلِّ قَلْبٍ وَسْوَاسٌ، فَإِذَا فَتَقَ الْوَسْوَاسُ حِجَابَ الْقَلْبِ نَطَقَ بِهِ اللِّسَانُ، وَأَخَذَ بِهِ الْعَبْدُ، وَإِذَا لَمْ يُفْتَقِ الْقَلْبُ وَلَمْ يَنْطِقْ بِهِ اللِّسَانُ فَلَا حَرَجَ**»(١).

● **ما يستفاد من الحديث:**

- دلَّ الحديث على أنَّ لكل قلبٍ وسواسٌ، وهو الشَّيطان الَّذي يُوسوِس في صدور النَّاس كما أخبر بذلك الله سبحانه وتَعَالى وأمرنا بالاستعاذة مِنْ وَسَاوِسِه، ووسوستُه هو الدُّعاء لطاعته بكلامٍ خفيٍ، يصلُ مفهومه إلى القلب مِنْ غَيْرِ سَمَاعِ صوتٍ(٢).

- وفي الحديث دِلالة على أنَّ الإنسان لا ينفكُّ عَنْ وسْوسَة الشَّيطان، وهذا واضحٌ في قوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**إنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ**»(٣)، إلا النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم؛ فقد استسلم له شيطانُه(٤) وكذلك مرَّ أنَّ قلبه قد نُقِّيَ مِنْ حظِّ الشَّيطان.

- وكذلك في الحديث دلالة على أنَّ في القلب حواجز ومصدَّات، إنْ اخترقها الشَّيطانُ وعبرها ظهر أثرُ ذلك على أفعالِ الجوارح، ومنها اللسان، وإن لم يخرقْهَا ولم يَنْطِق بها فهو غير مؤاخذ بذلك، كما جاء في الحديث: «**إنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُوْسُهَا مَا لَمْ تَعْمَل أَوْ تَتَكَلَّم**»(٥). وهذه الحواجز الَّتي على القلب تَتَقَوَّى بالطَّاعة، وتضعف بالمعصية، وكلَّما

---

(١) أخرجه: الخرائطي في اعتلال القلوب(٤٥)، وإسناده منكرٌ كما نص على ذلك الحفَّاظ.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي٢٠/٢٦٣.

(٣) أخرجه: البخاري(٢٠٣٨)، ومسلم(٢١٧٥) من حديث صفية رضي الله عنها.

(٤) أخرجه: مسلم(٢٨١٤) من حديث بن مسعود رضي الله عنه، ونصُّه: قَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ**» قالوا: وإِيَّاك يا رسول الله؟ قال: «**وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ**».

(٥) أخرجه: البخاري(٥٢٦٩)، واللفظ له، ومسلم(١٢٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كان العبد أتقى، كان حاجزه أقوى[١]، ومنْ أقْوَى الحواجز ذِكْرُ الله سبحانه وتعالى، روي: ((إذا تمكَّن الذِّكرُ في القلب، وجاء الشَّيطان صُرِع، فيقول أصحابه مِنَ الجنِّ: إنَّ الإنسيَّ مسَّ الجني))، فما مِنْ مؤمنٍ إلا وعلى قلبه شيطانٌ إذا ذكرَ اللهَ خَنَسَ، وإذا نَسِيَ الله وسوَسَ، فبين الجوع والذكر، قيل: لأحدهم: أيُّ الطعام تشتهي، قال: لقمة مِنْ ذِكْرِ الله تُرفع بيد اليقين، مِنْ مائدةِ الخُلْدِ، عند حسن الظنِّ بالله[٢].

بابُ: قَلْبُ ابنِ آدَم بِكُلِّ وادٍ شُعْبَة

١٤. عن عمرِو بنِ العاصِ رضي الله عنهما، قال: قَالَ رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**إِنَّ مِنْ قَلْبِ ابْنِ آدَمَ بِكُلِّ وَادٍ شُعْبَةً، فَمَنِ اتَّبَعَ قَلْبُهُ الشُّعَبَ كُلَّهَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ بِأَيِّ وَادٍ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ كَفَاهُ التَّشَعُّبَ**))[٣].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- في الحديث دلالة على أنَّ في القلب أوديةٌ وشعبٌ مِنْ أنواعِ التَّفكر المختلفة، باختلاف الأغراض والنيَّات والشَّهوات[٤]، كحب المال، والجاه، وطول العُمر وغيرها مِنَ الذَّمائِم، فَمَنْ أَتْبَعَهَا قَلْبَهُ، تاه في شُعَبِ الهُموم، وفي أودية الغُمُومِ[٥]، وأمَّا مَنْ أبصرهَا، وَعرفَ طُرُقَها، وما تؤدِّي إليه، أيقنَ أنْ لا سبيلَ في النَّجاة منها، والتَّخلص مِنْ شرها إلا ببناءِ جِسرٍ مِنْ التوكُّل والاعتماد

---

(١) لذلك نجد امرأة العزيز لما شغفها يوسف حبًّا، والشغف هو: حجاب القلب، فالمعنى: حبُّ يوسف خرق شغاف قلبها، استسلمت للشيطان ووساوسه، ثمَّ راحت تبحث عن تحقيق المعصية. ولكنى أنَّ لها وقلب يوسف قد أخلص للرحمن!

(٢) ينظر: ميزان الاعتدال؛ للشيخ عبَّاس الحسني(المحبوبات): ٨١.

(٣) أخرجه: ابن ماجه(٤١٦٦)، وإسناده ضعيف؛ فيه صالح بن رزيق العطار، وقد أنكر عليه هذا الخبر. ينظر: ميزان الاعتدال؛ للذهبي٢/٢٩٤ترجمة(٣٧٩٠).

(٤) ينظر: السراج المنير؛ للصنعاني٢/١٠٩.

(٥) ينظر: مرقاة المفاتيح٨/٣٣٢٩.

على الله عزَّ وجل، يعلوه القناعة والرضى عن الله سبحانه وتعالى؛ ليكفيه ما أهمَّه، مِنْ غنى النَّفس، وراحة القلب.

بابُ: وَاعِظُ اللهِ في قَلْبِ كلِّ مُسلمٍ

١٥. عن النَّوَّاسِ بنِ سمعَان الأَنصاريِّ رضي الله عنه، عن رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قال: ((**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنِ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ**))(١).

● **ما يستفاد من الحديث:**

- دلَّ الحديث على أنَّ في قلب المسلم حُجج الله عزَّ وجلَّ؛ تَنْهَاه عَنِ الدُّخول فيما مَنَعَهُ الله عزَّ وجلَّ وَحَظَرَهُ عليه، وإنَّما هي واعظُ الله في قَلْبِه مِنَ البَصَائِرِ الَّتي جعلها فيه، والعلوم الَّتي أودَعَه إيَّاها، فكما أنَّ الواعظ مِنَ الآدميينَ هو الَّذي يَنْهَى النَّاس عِنِ الوقوعِ فيما حرَّم الله عليهم، كذلك تلك البصائر تَنْهَى صاحبها عَنْ مُخَالفة الله سبحانه وتَعَالى(٢). فَمَا مِنْ عَبْدٍ إلا وله عينان في وجْهِهِ يُبْصِر بِهِمَا أمرَ الدُّنيا، وعينان في قلبِهِ يُبْصِر بِهِمَا أمرَ الآخرة، فإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا فتح عيْنَيْه اللتين في قلبه فأبصرَ بهما ما وَعَد اللهُ بالغيب، فأمَنَ الغَيْبَ بالغَيْبِ، وإذا

---

(١) أخرجه: أحمد(١٧٦٣٤)، والترمذي(٢٨٥٩)، وقال: (حسن غريبٌ)، وصححه الحاكم(٢٤٥)، وكذا صححه ابن كثير في تفسيره١/١٣٩.

(٢) ينظر: شرح مشكل الحديث؛ للطحاوي٥/٣٩١.

أراد الله به غير ذلك تَرَكَهُ على ما فيه كما قَالَ تَعَالى[١]: {**أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**}[٢]، وقوله: ((**وَاعِظُ اللَّهِ**)) هو لمة الملك الَّتي في قلب المؤمن، واللَّمة الأخرى هي لمة الشيطان، وإنَّما جعل لمة الملك الَّتي هي واعظ الله فَوْقَ داعي القرآن؛ لأنَّه إنَّما ينتفع به إذا كان المحلُّ قابلاً، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الله تَعَالى[٣]: {**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**}[٤]. فَمَنْ لم يجدْ في قَلْبِه وَاعِظًا يَعِظه عِند الزَّلَّة، فليبحث عَنْ حياةِ قَلْبِه، فقلب المؤمن الحيُّ يطلق صَرَخَات عند ارتكابِ الحظر، أو مخالفةِ الأمرِ، ولا يَطْمَئِن بالمعصية أبدًا، ولا ينشَرِح بهَا أبدًا[٥].

باب: استفتاء القلب

١٦. عن وابِصَةَ بنِ معبدٍ الأَسديِّ رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قَالَ لوابصةَ: ((**جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟**)) قَال: قُلتُ: نعم، قال: فجمعَ أَصابِعَهُ فضربَ بها صدْرَهُ، وقال: ((**اسْتَفْتِ نَفْسَكَ، اسْتَفْتِ قَلْبَكَ يَا وَابِصَةُ – ثَلَاثًا –؛ الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ**))[٦].

---

(١) سورة مُحَمَّد، من الآية: ٢٤.

(٢) ينظر: اعتلال القلوب؛ للخرائطي(٤٣).

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢.

(٤) ينظر: شرح المشكاة؛ للطيبي٢/٦٥٤.

(٥) قَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى١٠/٤٧٥: (فقد بين أنَّ في قلب كل مؤمن واعظٌ، والواعظ الأمر والنهي، بترغيب وترهيب؛ فهذا الأمر والنهي الَّذي يقع في قلب المؤمن مطابق لأمر القرآن ونهيه، ولهذا يقوى أحدهما بالآخر. كما قَالَ تَعَالى: {**نُورٌ عَلَى نُورٍ**} قَالَ بعض السلف في الآية: هو المؤمن ينطق بالحكمة وإن لم يسمع فيها بأثر، فإذا سمع بالأثر كان نورًا على نور. نور الإيمان الَّذي في قلبه يطابق نور القرآن كما أن الميزان العقلي يطابق الكتاب المنزل؛ فإن الله أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط. وقد يؤتى العبد أحدهما ولا يؤتى الآخر... والإلهام في القلب تارة يكون من جنس القول والعلم والظن والاعتقاد وتارة يكون من جنس العمل والحب والإرادة والطلب فقد يقع في قلبه أن هذا القول أرجح وأظهر وأصوب وقد يميل قلبه إلى أحد الأمرين دون الآخر).

(٦) أخرجه: أحمد(١٧٧٤٢)، والدرامي(٢٥٧٥)، وضعفه أبو نعيم في الحلية٦/٢٥٥.

● ما يستفاد من الحديث:

– في الحديث دِلالةٌ على أنَّ الله فَطَر القلوبَ السَّليمة على معرفة الحقِّ، وأنَّ القلب يَسْكُنُ إلى ذلك الحقِّ ويقْبَله، بخلاف الإثْم، فإنَّ القلب السَّليم يُنْكره[١].

– دلَّ الحديث على أنَّ القلب في الصَّدر، وهذا متفق عليه طبعًا، ولكن أخبر أنَّ العزم والشك والتردد يكون فيه لا في الدِّماغ، فالعيون ترى، والعقول تقرأ، والقلوب تحسِم.

– في الحديث دِلالة على أنَّ الحقَّ والبَاطل لا يلتَبِس أمرهما على المؤمن البَصِيْر، بل يُعرف الحقُّ بالنُّور عليه، فيقبله قلبُه، وينفر عَنِ البَاطل، فينكره ولا يعرفه[٢].

– الرجوع إلى القلوب عند الاشتباه، فما إليه سَكَنَ القلبُ، وانشرح إليه الصَّدر، فهو البرُّ والحلال، وما كان خلاف ذلك، فهو الإثمُ والحرام.

– عَطَفَ اطمئنان القلب على اطمئنان النَّفس؛ للتقرير والتأكيد؛ فإنَّ النَّفس إذا تردَّدت في أمرٍ، وتحيَّرت فيه، وزال عنها القرار، استتبع ذلك خفقانًا للقلب؛ للعلاقة الَّتي بينها وبين القلب الَّذي هو متعلق الأول لها، فتنقل العلاقة إليه مِنْ تلك الهيئة أثرًا، فَيَحْدث فيه خفقانٌ واضطرابٌ، ثمَّ ربَّما يسري هذا الأثر إلى سائر القِوى، فتحس بها الحلال والحرام، فإذا زال ذلك عَنِ النَّفس، وحَدثَ لها قرار وطمأنينة انعكس الأمر، وتبدَّلت الحال على ما لها مِنَ الفروع والأعضاء[٣].

– استفتاء القلب يكون في الأمور الَّتي ليس فيه نصٌ مِنَ الله ورسوله، ولا عمَّن يُقتدى بقوله مِنَ الصَّحابة وسلف الأمة، فإذا وقع في نفس المؤمن المطمئن قلبُه بالإيمان، المنشرح صدرُه بنور المعرفة واليقين منه شيء، وحاك في صدره؛ لشبهةٍ موجودةٍ، ولم يجد مَنْ يُفْتِي فيه بالرُّخصة إلَّا مَنْ

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم٢/٩٩.
(٢) المصدر نفسه٢/١٠٠.
(٣) ينظر: شرح المشكاة؛ للطيبي٧/٢١٠٨.

يخبر عن رأيه وهو ممَّن لا يوثق بعلمه وبدينه، بل هو معروف باتِّباع الهوى، فهنا يرجع المؤمن إلى ما حاك في صدره، وإن أفتاه هؤلاء المفتون[١].

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم٢/١٠٣.

الفصل الثاني

قلب النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وبعض ما ورد في أحواله

وقال عبد اللَّه بن مسعُودٍ رضي الله عنه: إِنَّ اللَّه نَظَرَ في قلوب العبادِ، فوجد قلبَ مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم خير قلوب العبادِ، فاصطفاهُ لنفسه، فابتعثَهُ برسالته، ثُمَّ نظر في قلوب العباد بعد قلب مُحَمَّد، فوجد قلوب أَصحابه خير قلوب العباد، فجعلهُم وزراء نبيِّه، يُقاتلون على دينه، فما رأَى المسلمون حسنًا، فهوَ عند اللَّه حسنٌ، وما رأَوا سيِّئًا فهو عند اللَّه سيِّئٌ[١].

باب: سلامة قلب النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم من حظ الشيطان

١٧. عن أَنس بن مالكٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أَتاهُ جبريلُ عليه السلام وهو يلعَبُ مع الغلمانِ، فأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فشقَّ عن قلبه، فاستخْرج القلب، فاستخرج منه علقةً، فقال: هذا حظُّ الشَّيطان منك، ثمَّ غَسَلَهُ في طَسْتٍ مِنْ ذهبٍ بماءِ زَمزمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعادهُ في مكانه، وجاء الغِلْمَانُ يسعون إلى أُمِّهِ - يعني ظِئْرَهُ - فقالوا: إِنَّ مُحَمَّدا قدْ قُتِلَ، فاستقبَلُوهُ وهو مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنسٌ: وقد كنتُ أَرى أَثَر ذلك المخيطِ في صدره[٢].

- **ما يستفاد من الحديث:**

- دلَّ الحديث على أنَّ قلب النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قد سَلِمَ مِنْ حَظِّ الشَّيطان، أي: نَصِيْبَه لو دامَ مَعَهُ[٣]، فأصبح قلبه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم لا يَقْبَل العوارض الشَّيطانيَّة، فَشُقَّ هنا الشَّق الأوَّل[٤]؛ لاستعداده لنزع العلقة الَّتي قيل له عندها (هذا حظ الشيطان منك)[٥]، والعلقة:

---

(١) أخرجه: أحمد(٣٦٠٠)، وصححه الحاكم في المستدرك(٤٤٦٥)، وحسَّنه الشيخ شعيب في تعليقه على مسند الإمام أحمد٦/٨٤حاشية(٣)، وهو كما قال.

(٢) أخرجه: مسلم(١٦٢).

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح٩/٣٧٤٣

(٤) وفي الحديث الآتي الشق الآخر بعد النبوة عندما أسري به.

(٥) ينظر: فتح الباري؛ لابن حجر٧/٢٠٥.

قِطْعَةُ دَمٌ، وهذه العلقة المنتزَعَة عنه، هي القابلة للوساوِس، والمحرِّكة للشَّهوات، فأُزِيل ذلك عنه، وبذلك أُعين على شيطانه حتّى سلم منه(١).

– في الحديث إشارةٌ إلى فضيلة ماء زمزم على بقيَّة المياه، وأنَّ له أثرًا طيبًا على القلوب، ولا شكَّ أنَّ غسل القلوب بهذا الوصف متعذر بالنِّسبة لنا؛ فهو مُعْجِزَة خاصة للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، ولكنْ مِنَ الجيد شُرب ماء زمزم؛ بنيَّة طهارة القلب، وتنقيتَه مِنَ الخواطر الشَّيطانيَّة(٢).

باب: قلب النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم محشوٌ بالحكمةِ والإيمانِ

١٨. عن أَنس بن مالكٍ رضي الله عنه، عن مالك بن صعصعَةَ رضي الله عنهما، أنَّ نبيَّ الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم حدَّثهم عن ليلة أسري به، قال: ((**بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ، – وربَّما قال: فِي الحِجْرِ – مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدَّ: قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إلى هَذِهِ**(٣)**، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ**))(٤).

---

(١) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم٢/١٤٦.

(٢) تكملة: قَالَ العلَّامة ابن الجوزي في كشف المشكل٣/٣٠٣: (فإن قيل: قد خلق رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم مختونًا مسرورًا، فهلَّا ولد مطهَّر القلب من حظ الشيطان. فالجواب: أنَّ هذه الأمور؛ جُعلت لامتحان العقول، كما خَلق القلفة، وأمر بقطعها، وحوَّل من قبلة إلى قبلة. فمن اعترض على تصاريف من تصرُّف الليل والنهار فهو سفيه، وإنَّما يقع الاعتراض؛ لأنَّهم يحملون أمره على المشاهد، وإنَّ من بنى ثمَّ هدم ثمَّ عاد فبنى كان مستدركًا أمرًا لم يكن عمله، فمتى لم يكن مستدركًا كان بالهدم عابثًا، والأمران لا يجوزان على الله تَعَالى، وأمَّا المحققون فإنَّهم يسلمون. ثمَّ قد بان وجه الحكمة في هذا: أنَّ ولادته مختونًا مسرورًا تبين للخلق إنعام الحق في حقه، ولو خلق سليم القلب ممَّا أخرج في باطنه لم يعلم بذلك، فالإعلام بإخراج شيء كان بقاؤه يؤذي إنعام آخر، على أنه خلق طاهرًا، لكنه زيد تنظيف طريق الوحي وتأكيد أمر العصمة).

(٣) جاء مدرجًا في أصل الخبر: (فقلتُ للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثُغرَةِ نحره إلى شِعرتِهِ).

(٤) أخرجه: البخاري(٣٨٨٧)، واللفظ له، ومسلم(١٦٤).

● **ما يستفاد من الحديث:**

– هذا الشَّق الثَّاني، وهو بعد البعثة، وفيه مُلأ قلبُه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بالإيمان والحكمة، والرَّأفة والرَّحمة كما صحَّ في الرُّوايات، وأمَّا الشق الأول فيغايره؛ بأنَّه كان لتنقية قلبه مِنَ الهوى وحظِّ الشَّيطان، وهذا ليُملأ بالحكمة والإيمان.

– الحكمة في شقِّ قلبِه مع القدرة على أنْ يمتلىء قلبُه إيمانًا وحكمة بغير شقٍّ؛ الزيادة في قوَّة اليقين؛ لأنَّه أعطي برؤية شقِّ بطنه، وعدم تأثُّره بذلك، ما أَمِنَ معه مِنْ جميع المخاوف العاديَّة، فلذلك كان أشجعَ النَّاس وأعلاهم حَالًا ومَقَالًا[(١)].

– دلَّ الحديث على شرف القلب، وأنَّ بصلاحِه صلاح الإنسان، فجديرٌ بالمسلم، أنْ يحرِصَ على تزكية قلبِه، وأنْ يغسلَه بالآيات والذِّكر، وأنْ يسلمه لأحكام خالقه، وأنْ ينقيه مِنْ حَظِّ الشَّيطان، بل وَمِنْ حَظِّ النَّفسِ، فرسولُ الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم شُقُّ صدرُه واستُخْرِجَ القلب منه مرَّتين كما تقدَّم، مرَّة أُخرج مِنْ قلبه حظ الشَّيطان، ومرَّة حُشي قلبه فيها بالحكمة والإيمان. وفي ذلك درسٌ يجب أن نتعلمه، فقلوب الدُّعاة إلى الله إن لم تكن سالمة مِنْ حظوظِ النَّفس والهوى والشَّيطان، وإن لم تكن مملوءة بالرَّحمة والعلم والإيمان، والشَّفقة على هذه الأمة، لن تفلح في دعوتِها؛ فالإصلاح يبدأ مِنَ القلب أولًا. فإذا صلح القلبُ صلحت الجوارح، وإذا صلحت الجوارح تأهَّل للدعوة، فكان داعيةً بلسان الحال قبل لسان المقال، وهكذا هو رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بأبي وأمي ونفسي وولدي وما أحببتُ.

(١) ينظر: فتح الباري؛ لابن حجر٧/٢٠٦.

باب: النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أتقى النَّاس قلبًا

١٩. عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يأمُرُهُم بما يُطيقُون فيقُولُون: إنَّا لسنا كهيئَتِك؛ قد غَفَرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ لك، ما تقدَّمَ من ذنبِكَ، وما تأَخَّر، فيغضَبُ حتَّى يُرى ذلكَ في وجهه: ثمَّ يقولُ: «**وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ قَلْبًا**»[١].

● ما يستفاد من الحديث:

– فيه إضافة التَّقوى إلى القلب؛ لأنَّه موطنها، وهي مِنْ صفاتِ القلوب[٢]، فأخبر صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أنَّه أعلمُهم بالله، وأتْقاهم له قلبًا، وأنَّ معرفته بربِّه زادته خشيةً له وتقوى، فإنَّ العلم التَّام يستلزم الخشية، كما قَالَ تَعَالى {**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**}[٣]، فمَنْ كان بالله وبأسمائه وصفاتِه وأفعاله وأحكامِه أعلم، كان له أخشى وأتقَى، وإنَّما تَنْقُص الخشية والتَّقوى بحسب نقص المعرفة بالله[٤].

---

(١) أخرجه: أحمد(٢٤٣١٩)، واللفظ له، والبخاري(٢٠).

(٢) قَالَ الحافظ ابن رجب في فتح الباري١/٨٩: (كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يأمر أصحابه بما يطيقون من الأعمال، وكانوا لشدَّة حرصهم على الطاعات، يريدون الاجتهاد في العمل، فربَّما اعتذروا عن أمر النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بالرفق، واستعماله له في نفسه؛ أنَّه غير محتاج إلى العمل؛ بضمان المغفرة له، وهم غير مضمون لهم المغفرة، فهم يحتاجون إلى الاجتهاد ما لا يحتاج هو إلى ذلك، فكان صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يغضب من ذلك، ويخبرهم أنَّه أتقاهم وأعلمهم به. فكونه أتقاهم لله، يتضمن شدَّة اجتهاده في خصال التقوى، وهو العمل، وكونه أعلمهم به، يتضمن أنَّ علمه بالله أفضل من علمهم بالله، وإنَّما زاد علمه بالله لمعنيين: أحدهما: زيادة معرفته بتفاصيل أسمائه وصفاته، وأفعاله وأحكامه، وعظمته وكبريائه، وما يستحقه من الجلال والإكرام والإعظام. والثاني: أنَّ علمه بالله مستند إلى عين اليقين، فإنَّه رآه إمَّا بعين بصره، أو بعين بصيرته، كما قَالَ ابن مسعود وابن عباس وغيرهما: رآه بفؤاده مرتين، وعلمهم به مستند إلى علم يقين، وبين المرتين تباين، ولهذا سأل إبراهيم عليه السلام ربَّه أنْ يرقيه من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين بالنسبة إلى رؤية إحياء الموتى).

(٣) سورة فاطر، من الآية: ٢٨.

(٤) ينظر: فتح الباري؛ لابن رجب١/٩٠.

– وفيه اجتهاده صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم في عمله، وغضُبُه مِنْ قولهم دليلٌ أنَّه لا يجب أن يَتَّكل العامل على عمله، وأن يكون بين الرَّجاء والخوْفِ.

– وفيه مِنَ الفقه: أنَّ الرَّجُل الصالح يلزمه مِنَ التَّقوى والخشية ما يلزم المذنب التَّائب، لا يُؤَمِّن الصَّالح صلاحه، ولا يؤيِّس المذنب ذنبه ويقنطه، بل الكلُّ خائف راجٍ، وكذلك أراد تَعَالى أنْ يكون عباده واقفين تحت الخوفِ والرَّجاء، اللذين ساسَ بهما خلقه سياسة حكمه لا انفكاك منها[١].

– وفيه مِنَ الفقْه أنَّ للإنسان أن يُخبر عَنْ نفسِه بما فيه مِنَ الفَضْل؛ لضرورة تدعوه إلى ذلك؛ لأنَّ كلامه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بذلك وقع فى حال عِتاب لأصحابه، ولم يُرِد به الفَخْر[٢]، كقوله: «**أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدم يَوْمَ القِيَامَةِ ولا فَخَرٍ**»[٣].

باب: تنام عيني النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم ولا ينام قلبه

٢٠. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ: يا رسول اللَّه، أَتنامُ قبلَ أَن تُوتر؟ قال: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي**»[٤].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– أنَّ حال النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يختلف عَنْ حال أمَّته في النَّوم، وهذه مِنْ أعلى مراتب الأنبياء، عليهم الصلاة والسَّلام، ولذلك قالوا: «رؤيا الأنبياء وحى»[٥]؛ لأنَّهم يفارقون سائر البشر

(١) ينظر: شرح ابن بطال ٧٣/١.
(٢) المصدر نفسه ٧٣/١.
(٣) أخرجه: أحمد(١٠٩٨٧)، وابن ماجه(٤٣٠٨)، وحسَّنه الترمذي(٣١٤٨)، وأخرجه مسلم(٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه من غير قوله: «**ولا فخر**». قلت: ومن الشدائد على النَّفس أنْ يضطر الإنسان إلى مدح نفسه.
(٤) أخرجه: البخاري(٢٠١٣)، واللفظ له، ومسلم(٧٣٨).
(٥) ينظر: البخاري(١٣٨). من قول عبيد بن عمير.

في نوم القلب، ويساوونهم في نوم العين(١)، فإنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام تنامُ عيناه ولا ينام قلبُه، وأنَّ هذا الأمر يشترك به عموم الأنبياء(٢)، وقد كان للعلماء مذاهب في تفسير هذا النَّص، أشهرهما قولين:

الأول: أنَّ ذلك خاصٌّ في الأمور الحسية، كالحَدَثِ والألم، وذلك أنَّ النَّائم قد يكون منه الحَدَثُ وهو لا يشعر به، وليس كذلك رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم؛ فإنَّ قلبَه لا ينام حتَّى لا يشعر بالحدث إذا كان منه بخلاف طلوع الفجر وغيره، ممَّا يتعلق بالعين، فإنَّما يدرك ذلك بالعين، والعين نائمة وإن كان القلب يقظان (٣).

الثاني: إنَّ هذا كان هو الأعم الأغلب مِنْ حاله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، ولا يمنع أنَّه في النَّادر قد يخامر قلبه النَّوم ويستولي عليه، كنومه في سفره عَنْ صلاة الصُّبح؛ لِيَسُنَّ لأمتِه أنَّ الصَّلاة لا يسقطها خروج الوقت وإن كان مغلوبًا بنومٍ أو نسيانٍ(٤).

---

(١) ينظر: شرح ابن بطال٣/١٤٢.

(٢) قَالَ ابن عبد البر في التمهيد٥/٢٠٨: «ونومه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم في ذلك الوقت عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس أمر خارج –والله أعلم– عن عادته وطباعه وطباع الأنبياء قبله، وأظنُّ الأنبياء مخصوصين بأن تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم على ما روي عنه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، وإنَّما كان نومه ذلك؛ ليكون سنة والله أعلم؛ وليعلم المؤمنون كيف حكم من نام عن الصلاة أو نسيها، حتى يخرج وقتها، وهو من باب قوله عليه السلام: «**إنِّي لأنسى أو أنسى؛ لأسن**»، والَّذي كانت عليه جبلته وعادته صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أن لا يخامر النوم قلبه، ولا يخالط نفسه، وإنَّما كانت تنام عينه، وقد ثبت عنه أنه قال: «**إنَّ عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي**»، وهذا على العموم؛ لأنَّه جاء عنه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**إنَّا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا**». ولا يجوز أن يكون مخصوصًا بذلك؛ لأنَّها خصلة لم يعدها في الست الَّتي أوتيها ولم يؤتها أحد قبله من الأنبياء، فلمَّا أراد الله منه ما أراد؛ ليبين لأمته صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قبض روحه وروح من معه في نومهم ذلك، وصرفها إليهم بعد طلوع الشمس؛ ليبن لهم مراده على لسان رسوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، وعلى هذا التأويل جماعة أهل الفقه والأثر».

(٣) ينظر: معالم السنن؛ للخطابي١/١٣٨. وقد صحح هذا الإمام النووي في شرحه على مسلم٥/١٨٤، والحافظ في فتح الباري١/٤٥٠.

(٤) شرح ابن بطال٣/١٤٣.

وأمَّا سبب أنَّ عيني النَّبي تنام ولا ينام قلبه؛ قيل: إنَّ ذلك مِنْ أجل أنَّه يوحى إليه في مَنَامِه، فلا ينبغي لقلبه أنْ ينَام[١].

باب: الغين على القلب

٢١. عن أَبي بُردة، عن الأَغرِّ المزنِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، قال: ((**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**))[٢].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– يحتمل الحديث معنيين: أحدهما أنَّ معرفة الله عزَّ وجلَّ عند العارف، كل لحظة تزيد؛ لما يستفيده مِنَ العلم به سبحانه، فهو في صعود دائمٍ، فكأنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم كان كلَّما ارتقى عن مقام بما يستفيده مِنَ العلم بالله عز وجل حين قَالَ له: {**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**}[٣]، يرى ذلك الَّذي كان فيه نقصًا وغطاءً، فيستغفر مِنَ الحالة الأولى، ومِنْ هذا المعنى قيل: حسنات الأبرار ذنوب المقرَّبين.

– الثانية: أنَّ التَّغطية على قلبِه كانت لتقوية الطَّبع على ما يلاقي، فيصير بمثابة النَّوم الَّذي تستريح فيه الأعضاء مِنْ تعب اليقظة، وذلك أنَّ الطَّاعة على الحقائق، ومواصلة الوحي تضعف قلبه، وتوهن بدنه، وقد أشار عز وجل إلى هذا في قوله: {**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**}[٤]، وقوله: {**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**}[٥]، فلولا أنَّه كان يتعاهد بالغفلة، لما عاش بدنُه؛ لثقل ما يعرض لهُ، وقد كان عليه الصَّلاة السَّلام يتعرَّض لهذه

---

(١) ينظر: معالم السنن؛ للخطابي ١٣٨/١.
(٢) أخرجه: مسلم(٢٧٠٢).
(٣) سورة طه، من الآية: ١١٤.
(٤) سورة المزمل، الآية: ٥.
(٥) سورة الحشر، من الآية، ٢١.

التَّغطية بأسباب يلطف فيها طبعه، كالمزاح ومسابقة عائشة، وتخيُّر المستحسنات، وكل ذلك ليعادل عنده مِنْ قوَّة اليقظة، واستغفاره في تلك الحالة؛ لأنَّه يراها بالنِّسبة إلى الجِدِّ تقصيرًا(١).

– دلَّ الحديث على عظم نفع الاستغفار بالنِّسبة للقلب، والاستغفار في الحديث هو تجديد التَّوبة لله سبحانه وتَعَالى، فَحُقَّ على التَّائب أن يجعل ذنبه نصب عينيه، وينوح دائمًا عليه؛ حتى يتحقق أنَّه قد غُفِرَ له ذنبه، ولا يتحقَّق أمثالنا ذلك إلا بلقاء الله تَعَالى، فواجب عليه ملازمة الخوف مِنَ الله تَعَالى أبدًا(٢).

باب: لا يؤاخذ المرء بحزن القلب

٢٢. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يعوده مع عبد الرَّحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقَّاص، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلمَّا دخل عليه فوجده في غاشية أهله، فقال: ((**قَدْ قَضَى**))؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، فلمَّا رأى القوم بكاء النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بكوا، فقَالَ ((**أَلاَ تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلاَ بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا**

(١) ينظر: كشف المشكل؛ لابن الجوزي٤/٢٣٢. وقد استفاض الشُّراح في بسط هذا الحديث بالنسبة لحاله النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، وقد اختصرت ألخص ما قيل، ومن أرادة الزيادة، فلينظر شرح الحديث في مظانه.

(٢) ينظر: المفهم؛ للقرطبي٧/٢٩. قَالَ العلامة ابن القيم في كتابه مدارج السالكين٣/٢١١: (المكاشفة الصحيحة: علوم يحدثها الرب سبحانه وتَعَالى في قلب العبد، ويطلعه بها على أمور تخفى على غيره، وقد يواليها وقد يمسكها عنه بالغفلة عنها، ويواريها عنه بالغين الَّذي يغشى قلبه، وهو أرق الحجب، أو بالغيم، وهو أغلظ منه أو بالران، وهو أشدها.

فالأول: يقع للأنبياء عليهم السلام، كما قَالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**إنَّه ليغانُ عَلَى قَلْبِي، وإنِّي لأَسْتَغْفِرَ اللهَ أكثرَ مِنْ سَبْعِيْنَ مرَّة**)).

والثاني: يكون للمؤمنين.

والثالث: لمن غلبت عليه الشقوة، قَالَ الله تَعَالى: {**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**}. قَالَ ابن عباس وغيره: هو الذنب بعد الذنب، يغطي القلب، حتى يصير كالران عليه).

– **وَأَشَارَ إلى لِسَانِهِ – أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**)) وكان عمرُ رضي الله عنه: يضرِبُ فيه بالعصا، ويرمي بالحجارة، ويَحثِي بالتُّراب[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– في الحديث دلالة أنَّ المرءَ لا يُعذب بدمع العين، ولا بحزنِ القلب، وإنَّما يعذب بالقَوْلِ السَّيئ، ودعوى الجاهلية[٢]؛ لأنَّ فيهما تضجُّر وسَخَط.

– لم يَقع العذاب على البكاء والحزن لثلاثة أَشْياء: أَحدها: أَنَّه لا عيب، إِذْ لا يخالفان المشروع. والثَّاني: أَنَّهُما أثر رقَّةِ القلب، وتلهفه على فراق المألوف، وهذا أَمر مركوز فِي الطَّبع. والثَّالث: أَنَّهُما لا يملكان، ولا يُمكن ردهما، فلم تقع بهما مُؤاخذة[٣].

– دلَّت الأحاديث أنَّ الحزنَ والدَّمع مع التَّسليم والرضى هي رحمة الله، يثاب عليها.

– خصَّ الحديثُ الحزنَ دون غيره؛ لأنَّه دال على رقَّة القلب بخلاف التَّضجر والسَّخط والجَزَع.

– فيه رقة قلب النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وكمال رحمتِه وعطْفِه على أمَّته صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، وأنَّ قلبَه يَحْزَن؛ رحمة ورقَّة على فَقْد مَنْ يُحبَّ كسائر الخلق، مع التَّسليم والرضى لله سبحانه وتَعَالى.

باب: ومِنَ البُكَاء مَا هُو رحْمَة جَعَلَهَا اللهُ في قُلُوْبِ عِبَادِه

٢٣. عن أُسامة بن زيدٍ رضي الله عنهما، قال: أرسلتِ ابنةُ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم إليه إنَّ ابنًا لي قُبِضَ، فأْتنا، فأَرْسل يُقْرِئُ السَّلام، ويقول: ((**إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ**))، فأَرسلتْ إليه تُقْسِمُ عليه ليأتينَّها، فقام ومعه سعدُ

(١) أخرجه: البخاري(١٣٠٤)، واللفظ له، ومسلم(٩٢٤).
(٢) ينظر: شرح ابن بطال٢٨٩/٣.
(٣) كشف المشكل؛ لابن الجوزي٥٦٨/٢.

ابنُ عُبادة، ومعاذُ بن جبلٍ، وأُبيُّ بن كعبٍ، وزيد بنُ ثابتٍ ورجَالٌ، فرُفِعَ إلى رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ - قال: حسبْتُهُ أنَّهُ قَالَ كَأَنَّهَا شَنٌّ - فَفاضتْ عيناه، فقَالَ سعدٌ: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: ((**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**))[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- دلَّ الحديث على أنَّ مجرَّد البُكاء ودمع العين ليس بحرامٍ، ولا مكروهٍ، بل هو رحمةٌ وفضيلةٌ، وإنَّما المحرَّم النَّوح والنَّدب، والبكاء المقرون بهما أو بأحدهما[٢].

- أشار الحديث إلى أنَّ هذه الدَّمعات هي رحمةٌ، وهي مِنَ الله تَعَالى، يثاب العبد عليها، وهي أمارة على رقَّة القلوب وعدم قَسْوَتها.

- دلَّ الحديث أنَّ هدي نبيِّنا صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم هو إظهار الحزن عند الحُزن، والسُّرور عند السُّرور، وهو خَيْرُ الهدي، وهو سنَّ الخشوع للميِّت، والبكاء الَّذي لا صوتَ مَعَهُ، وحزن القلب، مع الحمد والاسترجاع، والرضى عن الله، وليس هذا منافيًا لدمعِ العينِ وحُزْنِ القلب، ولذلك كان أرضى الخلق عَنِ الله في قضائه، وأعظمهم له حمدًا، بكى رأفةً منه، ورحمةً للولد، ورقَّة عليه، والقلب ممتلئ بالرضى، عَنِ الله عزَّ وجلَّ وشكره، واللِّسان مشتغل بذكْرِهِ وحَمْدِهِ[٣].

- دلَّ الحديث أنَّ رحمته تَعَالى تختص بِمَن اتَّصف بالرَّحمة، وتحقَّق بِهَا[٤].

---

(١) أخرجه: البخاري(١٢٨٤)، واللفظ له، ومسلم(٩٢٣).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم٦/٢٢٥.

(٣) ينظر: زاد المعاد؛ لابن القيم١/٤٨٠.

(٤) ينظر: شرح القسطلاني٢/٤٠٢.

باب: قوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((والقلب يَحْزَن))

٢٤. عن أَنس بن مالكٍ رضي اللَّه عنه، قال: دخلنا مع رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم على أَبِي سيفٍ القَيْنِ، وكان ظِئرًا لإِبراهيم عليه السَّلامُ، فأَخذَ رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم إبراهيم، فقبَّله، وشمَّه، ثمَّ دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيمُ يجودُ بنفسِه، فجعلتْ عينا رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم تذرفان، فقَالَ له عبدُ الرَّحمن بن عوفٍ رضي اللَّه عنه: وأَنتَ يا رسول اللَّه؟ فقال: ((**يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ**))، ثمَّ أَتبعها بِأخرى، فقَالَ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**))[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- دل الحديث على جواز دمع العين وحزن القلب من غير سخط لأمر الله، وأنهما رحمةٌ سببها رقة القلب، فقوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**إنَّها رحمة**)) أي: إنَّ الدَّمعة الَّتي نزلتْ مِنْ عيني رحمةٌ، والمعنى: مِنْ أثرِ شفقةٍ ورحمةٍ في القلب، نَفَضها القلبُ إلى ظاهرِ العين[٢]. وقد قَالَ الحسن البصري: العين لا يملكُها أحدٌ، صبابة المرْءِ بأخيه. فإذا كان الحزن على الميِّت وفاءً له ورقةً عليه، ولم يكن سخطًا للقضاء ولا تشكيًّا به، فهو مُباح[٣].

- وفي الحديث تصحيح لما توهَّمه عبد الرحمن رضي الله عنه، فقوله: (وأنت يا رسول الله؟) معطوف على محذوف تقديره، النَّاس لا يَصبِرونَ عند المصائبِ وأنتَ يا رسول الله تفعل كفعْلِهم، كأنَّه تعجَّب واستغرب ذلك مِنْهُ؛ لمقاومتِه المصيبةَ، ولعهده أنَّه يحثُّ على الصَّبر، ويَنْهَى عَنِ الجَزَعِ. فكان جوابه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بأنَّ الحالة الَّتي شاهدتَّها مِنِّي هي رِقَّةٌ وشفقةٌ؛ على الولد، وليستْ بِجَزَعٍ كما توهَّمتَ أنْتَ[٤].

---

(١) أخرجه: البخاري(١٣٠٣)، واللفظ له، ومسلم(٢٣١٥).

(٢) ينظر: شرح سنن أبي داود؛ للعيني٦/٥٠.

(٣) ينظر: شرح ابن بطال٣/٢٨٨.

(٤) ينظر: عمدة القاري؛ للعيني٨/١٠٢.

– دل مفهوم المخالفة على أنَّ عدم المبالاة بهم، وعدم الرِّقة عليهم، يُعدُّ جَفاءً وغِلظَةً وقسْوَةً، كما قَالَ بعض جُفاة الأعراب حينما رأى النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وأصحابه يُقبِّلون أولادهُم الصِّغار، فقَالَ ذلك الأعرابي: إنَّ لي عشرة مِنَ الولد، ما قَبَّلتُ واحدًا منهم، فقَالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**))[١]؟

– فيه جواز الإخبار عَنْ حُزْنِ القلب، وجواز البُكاء على الميِّت قَبَل مَوْتِه. نعم، يجوز بعده لأنَّه، –صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم–، بكى على قَبْر بِنْتٍ له، وزار قَبْرَ أمِّه[٢]، فبكى وأبْكَى مَنْ حَوْلَهُ[٣].

– فيه بشريَّة النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، وأنَّ قلبَهُ كسائر القلوب عند المصِيْبة، فيدخُله الحُزنُ؛ رحمةً وشفقةً على المحبوب، وأنَّ هَدْيَهُ الحزن عند المصيبة[٤].

---

(١) أخرجه: البخاري(٥٩٩٨)، واللفظ له، ومسلم(٢٣١٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه: مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه(٩٧٦)، ونصُّه: ((**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**)).

(٣) ينظر: شرح القسطلاني٢/٩,٤١٥.

(٤) قَالَ ابن القيم في كتابه زاد المعاد١/٤٨١: (...ولما ضاق هذا المشهد والجمع بين الأمرين على بعض العارفين يوم مات ولده، جعل يضحك، فقيل له: أتضحك في هذه الحالة؟ قال: إنَّ الله تَعَالى قضى بقضاء، فأحببت أن أرضى بقضائه، فأشكل هذا على جماعة من أهل العلم، فقالوا: كيف يبكي رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يوم مات ابنه إبراهيم، وهو أرضى الخلق عن الله، ويبلغ الرضى بهذا العارف إلى أن يضحك، فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هدي نبيِّنا صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم كان أكمل من هدي هذا العارف؛ فإنَّه أعطى العبودية حقَّها، فاتَّسع قلبه للرضى عن الله، ولرحمة الولد، والرقة عليه، فحمد الله، ورضي عنه في قضائه، وبكى رحمة ورأفة، فحملته الرأفة على البكاء، وعبوديته لله، ومحبته له على الرضى والحمد، وهذا العارف ضاق قلبه عن اجتماع الأمرين، ولم يتسع باطنه لشهودهما، والقيام بهما، فشغلته عبودية الرضى عن عبودية الرحمة والرأفة).

الفصل الثالث

القلب وتوحيد الله والإخلاص له سبحانه وتَعَالى

باب: يخرجُ مِنَ النَّار قال: لا إله إلا الله وفي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيْرةٍ، أوْ بُرَّةٍ، أو ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ

٢٥. عن أَنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قال: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ**[1] **مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**»[2].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- في الحديث نسبة العمل إلى القلب؛ لأنَّه موطن النِّيَّة والإخلاص، وقد سبق الحديث عن ذلك[3].

- دلَّ الحديث على تفاوت الإيمانِ في القلوب؛ لتفاوت المعرفة وتفاضلها[4]؛ لأنَّه يكون لواحدٍ وزن شعيرةٍ، وهي أكثر مِنَ البُرَّة، والبُرَّة أكثر مِنَ الذِّرَةِ، فدلَّ على أنَّه يكون للشَّخص القائل: لا إله إلا الله قَدْرٌ مِنَ الإيمانِ لا يكون ذلك القَدْرُ لقائلٍ آخرَ[5].

باب: يخرجُ مِنَ النَّار مَنْ قَال: لا إله إلا الله خَالصًا مِنْ قَلْبِهِ

٢٦. عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول اللَّه من أَسعدُ النَّاس بشفاعتكَ يوم القيامة؟ قَالَ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا**

---

(١) البرُّ: القمح.

(٢) أخرجه: البخاري(٤٤)، واللفظ له، ومسلم(١٩٣).

(٣) ينظر: شرح ابن بطال١/١٠٢.

(٤) ينظر: فح الباري؛ لابن رجب١/١٧٢.

(٥) ينظر: عمدة القاري؛ للعيني١/٢٦١.

الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»[١].

● ما يستفاد من الحديث:

- دلَّ الحديث على أنَّه لا بدَّ مِنَ الإخلاص في كلمة التَّوحيد، وليس قولًا مجردًا باللِّسان فقط.

- اقتصر في الحديث على لفظة: «**لا إله إلا الله**»، دون: مُحَمَّد رسول الله، ولا يكفي إلَّا بتمامها، وإنَّما اقتصر على ذلك؛ لأنَّه جَعَلَ الجُزء الأوَّل مِنْ كلمة الشَّهادة شِعَارًا لمجموعها، فالمراد الكلمة بتمامها[٢].

- دلَّ الحديث على أهميَّة الإخلاص بالنسبة للعبد، بقوله: «**خالصًا**»، وقد ذَكَرَ القلبَ؛ تأكيدًا، لأنَّ الإخلاص معدنه القلب[٣]؛ أو تقريرًا[٤]. فلا بدَّ لقائل ذلك أنْ يكون خالصًا لا يشوبه شكٌّ وشركٌ، ولا يخلطه نفاقٌ وسمعةٌ ورياءٌ[٥].

- دلَّ الحديث على أنَّ أحقَّ النَّاس بشفاعةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يوم القيامة من كان أعظم توحيدًا وإخلاصًا؛ لأنَّ التوحيد جماع الدِّين، والله لا يغفر أنْ يُشرك بِه، ويغفر ما دون ذلك لمنْ يَشَاء، فهو سبحانه لا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه، فإذا شفع نبيُّنا مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم حَدَّ له ربُّه حدًا، فيدخلهم الجنَّة، وذلك بحسب ما يقوم بقلوبِهِم مِنَ التَّوحيد والإيمان[٦]، عكس ما عند المشركين أنَّ الشفاعة تنال باتخاذهم أولياءَهم شفعاء، وعبادتهم وموالاتهم مِنْ دُون الله، فقلب

(١) أخرجه: البخاري(٩٩).
(٢) ينظر: عمدة القاري٢/١٢٨.
(٣) المصدر نفسه٢/١٢٨.
(٤) ينظر: شرح المشكاة؛ للطيبي١١/٣٥٢٣.
(٥) ينظر: مرقاة المفاتيح٨/٣٥٤٥.
(٦) ينظر: مجموع الفتاوى؛ لابن تيمية١/٢١٣.

النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أنَّ سبب الشَّفاعة هو تجريد التَّوحيد، فحينئذٍ يأذن الله للشَّافع أنْ يَشْفَعَ(١).

باب: مَنْ قالَ: لا إله إلا الله صِدْقًا مِنْ قَلْبِه حَرَّمَهُ اللهُ على النَّارِ

٢٧. عن أَنس بن مالكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، ومعاذٌ رَدِيفُهُ على الرَّحْلِ، قال: «**يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ**»، قال: لبَّيكَ يا رسول اللَّه وسعديك، قال: «**يَا مُعَاذُ**»، قال: لبَّيك يا رسول اللَّه وسعديك ثلاثًا، قال: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**»، قَالَ يا رسول اللَّه: أَفلاَ أُخبرُ به النَّاس فيسْتبْشِرُوا؟ قال: «**إِذًا يَتَّكِلُوا**»، وأَخبر بِهَا معاذٌ عند موتِهِ تأثُّمًا(٢).

● **ما يستفاد من الحديث:**

- دلَّ الحديث على أهميَّة تصديق القلب لما يلفظه اللِّسان، ليخرج بذلك أهلُ النِّفاق.

- قد سلك العلماء في قوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**إلا حرَّمه اللهُ على النَّار**» ثلاثةَ مسالكٍ(٣)، بل أزيد، منها:

الأول: أنَّ هذا الحديث قبل نزول الفرائِض، وهو قول ضعيفٌ جدًا.

الثاني: أنَّه خرج مخرج الغالب.

الثالث: أنَّه بمعنى الخُلود، وهو الأقرب جمعًا بينه وبين الأخبار الأخرى.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين؛ لابن القيم١/٣٤٩.

(٢) أخرجه: البخاري(١٢٨)، واللفظ له، ومسلم(٣٢).

(٣) ينظر: كشف المشكل؛ لابن الجوزي٢/٥٧.

الرابع: أنَّ الصِّدق هنا أقيم مقام الاستقامة؛ لأنَّ الصِّدق كما يعبَّر به قولًا عَنْ مُطابقة المقول الضمير، والمخبر عنه، وعليه كلام الرَّاغب، قد يُعَبَّر فعلًا عَنْ تحريٍّ كل أفعال كاملة، وأخلاق مرضيَّة، وتحقيقها(١).

الخامس: أنَّ ذلك مقيَّدٌ بمن قالها تائبًا ثمَّ ماتَ على ذلك(٢)، وهو محتملٌ وقويٌّ.

باب: فَضْلُ مَنْ قال: لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبُه

٢٨. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنَّا قُعودًا حول رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، معنا أَبو بكرٍ، وعمر في نفرٍ، فقام رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم من بين أَظهرِنَا، فأبطأَ علينا، وخشينا أنْ يُقْتَطعَ دُوننا، وفزعنا، فقمنَا، فكنتُ أَوَّل من فزع، فخرجت أَبتغي رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم حتَّى أَتيتُ حائطًا للأَنصار لِبَنِي النَّجَّار، فدُرْتُ به هل أَجدُ له بابًا؟ فلم أَجد، فإِذا ربيعٌ يدخل في جوْفِ حائطٍ من بِئْرٍ خارِجةٍ - والرَّبِيعُ الجدولُ - فاحتفزتُ، فدخلتُ على رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، فقال: «**أَبُو هُرَيْرَةَ**». فقلتُ: نعم يا رسول الله، قال: «**مَا شَأْنُكَ؟**» قلتُ: كنت بين أَظهرنا، فقمتَ فأَبطأتَ علينا، فخشينا أنْ تقتطَع دُوننا، ففزعنا، فكنتُ أَوَّل من فَزِعَ، فأَتيتُ هذا الحائط، فاحتفزتُ كما يحتفزُ الثَّعلبُ، وهؤُلاء النَّاسُ ورائي، فقال: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**» وأَعطاني نعليهِ، قال: «**اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فكان أَوَّل من لقِيتُ عمر، فقال: ما هاتان النَّعلان يا أَبا هريرة؟ فقلتُ: هاتان نعلا رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، بعثني بهما منْ لقيتُ يشهد أَنْ لا إله إِلَّا الله مستيقنًا بها قلبه، بشَّرتُهُ بالجنَّة، فضرب عمرُ بيده بين ثَدْيَيَّ فخررتُ لِاسْتِي، فقال: ارجعْ يا أَبا هريرة، فرجعتُ إلى رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، فأَجهشتُ بُكاءً، ورَكِبَنِي عمرُ، فإذا هو على أَثري، فقَالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**» قلتُ: لقيتُ عمر، فأَخبرتُهُ بالَّذي بعثتني به، فضرب بين ثَدْيَيَّ ضربَةً خررتُ لِاسْتِي، قال: ارجع،

(١) ينظر: شرح المشكاة؛ للطيبي٢/٤٧٦.

(٢) ينظر: فتح الباري١/٢٢٦.

فقَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**يَا عُمَرُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟**)) قال: يا رسول الله، بأبي أَنتَ، وأُمِّي، أبعثتَ أَبا هريرة بنعليكَ، من لقيَ يشهدُ أَنْ لا إله إِلَّا اللهُ مُستيقنًا بها قلبهُ بشَّرهُ بالجنَّة؟ قال: ((**نَعَمْ**))، قال: فلا تفعل؛ فإِنِّي أخشى أنْ يتَّكل النَّاسُ عليها، فخلِّهم يعملون، قَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**فَخَلِّهِمْ**))[١].

● ما يستفاد من الحديث:

– في الحديث دِلالة ظاهرة لمذهب أهلِ الحقِّ أنَّه لا ينفع اعتقادُ التَّوحيد دون النُّطق، ولا النُّطقَ دون الاعتقاد، بل لا بدَّ مِنْ الجمع بينهما[٢]. وقد سبق الكلام على معنى الحديث[٣].

باب: مَنْ قال: لا إله إلا الله مِنْ قَلْبِه دَخَل الجنَّة

٢٩. عن عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، قال: قَالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدا رَسُولُ اللهِ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ**

---

(١) أخرجه: مسلم(٣١).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم١/٢٣٧.

(٣) قَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية كما في تفسير آيات أشكلت١/٣٥٨: (حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله تَعَالى، فمن شهد أنْ لا إله إلا الله خالصًا من قلبه وهو أنْ ينجذب بكلِّيته إليه دخل الجنة؛ لأنَّ إخلاصه يجذب قلبه إلى الله، فيتوب من الذنوب إليه، فإذا مات على هذه الحال دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار. فهذه الأحاديث إنَّما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة؛ فإنَّه قد تواترت الأحاديث بأنَّه يخرج من النَّار من قَالَ لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة، بل كثير ممَّن يقول لا إله إلا الله يدخل النَّار، أو أكثرهم ثمَّ يخرج منها، وتواترت الأحاديث بأنَّه يحرم على النار من قَالَ لا إله إلا الله، ومن شهد أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدا رسول الله، ولكن جاءت مقيدة بالإخلاص واليقين، وبموتٍ عليها، فكلها مقيدة بهذه القيود الثِّقال. وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يُخشى عليه من أن يفتن عنها عند الموت، فيحال بينه وبينها، وغالب من يقولها؛ إنَّما يقولها تقليدًا أو عادة، ولم يخالط الإيمان بها بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء، كما في الحديث الصحيح فيقول: ((**لا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُوْلُوْنَ شَيْئًا فَقُلْتُه**))...).

مُحَمَّدا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- في الحديث دِلالة على أنَّ الأعمال يشترط لها القَصد والإخلاص لله؛ لقوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**مِنْ قَلْبِه**»[٢]. وقد سبق الكلام على معنى الحديث.

باب: فضل من قال: لا إله إلا الله حقًّا من قلبه

٣٠. عن عُثمان بن عفَّان رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يقول: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حُرِّمَ عَلَى النَّارِ**». فقَالَ لهُ عمرُ بنُ الخطَّاب: أَنَا أُحدِّثُك ما هي، هي كلمةُ الإِخلاصِ الَّتي أَلزمَهَا اللَّه تبارك وتَعَالى مُحَمَّدا صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وأَصحابهُ، وهي كلمةُ التَّقوى الَّتي أَلَاصَ عليها نبِيُّ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم عَمَّهُ أَبا طالبٍ عند الموتِ: شهادةُ أَنْ لا إِله إِلَّا اللَّه[٣].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- دلَّ ظاهر الحديثِ على أنَّ من قَالَ كَلمة التَّوحيد حقًّا مِنْ قلبِه حُرِّم على النَّار، وظاهره يعارض بقيَّة النُّصوص الأخرَى، بأنَّ هناك مِنْ أهلِ التَّوحيد مَنْ يدخل النَّار، وقد سبق جواب ذلك في غير هذا الموضع، بأنَّ المقصود مَنْ مات على ذلك، أو أنَّ ذلك بمعنى الخلود، أو أنَّه قَالَ ذلك وصدَّق ذلك عمله، فالنُّصوص لا بدَّ أنْ يحمل بعضُها على بعضٍ؛ لتظهر دلالة معناها.

---

(١) أخرجه: مسلم(٣٨٥).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم٤/٨٨.

(٣) أخرجه: أحمد(٤٤٧)، وفيه انقطاع، ينظر: العلل؛ للدارقطني(٨٢)، وأحاديث معلَّة ظاهرها الصحة(٣٢١)، وأصل الحديث في مسلم(٢٦).

– قوله: «**حقًا مِنْ قَلْبِهِ**»؛ ليدل على أنَّ هناك مَنْ يقولها بلسانِه ولا يؤمن قَلبه بها، كالمنافقينَ والعِياذ بالله، وهو بذلك يُخبر أنَّ النَّجاة لمن وافقَ لسانُه قلبَه في كلمةِ التَّوحيد.

باب: النَّهي عَنِ التَّسلط عَلَى قُلوبِ النَّاس ونيَّاتِهم

٣١. عن أُسامة بن زيدٍ قال: بعثنا رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم في سَرِيَّةٍ، فصبَّحنا الحرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَة، فأدركتُ رجلًا فقال: لا إِله إِلَّا الله، فطعنتُهُ فوقع في نفسي من ذلك، فذكرتُهُ للنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، فقَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**أَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟**» قال: قلتُ: يا رسول الله، إِنَّما قالها خوفًا من السِّلاح، قال: «**أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟**» فما زال يُكرِّرُها عليَّ حتَّى تمَنَّيتُ أَنِّي أَسلمت يومئِذٍ، قال: فقَالَ سعدٌ: وأَنا والله لا أَقتل مسلمًا حتَّى يقتلهُ ذُو البُطينِ يعنِي أُسامة، قال: قَالَ رجلٌ: أَلم يقُلِ الله: {**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**}[١]؟ فقَالَ سعدٌ: قد قاتلنا حتَّى لا تكون فتنةٌ، وأنتَ وأَصحابُكَ تريدون أَنْ تقاتلُوا؛ حتَّى تكون فتنةٌ[٢].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– دلَّ الحديث على أنَّ الحكم إنَّما يجري على الظَّاهر، وإنَّ السَّرائر موكلةٌ إلى اللهِ سبحانه، وأنَّ المسلم غيرُ مكلَّفٍ بالبحثِ عمَّا في القلب مِنَ النِّيَّات[٣]؛ لعجزِه عَنْ ذلك.

– إذا تكلَّم الكافر بالشَّهادة وإن لم يصف الأيمانَ وجبَ الكَف عنه، والوقوف عَنْ قَتْلِه، سواء كان بعد القُدرةِ عليه أو قَبلها[٤].

– بنى زيدٌ حكمه على ما ظَهَرَ له مِنْ حال الرجل، ولكنَّ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم ردَّ عليه ظنه في تلك الأمارات، وأنْ لا سبيل إلى القلب أبدًا.

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٩٣.

(٢) أخرجه: البخاري(٤٢٦٩)، ومسلم(٩٦)، واللفظ له.

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم٢/١٠٤.

(٤) ينظر: معالم السنن؛ للخطابي٢/٢٧٠.

- في الحديث دلالة على أنَّ الإيمان يكون في القلب[١]، وهو مصدق قوله تَعَالى {**أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ**}[٢]، وقوله تَعَالى: {**مِنَ الَّذينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ**}[٣].

(١) ينظر: عمدة القاري١/١٠٥.

(٢) سورة المجادلة، من الآية: ٢٢.

(٣) سورة المائدة، من الآية: ٤١.

الفصل الرَّابع

القلب والإيمانُ والتَّقوى

باب: الكرم قلب المؤمن

٣٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**وَيَقُولُونَ الكَرْمُ**(١)**، إِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤْمِنِ**»(٢).

● **ما يستفاد من الحديث:**

- دلَّ الحديث على أنَّ المؤمن الَّذي يتَّقى شربها أي الخمر، ويرى الكرم في تركِها، أحقُّ بهذا الاسمِ الحَسَنِ(٣).

- أكَّد الحديث أنَّ قلب المسلم هو الكرم؛ لما فيه مِنْ نورِ الإيمان والهدى والبركاتِ والتُّقى(٤).

- لما كانت الأذهان متعلقة بفهمٍ عاطلٍ، وهو أنَّ الخمر تبعث في شاربِها الكرم والسَّخاء، جاءتْ الشَّريعة مصححةً لهذه الغلط؛ بأنَّ دافع الخير إنَّما هو نور الإيمان في قلب المسلم، وليست

---

(١) قَالَ العلَّامة الزمخشري في الفائق في غريب الحديث٣/٢٥٧: «أراد أن يُقرِّر ويشدد ما في قوله عز وجل {**إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**}بطريقة أنيقة، ومسلك لطيف، ورمز خلوب، فبصر أَنَّ هذا النَّوع من غير الأناسي المسَمّى بالِاسم المشتقّ من الكرم أنتُم أحقاء بألاَّ تؤهلوه لهذه التَّسمية، ولا تطلقوها عليه، ولا تسلموها له؛ غيرة للمسلم التقي، وربأ به أَن يُشارك فيما سَمَّاهُ الله به واختصه، بأن جعله صفته، فضلًا أن تسمُّوا بالكريم من ليس بمُسلم، وتعترفوا لهُ بذلك، وليس الغرض حقيقة النَّهى عن تسميه العنب كرمًا، ولكن الرَّمز إلى هذا المعنى كأنَّهُ قال: إن تأتي لكم أَلَّا تسموه مثلًا باسم الكرم، ولكن بالجفنة، والحبلة فافعلوا. وقوله: فـ«**إنَّما الكرم**»، أي: فإنَّما المستحق للاسم المشتق من الكرم المسلم. ونظيره في الأسلوب قوله تَعَالى: {**صِبْغَةَ الله ومَنْ أحسن من الله صبغة**}».

(٢) أخرجه: البخاري(٦١٨٣)، واللفظ له، ومسلم(٢٢٤٧).

(٣) ينظر: شرح ابن بطال٩/٣٣٩.

(٤) ينظر: كشف المشكل؛ لابن الجوزي٣/٣٤٥.

الخمرة أمَّ الخبائث، فراحتْ تصحح المفاهيم، وتسلب العنب ما وصِفَتْ بها؛ لتقطع كلَّ خاطرٍ لا يرضي الله تجاهَها.

– أسقط مسمَّى الكرم عَنِ الخَمْرة؛ تحقيرًا لها[١]؛ وتأكيدًا على حُرمتِها، وأثبته لقلب المسلم؛ حثًا على صلاحه؛ وبيانًا لوقعه؛ ليزداد الموحِّد مِنْ نور المعرفة بالله.

– في الحديث دِلالة على أنَّ قلب المؤمن كثيرُ الخير والمنافع للنَّاس، هينٌ ليِّنٌ كما أنَّ العِنَبَ هيِّن الأخذ، قريب المنال، ذُلِلَ التقاطه وقطف ثماره، وهو كذلك ظلٌ لمن استظل به، إن أردته طعامًا صحَّ لك على أضربٍ، وإن أردت شرابًا صحَّ لك كذلك، وكذلك قلب المؤمن، أينما وجَّهته يأت بالخير، فهو جامع لطرق الخير وأبوابها[٢].

---

(١) ينظر: عمدة القاري؛ للعيني٢٢/٢٠٣.

(٢) ثمَّ إني وجدت لشيخ الإسلام كلامًا بديعًا في مجموع الفتاوى، ومن جملته١٦/٢٩٥: (وهم سموا العنب الكرم؛ لأنَّه أنفع الفواكه، يؤكل رطبًا، ويابسًا، ويعصر، فيتخذ منه أنواع. وهو أعم وجودًا من النخل؛ يوجد في عامة البلاد، والنخل لا يكون إلا في البلاد الحارة. ولهذا قَالَ في رزق الإنسان: {**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إلى طَعامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا (٢٧) وَعِنَباً وَقَضْباً (٢٨) وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدائِقَ غُلْباً (٣٠) وَفاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ (٣٢)** } فقدَّم العنب. وقَالَ في صفة الجنة : {**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً (٣١) حَدائِقَ وَأَعْناباً (٣٢)**}، ومع هذا نهى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم عن تسميته بالكرم وقال: ((**الكرم قلب المؤمن**)) . فإنه ليس في الدنيا أكثر ولا أعظم خيرًا من قلب المؤمن. والشيء الحسن المحمود يوصف بالكرم...).

باب: التَّقوى في القلب(١)

٣٣. عن واثلَةَ بنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يقول: ((**الْمُسْلِمُ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَعِرْضُهُ، وَمَالُهُ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَالتَّقوى هَاهُنَا**))، وأَومأَ بيدهِ إلى القلبِ(٢).

● **ما يستفاد من الحديث:**

– وفي هذا الكلام دليل على أنَّ الأصل في التَّقوى والفجور هو القلب، فإذا برَّ القلب واتقى، برَّت الجوارح، وإذا فجر القلب، فجرت الجوارحُ(٣)، فالمسلم التَّقي هو مَنْ سَلِمَ المسلمونَ مِنْ لسانه ويده، وكان أخًا لهم في نُصْحِه.

– فيه إشارة إلى أنَّ كرم الخلق عند الله بالتَّقوى الَّتي محلها القلب، وليس على ما ظهر، فربَّ مَنْ يحقره النَّاس؛ لضعفه؛ وقلَّة حظِّه مِنَ الدُّنيا، وهو أعظم قدرًا عند الله تَعَالى ممَّن له قدر في

(١) قال مولانا العارف بالله الشيخ عبَّاس الحسني –حفظه الله تعالى– في كتابه مراتب الكمال٢٥: (ومراتب التقوى ثلاثة:

أولًا: تقوى الأوامر، كما قال جلَّ ذكره: {**إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ**}، وقال جلَّ شأنه: {**وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**}، التقوى هي: هي الاقتداء بالنَّبيِّ محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم قولًا وفعلًا، ومنها: الأركان الخمسة في الإسلام الحنيف.

ثانيًا: تقوى التَّعظيم، كما قال تعالى: {**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**}، وقال عزَّ وجل: {**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ**}، وهذه تقوى القلوب... .

ثالثًا: تقوى الآداب، كما قال جلَّ مجده: {**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**}).

(٢) أخرجه: أحمد(١٦٠١٩)، والطبراني في الكبير(١٨٣)، وقد حسَّنه الشيخ شعيب في تعليقه على المسند، وله شواهد صحيحة مخرَّجة في الصحيح.

(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم؛ لابن رجب٢/٤٧.

الدُّنيا، فإنَّما النَّاس يتفاوتون بحسب التَّقوى(١)، كما قَالَ الله تَعَالى: {**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**}(٢).

باب: الأَمَانَة في القلوبِ

٣٤. عن زيد بن وهب، حدثنا حُذيفة رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حَدَّثَنَا: ((**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ**(٣) **قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**))، وحدَّثنا عن رفعِهَا قال: ((**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ**(٤)**، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ**(٥)**، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ**(٦)**، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا**(٧) **وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**)). ولقد أَتى عليَّ زمانٌ وما أُبالي أَيَّكم بايعتُ، لئنْ كان مسلمًا ردَّهُ عليَّ الإسلامُ، وإنْ كان نصرانيًّا ردَّهُ عليَّ ساعيه، فأمَّا اليوم: فما كنتُ أُبايعُ إلَّا فُلانًا وفلانًا(٨).

---

(١) ينظر: جامع العلوم الحكم٢/٢٧٥.

(٢) سورة الحجرات، من الآية: ١٣.

(٣) الجذر: أصل كل شيء، واختلف في ضبطه فتحًا وكسرًا، وقيل: أَصْلُ حِسَاب ونَسب، والجِذْرُ بالكسر: أصلُ الشجرة. ينظر: غريب الحديث؛ لأبي عبيد٤/١١٧، وتهذيب اللغة؛ لأبي منصور١١/٩.

(٤) هُوَ أثر الشَّيْء اليَسِيرِ منه. ينظر: غريب الحديث؛ لأبي عبيد٤/١١٨.

(٥) قَالَ أبو عبيد في الغريب: (المجْل هو أثر العمل في الكفّ يعالج بها الإنسان الشيء حتَّى يغلظ جلدهَا).

(٦) أي: علا.

(٧) أي: ارتفع وعلا، ومنه المنبر، سمِّي بذكر؛ لارتفاعه، والمعنى: ارتفاع الجلد ولا شيء تحته.

(٨) أخرجه: البخاري(٦٤٩٧)، واللفظ له، ومسلم(١٣٤).

● **ما يستفاد من الحديث:**

– الأمانة في الحديث هي الإيمان وجميع شرائعه، وهو التَّكليفُ الَّذي كلَّف الله تَعَالى به عبادَه، والعَهْد الَّذي أخذَهُ عليهِم[١]، ولا بدَّ مِنَ النيَّة في كلِّ عملٍ على الصَّحيح[٢]، ودلَّ الحديث أنَّ القلب هو المكلَّف بحملها.

– دلَّ الحديث أنَّ النَّاس تتفاوت في حِفْظِ الأمانات، فالحافظون لها هُمْ مَنْ خَتَمَ الله لهم بالإيمان، ممَّن استقَاموا على كتاب الله وسنَّة رسوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، وهم الصَّحابة وَمَنْ تبعهم[٣].

– دل الحديث أنَّ الإنسان مفطورٌ على الإيمان، وهذا واضح في قوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ**»[٤].

– أشار الحديث إلى فَسَادِ القلوب في آخر الزَّمانِ، حتَّى لا يبقى فيه خردلٌ مِنْ إيمانٍ نسأل الله العافية، وهو مصداق قوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»[٥]، وقوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم لعبد الله بن عمرو: «**كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ؟**» قال: قلتُ: يا رسول اللَّه، كيفَ ذلك؟ قال: «**إِذَا مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا**»، قال: قلتُ: ما أَصنع عند ذاك يا رسول اللَّه؟ قال: «**اتَّقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّتِكَ، وَإِيَّاكَ وَعَوَامَّهُمْ**»[٦].

---

(١) ينظر: شرح النووي على مسلم٢/١٦٨.

(٢) ينظر: شرح ابن بطال١٠/٣٣٤.

(٣) ينظر: التوضيح؛ لابن الملقن٣٢/٣٤٦.

(٤) أخرجه: البخاري(١٣٨٥)، واللفظ له، ومسلم(٢٦٥٨)، واللفظ له.

(٥) أخرجه: مسلم(١٤٥) من حديث أبي هريرة.

(٦)أخرجه: أحمد(٦٥٠٨)، واللفظ له، وابن ماجه(٣٩٥٧)، وأبو داود(٤٣٤٢)، وصححه الحاكم(٢٦٧١).
قلت: وقد علَّقه البخاري في صحيحه(٤٨٠)؛ لصنعة نقدية، وعلى كلٍّ، الحديث صحيح.

باب: التَّقوى والفُجُور فِيْ القَلب

٣٥. عن أَبي إدريس الخولانيِّ، عن أَبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، فيما روى عن اللهِ تبارك وتَعَالى أَنَّهُ قال: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**». قَالَ سعيدٌ: كان أَبو إدريس الخولانيُّ إذَا حدَّث بهذا الحديث، جَثَا على رُكبتيه[١].

● ما يستفاد من الحديث:

- دلَّ الحديث على أنَّ أصل الخَيْر والشَّر يَكْمُن في القلب، فلا يطلَّع أحدٌ على حقيقةِ ذلك إلا الله عزَّ وجلَّ، وحينئذٍ فقد يكونُ كثير ممَّن له صورة حسنةٍ، أو مالٍ، أو جاهٍ، أو رياسةٍ في الدُّنيا وقلبه خرابًا مِنَ التَّقوى، ويكون مَنْ ليس له شيء مِنْ ذلك وقلبه مملوءًا مِنَ التَّقوى، فيكون أكرم عِنْدَ الله تَعَالى، والحال الأخير هو الأعم الأغلب[٢].

---

(١) أخرجه: مسلم(٢٥٧٧).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم؛ لابن رجب٢/٢٧٦.

– دلَّ الحديث على تزايد القلوب وتفاضلها بالتَّقوى، وكذلك تزايد بعضها في الشرِّ، والله المستعان، وأنَّ خَيرها وشرها ونفعها وضرها كلَّه لا يزيد في ملك الله شيء، وأنَّ الله غَنِيٌّ عَنْ عِبَاده، وأنَّ عِبَادَه هُم مَنْ يَحْتاجونه، بخلاف مَنْ عَبَدَ غير الله جلَّ وعلا، فإنَّ معبودَهم يفتقِرُ إليهم خدمَة وصيانَةً وعِنَاية .

باب: الإسلام عَلانِيَة، والإيمان فِي القَلْب

٣٦. عن أَنسٍ رضي الله عنه قال: كان رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يقول: «**الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ، وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ**»، قال: ثمَّ يُشيرُ بيدهِ إلى صدره ثلاث مرَّاتٍ قال: ثُمَّ يقول: «**التَّقوى هَاهُنَا، التَّقوى هَاهُنَا**»[١].

● ما يستفاد من الحديث:

– دلَّ الحديث على أنَّ الإيمان في القلب، بخلافِ الإسْلام؛ فيراه كلُّ أحدٍ، وأنَّ هناك مَنْ يُؤمِنُ بلسانه ولم يدخل الإيمانُ قلبه.

– فرَّق الحديث بين الإسلام والإيمان، والتَّحقيق إذا أُفردَ كلٌّ مِنَ الإسلام والإيمان بالذِّكر فلا فَرْق بينهما حينئذٍ، فالإيمان: هو تصديقُ القلب، وإقرارُهُ، ومعرفته، والإسلامُ: هو استسلامُ العبد لله، وخُضُوعُه، وانقيادهُ له، وذلك يكونُ بالعمل، وهو الدِّينُ، كما سمَّى الله تَعَالى في كتابه الإسلام دينًا، وفي حديث جبريل سمَّى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم الإسلامَ والإيمانَ والإحسان دينًا، وهذا أيضًا ممّا يدلُّ على أنَّ أحدَ الاسمين إذا أُفردَ دخل فيه الآخرُ، وإنّما يفرَّقُ بينهما حيثُ قُرِنَ أحدُ الاسمين بالآخر كما هنا، فيكونُ حينئذٍ المرادُ بالإيمانِ: جنسَ تصديقِ القلبِ، وبالإسلامِ جنس العمل الظاهر[٢]، ولا يلزم ممَّا ظهر صلاح ما بطن.

---

(١) أخرجه: أحمد(١٢٣٨١)، وقد تفرد به علي بن مسعدة، وهو ضعيف لا يحتمل تفرده.

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم؛ لابن رجب ١/١١١.

- أشار بقولِه: ((**التَّقوى هَاهُنَا**)) ليدل على أنَّ الأصل في التَّقوى والفجور هو القلب، فإذا برَّ القلب واتقى، برَّت الجوارح، وإذا فَجَرَ القلب، فَجَرت الجوارح[١]، وأنَّ العمل لا يُقْبَل حتَّى يوافق القصد والنيَّة، اللذين هما في القلب.

باب: الإسلام أنْ يُسْلِم القَلبُ للهِ

٣٧. عن عمرِو بن عَبَسَةَ رضي الله عنه، قال: قَالَ رجلٌ: يا رسول اللَّه، ما الإسلامُ؟ قال: ((**أَنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ**))، قال: فأَيُّ الإسلام أَفضلُ؟ قال: ((**الْإِيمَانُ**))، قال: وما الإيمانُ؟ قال: ((**تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ**))، قال: فأَيُّ الإيمان أَفضلُ؟ قال: ((**الْهِجْرَةُ**))، قال: فما الهجرة؟ قال: ((**تَهْجُرُ السُّوءَ**))، قال: فأَيُّ الهجرة أَفضلُ؟ قال: ((**الْجِهَادُ**))، قال: وما الجهاد؟ قال: ((**أَنْ تُقَاتِلَ الْكُفَّارَ إِذَا لَقِيتَهُمْ**))، قال: فأَيُّ الجهاد أَفضلُ؟ قال: ((**مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ وَأُهْرِيقَ دَمُهُ**))، قَالَ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**ثُمَّ عَمَلَانِ هُمَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِمِثْلِهِمَا: حَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ أَوْ عُمْرَةٌ**))[٢].

- **ما يستفاد من الحديث:**

- المقصود بالإسلام هنا هو الدين كما قَالَ تَعَالَى: {**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**}[٣]، وقوله: {**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**}[٤]، وقوله {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ**

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم٢/٤٧.

(٢) أخرجه: أحمد(١٧٠٢٧)، واللفظ له، وابن ماجه(٢٨٣)، وأبو داود(١٢٧٧)، والترمذي(٣٥٧٩)، والنسائي(١٤٧)، وأصله في مسلم(٨٣٢).

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١٩.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ٨٥.

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}[١]. وهو يستلزم استسلام القلب كاملًا وخضوعُه وعبوديَّتُه الخالصة لله سبحانه وتَعَالى.

– دلَّ الحديث على أنَّ في الإسلام ينتظم الاعتقاد والأعمال الظاهرة؛ لأنَّ قوله: ((**أَنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**)) إشارة إلى تَصحيحِ الاعتقاد، وقوله: ((**وَأَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ**)) إشارة إلى تصْحِيحِ المعَاملات الظَّاهرة[٢].

باب: لا يَسْتَقِيْم إيمانُ العَبْدِ إلا باستقامةِ قَلْبِه

٣٨. عن أَنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، قال: قَالَ رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**))[٣].

● ما يستفاد من الحديث:

– أفاد الحديث إلى أنَّ مَنْ استقام قلبُه استقامتْ جوارحُه، ولا يَسْتقيم القَلب حتَّى يستقيمَ اللِّسان، وأنَّه مخاطبٌ بذلك، وهذا يحمل على أمرين:

الأول: أن ينطق اللسان بالتَّوحيدِ، موافقًا لما في القلب مِنَ الإيمان، وأنَّه لا بدَّ مِنَ النُّطق بذلك.

والثاني: أنَّ استقامة القلب لا تكون حتى يحبس اللِّسان عَنِ الشَّرِ، وليس كما ظنَّ بعضُهم أنَّ المرْءَ لا يؤاخذ على ما يقوله، وهذا واضحٌ في الحديث معاذ بن جبل الَّذي قَالَ فيه:كنت مع النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم في سفر، فأصبحتُ يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلتُ: يا رسول الله، أخبرني

---

(١) سورة المائدة، من الآية: ١٠٣.

(٢) ينظر: شعب الإيمان١/١١٨.

(٣) أخرجه: أحمد(١٣٠٤٨)، وصححه ابن حبان(٥١٠)، والحاكم(٢٥)، وكذا صححه أبو نعيم في الحلية٣/٢٣.

بعمل يدخلني الجنَّة، ويباعدني عَنِ النَّار، قال: «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ**»، ثمَّ قال: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**»، قال: ثمَّ تلا {**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ**}[١]، حَتَّى بَلَغَ {**يَعْمَلُونَ**}، ثمَّ قال: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ**»؟ قلتُ: بلى يا رسول اللَّه، قال: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**»، ثمَّ قال: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ**»؟ قلتُ: بلى يا نبيَّ اللَّه، فأَخذَ بلسانه قال: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، فقلتُ: يا نبيَّ اللَّه، وإنَّا لمؤَاخذُون بما نتكَلَّمُ به؟ فقال: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**».

باب: لا يُسْلِم عَبْدٌ حَتَّى يُسْلِم قَلْبُه

٣٩. عن عبد اللَّه بن مسعودٍ، قال: قَالَ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ، فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»، قالوا: وما بوائقُهُ يا نبيَّ اللَّه؟ قال: «**غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ، وَلَا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالًا مِنْ حَرَامٍ، فَيُنْفِقَ مِنْهُ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلَ مِنْهُ، وَلَا يَتْرُكُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلَّا كَانَ زَادَهُ إلى النَّارِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ، إِنَّ الْخَبِيثَ لَا يَمْحُو الْخَبِيثَ**»[٢].

---

(١) سورة السجدة، من الآية: ١٦.

(٢) أخرجه: أحمد(٣٦٧٢)، وصححه الحاكم(٩٥)، والصحيح وقفه كما أشار إلى ذلك غير واحدٍ من الحفاظ.

● **ما يستفاد من الحديث:**

- خصَّ القلب واللسان بالذِّكر؛ لأنَّ مدار الإنسان عليهما، كما ورد في المثل: المرء بأصغريه. فإسلامُ اللِّسان كفُّه عمَّا فيه آفاته، وهي لا تكاد تَنْحَصر. وإسلامُ القلب تَطْهِيْرُه عَنْ العقائد الباطلةِ والآراء الزَّائغة والأخلاقِ الذَّميمة، ثمَّ تحليتها بما يخالفها(١).

- دلَّ الحديث على أهميَّة مجاهدة اللِّسان والقلب، وأنَّ أحدهما لا ينفكُّ عَن الآخر، وما اللِّسان إلا مغراف عمَّا في القلب، فإذا كان القلبُ صالحًا ظهرَ ذلك على اللِّسان، فَنَطَقَ بالحكمةِ والخير والإيمانِ، وإلا فالله تَعَالى المستعان. لذا ينبغي على العاقل أنْ يجتهدَ ويجاهد نَفْسَه؛ حتَّى يُسلمَ قلبُه مِنَ الانقباض، ولسانه مِنَ الاعتراض، ويَنْسَى ما سوى الله تَعَالى، ولا تلعب به الأفكار، ويصبر عند مظانِّ الصَّبر، ويستسلم لأمرِ الله الملك الغفَّار؛ فإنَّ لله تَعَالى في كلِّ شيء حكمة، وفي كلِّ تلف عوضًا(٢).

- في الحديث حثٌّ ودعوة إلى إصلاح الظَّاهر والباطن، السريرة والعلانية، وأنَّ بينهما علاقة مشتركة، فما أسلم مَنْ كفَّ لسانه وشغل قلبَه بالخواطر الشَّيطانية مسترسلًا معها، كالحَسَدِ والغلِّ والآفات الدَّنيئة، وما أسلم مَنْ زَعَمَ صلاح قلبِه وأطلق لسانه فيما حرَّم الله، فثمرة صلاح القلب تزهو على جميع جوارح البدن، حتى تؤتي مذاقًا طيبًا يأنس به مَنْ يسمعه، ويأنس بِه في مناجاة خالقة، وإلا كان ذلك الخشوع نفاقًا، والعياذ بالله.

---

(١) ينظر: شرح المشكاة؛ للطيبي١٠/٣١٩٥.

(٢) ينظر: روح البيان٥/٢١٤.

باب: لا يجْتَمع شحٌ وإيمانٌ في قَلْبِ مُسْلِمٍ

٤٠. عنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مُنْخُرَيْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَلَا يَجْتَمِعُ شُحٌّ وَإِيمَانٌ فِي قَلْبِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ**»(١) .

● **ما يستفاد من الحديث:**

- في الحديث دِلالة على أنَّ الشُّح لا يجتمع مع الإيمانِ في قلب المسلم؛ للتَّضادِّ الواقع بينهما، والمقصود هنا بالإيمان في قوله: «**وإيمان**»: أي كمال الإيمان، والشحُّ أعظم مِنَ البُخْلِ وأوسع منه في الشرِّ، فالأول يحتمل الإمساك عن المال وعن أوجه الخيرِ وصنائعِ المعروف كلِّها، والثاني لا يقع غالبًا إلا على المالِ، ففي البخل قَالَ تَعَالى: {**سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**}(٢)، وقَالَ جلَّ ذكره: {**وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ**}(٣)، لكن الله قَالَ في الشُّحِّ {**أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ**}، ما يخرج منه خير أبدًا، وقوله تَعَالى: {**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}(٤). ولذلك الشُّح في المال وفي كلِّ وجوه الخير، الشُّح في الشَّفاعة، الشُّح في الإعانة، المساعدة، وإنَّما كان منافيًا للإيمان؛ لأنَّه القائد إلى ارتكاب المحارم، وسفك الدِّماء، وأخذ الحرام، وأكل الحرام، وإتيان الفواحش، لذلك جاء في الحديث: «**وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»(٥).

(١) أخرجه: أحمد(٧٤٨٠)، واللفظ له، والنسائي(٣١١١)، وأصله في مسلم(١٨٩١).

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ١٨٠.

(٣) سورة مُحَمَّد، من الآية: ٣٨.

(٤) سورة الحشر، من الآية: ٩.

(٥) أخرجه: مسلم(٢٥٧٨)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

– في الحديث دلالة على أنَّ الشح من أعظم أمراض القلوب ومفاسدها العظيمة، حتى جعل الله الفلاح لمن وقي نفسه من الشح، قَالَ الله :{**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}[1].

– الله كريم جواد يحبُّ الجواد، وكذلك ينبغي لمن يؤمن بالله ويتخذه محبوبًا ومعبودًا أنَّ يحبَّ كلَّ ما يحبُّه خالقُه ومولاهُ ومحبوبُه ومعبوده، فما أحبَّ الله مَنْ أتاه بقلب مملوءٍ بما يكرهه الله سبحانه، لذلك كان أحبُّ النَّاس لربه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يعطي عطاء مَنْ لا يخشى الفقر، كل ذلك؛ ليرضي محبوبه جلَّ وعلا.

باب: أفلحَ مَنْ أخْلَصَ قَلْبَه للإيمانِ وَجَعَل قَلْبَه سَلِيْمًا

٤١. عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه، إنَّ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قال: ((**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيمًا، وَلِسَانَهُ صَادِقًا، وَنَفْسَهُ مُطْمَئِنَّةً، وَخَلِيقَتَهُ مُسْتَقِيمَةً، وَجَعَلَ أُذُنَهُ مُسْتَمِعَةً، وَعَيْنَهُ نَاظِرَةً، فَأَمَّا الْأُذُنُ فَقَمِعٌ، وَالْعَيْنُ مُقِرَّةٌ بِمَا يُوعَى الْقَلْبُ، وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ جَعَلَ قَلْبَهُ وَاعِيًا**))[2].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– دلَّ الحديث على أنَّ الفلاح حليف مَنْ أخلصَ قلبه للإيمان، فلا يزاحمه فيه شكٌّ، ولا ريبٌ، ولا رياءٌ، ولا سُمعة[3]، والإخلاص بابهُ عظيمٌ، وهو انقياد لله سبحانه في كلِّ الأمور، حالًا ومقالًا وتعلُّقًا، ومَنْ كان هذا حاله انقلب بنعمةٍ مِنَ الله وفضلٍ، كما هو حال نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبيِّنا أفضل الصلاة والسلام، لما أخلص قلبه لله، جعل الله النَّار عليه بردًا وسلامًا.

---

(١) وقد استفدت في شرح الحديث مما كتبه العلامة مُحَمَّد صالح المنجد على موقعه على الشبكة العنكبوتية.

(٢) أخرجه: أحمد(٢١٣١٠)، وإسناده ضعيف. ينظر: حليلة الأولياء٥/٢١٦.

(٣) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير؛ للصنعاني٨/٥٢.

– فيه حثٌّ على تنقيةِ القلب مِنَ الأمراض، فسلامة القلب تكون بخلوها من أمراض الشبهات والشهوات والغل والأحقاد[١]، فجدير بالمسلم أنْ يُطهِّر قلبه من تلك الآفات؛ حياء من الله تَعَالى؛ لأنَّ القلب موقع نظر الله سبحانه وتَعَالى، فلا يليق بالمسلم أنْ يجعل فيه هذه الآفات وهو محل نظر محبوبه ومعبوده، وإذا كانت الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب أو صورة، فكيف تدخل قلبًا قد مليء بكلاب الشبهات والشهوات، وبكلب الحقد والحسد والغل، أنَّى لهذا القلب أن يفلح!

باب: لا يدْخُل قَلْب رَجُلٍ الإيمانَ حتَّى يُحبَّ آله النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم

٤٢. عن العبَّاسِ بن عبدِ المطَّلبِ رضي الله عنه، قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّه، إنَّ قُريشًا إذا لَقِيَ بعضُهُم بعضًا لقُوهُم بِبِشْرٍ حَسَنٍ، وإذا لقُونَا لَقُونَا بِوجوهٍ لا نعرِفُهَا. قال: فغضب النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم غضَبًا شَدِيدًا، وقال: «**وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ**»[٢].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– في الحديث دِلالة على أنَّ الإيمان –سواء أريد به مطلقًا وأريد به الوعيد الشَّديد، أو الإيمان الكامل، فالمراد به تحصيله على الوجه الأكيد[٣]– لا يدخل القلب حتى يُحبَّ صاحبه آل النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم؛ لله، مِنْ حيث أظهر الله رسوله فيهم؛ ولمحبة النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم لهم؛ لأنَّ صدق المحبَّة يكون بحب ما يحبُّه الحبيب. وكان صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يقرر ذلك لأخصِّ النَّاس

---

(١) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير؛ للصنعاني٨/٥٢.

(٢) أخرجه: أحمد(١٧٧٢)، واللفظ له، وابن ماجه(١٤٠)، والترمذي(٣٦٠٧)، وقَالَ عقيبه: «هذا حديث حسنٌ صحيح». قلت: تفرَّد به يزيد بن أبي زياد، وقد ضعَّفه الأئمة، ومثله لا يصحُّ تفرده، والحديث ضعفه البزار(٢١٧٦) قائلًا: «يزيد بن أبي زياد ليس بالقوي في الحديث، ولا بالثابت الَّذي يحتج به إذا انفرد بحديث عند أهل العلم بالنقل». وللحديث شواهدُ تقوِّي معناه كما نص على ذلك شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم١/٤٢٨، فالحديث ثابت المعنى، ضعيف المبنى. والله أعلم.

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح٩/٣٩٧٧.

إليه، ويعلمهم بأنْ يُحبوا ما يحبُّه هو صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، سواء كانوا مِنَ الآل أو الصَّحب، ومِنْ ذلكم قوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم لفاطمة: ((**أَيْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ**)) ؟ فقالت: بلى، قال((**فَأَحِبِّي هَذِهِ**))[١]. أي عائشة رضي الله عنها. لذلك نرى الصحابة يضربون الأمثال في محبَّة ما يحبُّه رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، روي أنَّ أبا بكر الصديق ﷺ قال: والَّذي نفسي بيده، لقرابةُ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أَحبُّ إِليَّ أَنْ أَصِلَ من قرابتي[٢]، وجاء عنه رضي الله عنه أنَّه قَالَ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: والَّذي بعثك بالحقِّ، لإِسلامُ أَبِي طالبٍ كان أقرَّ لعيْني من إسلامه – يعنى أباه أبا قُحَافَةَ– ؛ وذلك أنَّ إِسلام أَبِي طالبٍ كان أَقرَّ لعينِكَ[٣]، وعن عمر بن الخطَّاب ﷺ أنَّه قَالَ للعبَّاسﷺ: أَسلم، فواللَّه إِنْ تُسلم أَحبُّ إليَّ من أن يسلم الخطَّابُ؛ وما ذاك إلاَّ لأَنَّهُ كان أَحبَّ إلى رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، فأَسلم يكُن لك سبقُك[٤]. والأمثلة على ذلك لا تخفى.

– ولو تدبَّرنا مشهد القصَّة؛ لظهرت لنا علَّة ما قد يقع من البغض للآل، ألا وهي الحسد؛ لما خصَّهم الله من ذلكم الشَّرف العظيم، بأنْ جعل النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم منهم، فناسب أنَّ من حسدهم على ذلك فهو حسود مريض القلب لم يكمل إيمانه، وأنَّ قلبه لم يسلِّم لأمر الله سبحانه وتَعَالى تسلمًا كاملًا، فناسب نفي الإيمان عنه، والله أعلم.

(١) أخرجه: البخاري(٢٥٨١)، ومسلم(٢٤٤٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه: البخاري(٣٧١٢)، ومسلم(١٧٥٩).

(٣) أخرجه: ابن أبي الدنيا في الإشراف في منازل الأشراف(٥١٠)، وإسناده ضعيف؛ لانقطاعه.

(٤) أخرجه: البزار(٤٩٢٤) معلَّاً له. وقَالَ الهيثمي٩/٢٦٨: وفيه عبد العزيز بن أبان، وهو متروك.

باب: مَنْ آمنَ بِلسانِه ولمْ يَدخِلِ الإيمانُ قلبَه

٤٣. عن أبي بَرْزَةَ الأَسلميِّ رضي الله عنه قال: نادى رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم حَتَّى أَسمع العواتق، فقال: ((**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ**))[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- دلَّ الحديث على وجود ضربٍ مِنَ النَّاس يؤمن بلسانه ولا يؤمن بقلبِه، وهذا هو حال أهل النِّفاق والعياذ بالله، فهم أظهروا الإسلام علانيةً، وأخفوا الكفر في قلوبهم، كما قَالَ تَعَالى: {**إِذا جَاءَك المُنَافِقُونَ قَالُوا نشْهد أَنَّك لرَسُول الله وَالله يعلم أَنَّك لرَسُوله وَالله يشْهد أَن الْمُنَافِقين لَكَاذِبُونَ**}[٢]. فكذَّبهم الله سبحانه وتَعَالى؛ لأنَّ باطنهم على الكُفْرِ[٣]، فلا بدَّ من موافقة اللِّسان لما في القلب، فلا عبرة بقول اللسان حتَّى يصدِّقه الجنان.

- دلَّ الحديث على أنَّ قول اللِّسان لا قيمة له حتى يوافق ما في الجنان، ومن بديع ما قَالَ الإمام الأوزاعي(١٥٧هـ) رحمه الله في هذا الباب: اصبر نفسك على السُّنة، وقف حيث وقف القوم، وقُلْ بما قالوا، وكف عمَّا كفُّوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصَّالح؛ فإنَّه يسعك ما وسعهم، ولا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم القول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنيَّة موافقة للسنَّة، وكان مَنْ مضى مِنْ سلفنا لا يفرِّقون بين الإيمان والعمل، العمل مِنَ الإيمان، والإيمان مِنَ العمل، وإنَّما الإيمان اسم جامع كما يجمع هذه الأديان اسمها، ويصدِّقه العمل، فَمَنْ آمن بلسانه، وعَرَفَ بقلبِه، وصدَّق ذلك بعملِه، فتلك العروة الوثقى الَّتي لا انفصام

---

(١) أخرجه: أحمد(١٩٨٠١)، وأبو داود(٤٨٨٠)، وقد صححه بعضهم، والأقرب ضعفه. وينظر في ذلك: العلل؛ لابن أبي حاتم(٢٤٢٩)، والضعفاء؛ للعقيلي١/٨٣،

(٢) سورة (المنافقون)، من الآية: ١.

(٣) وللعلامة الإمام ابن حزم كلامٌ بديع في شرح هذا المعنى، أنظره في الفصل في الملل٣/١١٦.

لها، وَمْن قَالَ بلسانه، ولم يعرف بقلبِه، ولم يصدِّقه بعمله، لم يقبل منه، وكان في الآخرة مِنَ الخاسرين[١].

– في الحديث إشارة إلى أنَّ تتبُّعَ عورات النَّاس وغيبتِهم وأذيَّتِهم هو فعل أهل النِّفاق، ممَّن لم يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم، فجديرٌ بالمؤمنين أنْ يستروا على بعضهم البعض، وأن لا يتتبعوا العوراتَ؛ حتى لا يقعوا في التشبُّه بأهل النِّفاق[٢].

باب: الحُكْمُ على العلانية وما في القَلْبِ إنَّما هو للرَّب

٤٤. عن أبي سعيدٍ الخُدريَّ رضي الله عنه، قال: بعثَ عليُّ بنُ أَبي طالبٍ رضي الله عنه إلى رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم مِنَ اليَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ، لم تُحَصَّلْ من تُرابها، قال: فقسمها بين أربعة نفرٍ، بين عُيَيْنة بن بدرٍ، وأَقرعَ بن حابسٍ، وزيد الخيلِ، والرَّابِعُ: إمَّا علقمة وإمَّا عامرُ بنُ الطُّفَيل، فقَالَ رجُلٌ من أَصحابه: كنَّا نحن أَحقَّ بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلكَ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم فقال: «**أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا**

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في حلية الاولياء٦/١٤٣.

(٢) قلت: وفي الباب قد ينشر أحدُنا على مواقع التواصل الاجتماعية مئات التغريدات والمنشورات المحكمة، فلا تجد لأحدهم إعجابًا ولا تفاعلًا، بل ولا حتَّى مشاكسة ولا مشاغبة، ولكن إذا صدر منشورٌ فيه من متشابه القول، تجد أحدهم معلِّقًا، وناقدًا، ومتسلِّطًا على نيتك، ومصورًا لك ما يظنُّ أنَّك أخطأت فيه، حتى بلغ الأمر ببعضهم اقتطاع الجزء الَّذي يظنه غير صحيح من كلامك، والتأشير عليه بالأسهم، مع تظليله والاحتفاظ به، مع حفظ التأريخ والوقت؛ حتَّى إذا حصلت لك مخالفة معه، أخرج لك ما يظنه قدحًا؛ وراح يقول: أتذكر ذنب؟ أتذكر ذنب كذا؟ ويتبع قوله بالصورة المقتطعة من منشورك، مع ذكر تأريخها، ووقتها! وهذا والله لا يصلح إلا لله ربِّ العالمين كما أخبر بذلك رسوله الأمين صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، مع وجود مفارقة كبرى؛ أنَّ الله يضع كنفه على عبده حينما يقرره بذنوبه، ويخبره بأنَّه سترها عليه سابقًا، وهو اليوم يغفرها، ولكن هذا العبد إذا حاسب فضح، وإذا اعتذر إليه لم يعفُ، ومن يصنع مثل ذلك فقد نازع الله في ألوهيته وربوبيته على خلقه والعياذ بالله! وكان الأجدر به وبأمثاله أن يحملوا متشابه القول على محكمه، مع حسن الظنَّ بأخيه، ولعلَّه يقصد كذا، ولعلَّه يقصد كذا، فإن صحَّ وأصبح الكل محكمًا فذلكم القصد، وإلا التمس لأخيه العذر، مع دفن تلك السيئة في بحار حسناته، وليس بالتشهير بها، وبناء الأحكام المسبقة عليها، ومن هذا صنيعه فيخشى عليه من سوء الخاتمة والعياذ بالله.

وَمَسَاءً))، قال: فقام رجلٌ غائِرُ العينينِ، مُشرِفُ الوَجنتين، ناشِزُ الجبهة، كَثُّ اللِّحية، محلُوقُ الرَّأسِ، مُشَمَّرُ الإِزَارِ، فقَالَ يا رسول الله اتَّق الله، قال: ((**وَيْلَكَ، أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ**))! قال: ثُمَّ ولَّى الرَّجُلُ، قَالَ خالدُ بنُ الوليد: يا رسول الله، أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قال: ((**لاَ؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي**)). فقَالَ خالدٌ: وكم من مُصلٍّ يَقُولُ بلسَانِهِ ما ليس فِي قَلْبِهِ، قَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ**)). قَالَ: ثمَّ نظر إليه وهو مُقَفٍّ، فقال: ((**إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**))، وأَظُنُّهُ قال: ((**لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ**))[١].

- **ما يستفاد من الحديث:**

– دلَّ الحديث أنَّ الحكم يكون على ما ظَهَرَ مِنْ إيمانِهم، ورد علم ما في أنْفِسهم إلى العالم بالسَّرائر، المنفردِ بعلمِ ذات الصُّدور، وعلم ما في النُّفوس مِنْ علمِ الغيب، وقد قَالَ الله تَعَالى لرسوله: {**وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ**}[٢]. وقَالَ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**أمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**))[٣]. فاكتفى منهم بالظَّاهر، ووكل سرائرهم إلى الله، ولم يجعل لنا علما بالنِّيَّات والمقاصد تتعلَّق الأحكام الدُّنيوية بها[٤].

---

(١) أخرجه: البخاري(٤٣٥١)، واللفظ له، ومسلم(١٠٦٤).

(٢) سورة هود، من الآية: ٣١.

(٣) أخرجه: البخاري(٢٥)، واللفظ له، ومسلم(٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) ينظر: زاد المعاد٣/٨٢.

- أفاد الحديث أنَّ الحكم يكون على ما ظَهَرَ؛ ليقطع سوء الظنَّ، والتَّسلط على نيَّات المسلمين، فالمرء لا يعرف نيَّته في كثيرٍ مِنَ الأمور، فأنَّى له أنْ يتسلَّط على نيَّات النَّاس أوْ أنْ يُنَقِّب عمَّا في قُلوبِهم.

- ظاهر الحديث أنَّ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يعلم ما في نيَّة الرُّجل، أضف إلى ذلك إظهاره للشَّر بقوله «اتقي الله»، حتى أنَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أخبر بأمر غيبيٍّ، وهو خروج الخوارج مِنْ نَسْلِه، ومع كلِّ هذه القرائن والعلم تركَهُ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم؛ تربية لأصحابه، وتعليمًا لهم؛ حتى لا يسترسلوا وينقِّبوا عمَّا في القلوب، ويسوقون الأحكام تبعًا لذلك؛ بزعم ثمة قرائن تدل على ما في داخله فيحاكم عليها.

- دل الحديث أنَّ ثمة أناس يبطنونَ ما لا يظهرون، ويُعْلنون بما لا يُسرُّون، وهو النِّفاق نسأل الله العافية، هو إبطان الشَّرِّ، وإظهار الخير مِنْ صلاةٍ وصيامٍ، والله المستعان، فهذا كله منافٍ للإيمان، مناف للعدل الَّذي أمر الله به في قوله{**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**}(١).

باب: مَا يَجِدُ المَرْءُ مِنْ حَلاوة الإيمانِ إنْ غَضَّ بَصَرَهُ

٤٥. عن حُذيفة بنِ اليمان رضي الله عنه، قال: قَالَ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**النَّظَرُ إلى الْمَرْأَةِ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ، فَمَنْ تَرَكَهُ خَوْفَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَثَابَهُ اللَّهُ تَعَالى إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ**»(٢).

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠. الشاهد من الآية تفسير الإمام ابن عيينة لها: «العدل في هذا الموضع هو استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملًا، والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته، والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته». تفسير ابن كثير٤/٥١١.

(٢) أخرجه: الخرائطي في اعتلال القلوب(٢٧٣)، وصححه الحاكم في المستدرك(٧٨٧٥)، وإسناده ضعيفٌ. ينظر: مجمع الزوائد٧/٣٧٧.

- **ما يستفاد من الحديث:**

- دل الحديث على أنَّ غضَّ البصر الَّذي سببه خشية الله يورثُ حلاوة الإيمان ولذَّته، الَّتي هي أحلى وأطيب ممَّا تركه لله؛ فإنَّ مَنْ ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه[١]، بأنْ يفتح لَهُ باب العلم والإيمان، والمعرفةِ والفراسَة الصَّادقة المصيبة الَّتي إنَّما تُنال ببصيرة القلب[٢].

- قدَّم بمقدمة تدلَّ على خطورة نظرةِ الحرامِ، وشبهها بالسَّهم المسمومِ؛ لأنَّ مَنْ أطلق لحظاته دامتْ حسراتُه وأوجاعُه، ثمَّ بيَّن إنَّ مَنْ حَجَبَ نَظَرَهُ؛ خشية لله أورثَه الله حلاوةَ الإيمان، وهو سعادةُ العبد في معاشِه ومعادِه، وليس للعبدِ في دُنياه وآخرتِه أنفع مِن امتثال أوامر ربِّه تبارك وتَعَالى، وما سَعِدَ مَنْ سَعِدَ في الدُّنيا والآخرة إلا بامتثال أوامره، وما شَقِيَ مَنْ شَقِيَ في الدُّنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره[٣].

- في الحديث دلالة على أنَّ الإيمان له حلاوة وطعمٌ، يُذاقُ بالقلوب، كما يُذاقُ حلاوة الطَّعام والشَّراب بالفم، فإنَّ الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها، كما أنَّ الطَّعام والشَّراب غذاء

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى؛ لابن تيمية١٥/٤٢٢.

(٢) ينظر: الجواب الكافي: ١٢٦.

(٣) وفي غض البصر فوائدة عدَّة، منها: الأول: أنَّه امتثال لأمر الله الَّذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده، وليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تبارك وتَعَالى. الثاني: أنَّه يمنع من وصول أثر السم المسموم الذى لعل فيه هلاكه إلى قلبه. الثالث: أنَّه يورث القلب أنسًا بالله وجمعية على الله، فإنَّ إطلاق البصر يُفرِّق القلب ويشتته ويبعده من الله، وليس على العبد شيء أضر من إطلاق البصر؛ فإنَّه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه. الرابع: أنَّه يقوِّي القلب ويفرحه، كما أنَّ إطلاق البصر يضعفه ويحزنه. الخامس: أنَّه يكسب القلب نورًا كما أنَّ إطلاقه يكسبه ظلمة، ولهذا ذكر سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر، فقال: {**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ**}، ثمَّ قَالَ أثر ذلك: {**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**}، أي: مثل نوره في قلب عبده المؤمن الَّذي امتثل أوامره واجتنب. السادس: أنَّه يورث الفراسة الصادقة، الَّتي يميز بها بين المحق والمبطل، والصادق والكاذب. السابع: أنَّه يورث القلب ثباتًا وشجاعة وقوة، ويجمع الله له بين سلطان البصيرة والحجة، وسلطان القدرة والقوة، كما في الأثر الَّذي يخالف هواه يفر الشيطان من ظله. ينظر تتمة ذلك مفصلًا في كتاب ابن القيم الجواب الكافي: ١٢٨. فقد أسهب في ذلك.

الأبدان وقوتها، وكما أنَّ الجسد لا يجد حلاوة الطَّعام والشَّراب إلا عند صحته، فإذا سقم لم يجدْ حلاوة ما ينفعه مِنْ ذلك، بل قد يستحلي ما يَضُرُّه، وما ليس فيه حلاوة؛ لغلبة السَّقم عليه، فكذلك القلب إنَّما يجد حلاوة الإيمان مِنْ أسقامه وآفاته، فإذا سَلِمَ مِنْ مَرَضِ الأهواء المضلَّة، والشهوات المحرمة، وجد حلاوة الإيمان حينئذٍ، ومتى مَرِضَ وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلي ما فيه هلاكه مِن الأهواء والمعاصي والعياذ بالله[١].

باب قوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: إنَّ قلبك حشي الإيمان

٤٦. عن عبد اللَّه بن عمرٍو، قال: جاء رجلٌ إلى رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، فقال: يا رسول اللَّه، إنِّي أَقرأُ القرآن، فلا أجدُ قلبي يعقِلُ عليه؟ فقَالَ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**إِنَّ قَلْبَكَ حُشِيَ الْإِيمَانَ، وَإِنَّ الْإِيمَانَ يُعْطَى الْعَبْدَ قَبْلَ الْقُرْآنِ**»[٢].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- دلَّ الحديث على أنَّ الإيمان قد دخل قلبه فامتلأ به، بحيث ما بقي فيه موضع لغيره، كما جاء عن حذيفة: «إنَّا قومٌ أوتينا الإيمان قبل أن نؤتى القرآن، وإنَّكم قوم أوتيتم القرآن قبل أن تؤتوا الإيمان»[٣] .

- وفيه أنَّ الإيمان إذا استغرق قلب العبدِ وغَلَب عليه، يَنْسى كلَّ شيء غيره، ويذهل عنه إلا مَنْ قوَّاه الله تَعَالى على تحمل القرآن والعلم مع كَمَال الإيمانِ، وشرحَ صَدْرَه لذلك، قوله: «**وإنَّ الإيمان**»: أي: كماله، «**يُعطى**»، أي: قد يُعطى[٤].

- أنَّ قلوب النَّاس تتفاوت في عَقْلِ الحقِّ واحتمال معرفته، فمنهم مَنْ يرزقُه الله القوَّة القلبيَّة، فتكون لديه قوَّة لعقلِ معاني القرآن واستحضارِها، مع قوَّةٍ لاحتمال القلب لهذه المعاني بقدر؛ لأنَّ

(١) فتح الباري؛ لابن رجب١/٥٠.
(٢) أخرجه: أحمد(٦٦٠٤)، وفيه ابن لهيعة رحمه الله، فلا يصحُّ.
(٣) أخرجه: سعيد بن منصور كما في التفسير من سننه(٤٨).
(٤) ينظر: مسند الإمام أحمد١١/١٧٧حاشية(١).

احتمال المخلوق له قدر محدود، فإذا وردَ على القلب ما يزيد على احتماله لم يتَّسع له، بل ربَّما ضَرَّه، وقد شُق صدر النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وغسل وملأ بالحكمة والإيمان، قيل: مِنْ أوجه حكمة ذلك؛ ليتحمل ما سيشاهده مِنَ الآيات الكُبرى والأمور المهولة.

– هذا الحديث مخرّج على مَقْصَدِه؛ وهو عدم التَّثريب على المؤمن الَّذي يحرص على عَقْل معاني القرآن، ويجد مع ذلك ذُهولًا وانصراف ذهنٍ؛ فإنَّ مِنَ النَّاس مَنْ يشتدَّ عليه ذلك جدًا ويغتمَّ له، وربّما اتَّهم نفسه بالنِّفاق، ودخله مِنَ اليأسِ والأذى النَّفسي شيءٌ كثيرٌ؛ فأراد النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم استلال ذلك كلِّه بطمأنته، بأنَّ قلبَهُ حُشِيَ إيمانًا، فيرتاح لذلك المؤمن، وتطمئنُّ نفسه(١).

(١) ينظر: موقع آفاق التَّيسير؛ للتعليم عن بعيد، موقع على الشبكة العنكبوتية. ومن تتمة كلام هناك: «وقد وصف الله القرآن بأنَّه قول ثقيل، وفيه من العلم الجليل ما لا تتسع له كثير من القلوب، ولذلك يعلمون منه ما ييسّره الله لهم، وما تحتمله قلوبهم، وإلا لو اجتمع في قلب من القلوب ضعف الاحتمال وقوة عقل معاني القرآن لخشي عليه من الصعق كما حصل لبعض التابعين، ومنهم من مات بسبب ذلك...وهذا يقع بسبب اجتماع قوّة عقل المعاني مع ضعف احتمال القلب، وقد قَالَ الله تَعَالى: {**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**}، ولذلك كان من رحمة الله ببعض القلوب أنْ يفتح عليه من معاني القرآن بقدر ما تطيق احتماله، ومنهم من يبلغ به أن تتزاحم في قلبه أمور فلا تتسع لقوة عقل معاني القرآن؛ فإن كانت هذه الأمور من أمور الإيمان كان صاحبها معذوراً؛ وهذا ما يُحمل عليه الحديث على القول بصحّته . وإن كانت من أمور الدنيا بحيث يزدحم في قلب قارئ القرآن الاشتغال بأمور الدنيا حتى لا يتّسع قلبه لعقل معاني القرآن كان مذمومًا، والله تَعَالى قد قسم العقول كما قسم الأرزاق؛ فمن قُسم له الإيمان وقوة عقل معاني القرآن كان من خير المراتب؛ وهذا كان حال النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم والكمّل من أمّته؛ فإنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قد حشي قلبه إيمانا وهو مع ذلك أحسن الناس عقلاً لمعاني القرآن . ومن قسم له الإيمان ووجد ضعفاً في عقل معاني القرآن فليرض بما قسم الله له؛ إذ أعطاه الله الإيمان، وهو مع ذلك لا يفوته – بإذن الله – قدر من فهم القرآن ينتفع به...».

باب: أَمارة دُخُولِ الإيمانُ فِيْ القَلْبِ

٤٧. عن أَبي رَزِينٍ العُقيلِيِّ رضي الله عنه، قال: أَتيتُ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، فقلتُ: يا رسول اللَّه كيف يُحيي اللَّه الموتى؟ قال: ((**أَمَا مَرَرْتَ بِأَرْضٍ مِنْ أَرْضِكَ مُجْدِبَةٍ، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهَا مُخْصَبَةً**))؟ قال: نعم، قال: ((**كَذَلِكَ النُّشُورُ**)). قال: يا رسول اللَّه وما الإيمان؟ قال: ((**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ تُحْرَقَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ، وَأَنْ تُحِبَّ غَيْرَ ذِي نَسَبٍ لَا تُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ فَقَدْ دَخَلَ حُبُّ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِكَ، كَمَا دَخَلَ حُبُّ الْمَاءِ لِلظَّمْآنِ فِي الْيَوْمِ الْقَائِظِ**)). قلت: يا رسول اللَّه، كيفَ لي بأَنْ أَعلم أنِّي مؤمنٌ؟ قال: ((**مَا مِنْ أُمَّتِي – أَوْ هَذِهِ الْأُمَّةِ – عَبْدٌ يَعْمَلُ حَسَنَةً فَيَعْلَمُ أَنَّهَا حَسَنَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَازِيهِ بِهَا خَيْرًا، وَلَا يَعْمَلُ سَيِّئَةً فَيَعْلَمُ أَنَّهَا سَيِّئَةٌ، وَيَسْتَغْفَرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهَا وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ إِلَّا هُوَ، إِلَّا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**))(١).

● **ما يستفاد من الحديث:**

– جمع له رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بين أصل الإيمان وكماله، بحيث مَنْ جمع ذلك دَخَل حبُّ الإيمان قلبَه، والمقصود –والله أعلم– حلاوتَه، فالتَّوحيد أصلُ الإيمان وحقيقته، ولا يصحُّ إيمان امرئ بدونه، ثمَّ أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممَّا سواهما، ومحبَّة الله على قسمين:

إحداهما: فرضٌ، وهي المحبَّة المقتضية لفعل أوامره الواجبة، والانتهاء عَنْ زواجره المحرَّمةِ، والصَّبر على مقدوراته المؤلمة، فهذا القَدْر لا بدَّ منه في محبَّة الله، وَمَنْ لم تكن محبَّتُه على هذا الوجه فهو كاذب في دعوى محبَّة الله.

---

(١) أخرجه: أحمد(١٦١٩٤)، واللفظ له، وابن ماجه(١٨٠)، وأبو داود(٤٧٣١)، وصححه الحاكم(٨٦٨٢)، وفيه ضعفٌ؛ وذلك أنَّه من رواية سليمان بن موسى، وهو لم يدرك أحدًا من الصحابة، وقد ضعفه البخاري وغيره. ينظر: العلل الكبير؛ للترمذي(١٧٦)، و(٤٦٣).

الثانية مِنَ المحبَّة، وهي فضل مستحبٌ: أن ترتقي المحبَّة مِنْ ذلك إلى التَّقرب بنوافل الطَّاعاتِ، والانكفاف عَنْ دقائِق الشُّبهاتِ والمكروهاتِ، والرِّضى بالأقضية المؤلمات.

وأمَّا محبَّة الرَّسول صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم فهي على درجتين كذلك، الأولى: فرضٌ، وهي ما اقتضى طاعتَه في امتثال ما أمرَ بِهِ مِنَ الواجباتِ، والانتهَاء عَمَّا نَهى عنه مِنَ المحرَّمات، والرِّضى بذلك، وأنْ لا يجد في نفسه حَرَجًا ممَّا جاء به، ويسلِّم له تسليمًا.

الدرجة الثانية: فضلٌ مندوب إليه، وهي: ما ارتَقَى بعد ذلِكَ إلى اتِّباع سنته وآدابه وأخلاقه، والاقتداء بِهِ في هَدْيِه وسمتِه وحسنِ معاشرتِه لأهله وإخوانِه، وفي التَّخلق بأخلاقه الظَّاهرةِ في الزُّهد في الدُّنيا، والرَّغبة في الآخرة، وفي جُودِه وإيثاره، وصفْحِه وحِلْمِه واحتمالِه وتواضُعِه، وفي أخلاقِه البَاطِنَة، مِنْ كَمَال خشيته لله، ومحبَّته له وشوقِه إلى لقائِه، ورضاه بقضائِه، وتعلُّق قلبه به دائمًا وصدق الالتجاء إليه، والتوكُّل والاعتماد عَليه، وقطعِ تعلُّق القلب بالأسباب كلِّها، ودوام لهج القلبِ واللِّسان بذكْرِهِ والأنُس بِهِ، والتَّنعمِ بالخلوة، بمناجاته ودعائه وتلاوة كتابه بالتدبُّر والتفكُّر.

وأنْ يُحبَّ المرَء لا يحبُّه إلا لله، والحبُّ في الله مِنْ أصولِ الإيمانِ وأعلى درجاتِه، وإنَّما كانَتْ هَذِهِ الخَصْلة تالية لما قَبْلها؛ لأنَّ مَنْ كان الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما فقد صار حبُّه كله له، ويلزم مِنْ ذلكَ أنْ يكون بغضه لله وموالاته له ومعاداته له، وأن لا تبقى له بقيَّة مِنْ نَفْسِه وهواه، وذلك يستلزم محبَّة ما يحبُّه الله مِنَ الأقوال والأعمال، وكراهة ما يكرهه مِنْ ذلك، وكذلك مِنَ الأشخاص، ويلزم مِنْ ذلك معاملتَهم بمقتضى الحبِّ والبغض، فمنْ أحبَّه الله أكرمه وعامله بالعدل والفضْلِ، وَمَنْ أبغضه لله أهانه بالعدل.

وأنْ يحرَّق في النَّار أحب إليه مِنْ أن يُشركَ بالله، وذلك أنَّ الإيمان إذا رَسَخَ في القلب وتحقَّق به ووجد حلاوتَه وطعمَه، أحبَّه وأحبَّ ثباتَه ودوامَه، والزِّيادة منه، وكَرِهَ مفارقتَه، وكان كراهته لمفارقته أعظم عنده مِنْ كراهة الإلقاء في النَّار، قَالَ الله تَعَالى {**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**}[1]. والمؤمنُ

(١) سورة الحجرات، من الآية: ٧.

يُحبُّ الإيمان أشدَّ مِنْ حُبِّ الماء البارد في شدَّة الحرِّ للظمآن، ويكره الخروج مِنْه أشدَّ مِنْ كراهة التَّحريق بالنيران[١].

وأنْ يحب غير ذي نسب لا يحبه إلا لله، لا يحبُّه لعرض دنيويٍّ زائل ولا لمتاعٍ فان، بل لا بدَّ أن تكون المحبَّة في الله عزَّ وجل، فمن كان ذلك فقد دخل الإيمان في قلبه، وخالط بشاشتَه، ووجد حلاوتَه، والنَّاس تتفاوت في ذلك، والله الموفق[٢].

باب: يبعثُ اللهُ رِيْحًا ليِّنة لا تَدعُ أحَدًا في قَلْبِه إيمانٌ إلا قَبَضَتْهُ

٤٨. عن عبد العزيز بن مُحَمَّد، وأَبي علقمة الفَرويِّ، قالا: حدَّثنا صفوانُ بن سُليمٍ، عن عبد الله بنِ سلمان، عن أَبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلَا تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ** - قَالَ أَبو علقمة: ((**مِثْقَالَ حَبَّةٍ**))، وقَالَ عبد العزيز: ((**مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**)) - **مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ**))[٣].

● ما يستفاد من الحديث:

- الحديث مِنْ أشراطِ السَّاعة، وقوله: ((**مثقَالَ حبَّة**))، أو: ((**ذرة من إيمان**)) أي: وزنها منه، والمثقَالَ معروفٌ، لكن ليس المراد به هنا حقيقتَه، بل عبَّر به؛ لأنَّه أقلُّ ما يُوزن به في العادة غالبًا.

- وفي الحديث دِلالةٌ على أنَّ الإيمانَ يَزِيدُ وينقُص، وأنَّ المؤمنين يرفق بهم، لكن هذا غالبي، وإلا فَكَمْ مِنْ سعيدٍ صعبَ عليه الموتُ، وشقيٍ سَهُل عليه[٤].

---

(١) ينظر: فتح الباري؛ لابن رجب الحنبلي ١/٥٧.

(٢) وكثيرًا ما نرى بعض الإخوان يصرِّح بأنه يحبُّ فلانًا في الله، ولكن سرعان ما يهجره إن بطلت المصلحة بينهما، أو وقعت مخالفة نفسية، فما أقبح من يبيع محبَّة الله لغرض دنيوي! فجدير بمن أحبَّ شخصًا لله أن لا يهجره إلا لله، وإلا كان ممن باع محبَّة الله لهواه، نسأل الله العافية.

(٣) أخرجه: مسلم(١١٧).

(٤) ينظر: فيض القدير؛ للمناوي ٢/٢٨٢.

- في الحديث دِلالة على عِظَمِ الإيمان بالله سبحانه وتَعَالى، فالله يُرسل تلك الرِّيح حتَّى لا يبقى على الأرض إلا شرارُها المحض، مِنَ كفَّارٍ ومنافقينَ والعياذُ بالله، وأنَّ مَنْ كان في قَلْبِه أدنى شيءٍ من وإيمان يقبض مع أهل الإيمان.

باب: يَخْرُجُ مِنَ النَّار مَنْ كَانَ في قَلْبِه مِثقَالَ حبَّة مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ

٤٩. عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي اللَّه عنه، عنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قال: ((**يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ**))، ثمَّ يقول اللَّه تَعَالى:((**أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَا، أَوِ الحَيَاةِ – شكَّ مالكٌ – فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً**))[١].

● ما يستفاد من الحديث:

- يخبرُنَا صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بعدلِ الله تعالى، بأنَّه سبحانه وتَعَالى لا يَظْلم أحَدًا عَمِلَ خَيْرًا، وَذِكْر الحبَّة ونصفها، والمثقَالَ ونصفه، وأدنى مِنْ ذلك، هي كلُّها عبارات عن كثرة تلك الأعمال وقلتِها[٢]، وأنَّ مَنْ عَمِلَ خيرًا سيراه يومًا ما وإن قُدِّر أنْ يدخلَ النَّار والعياذ بالله؛ لغلبة سيِّئاته على حسناتِه، ويصدقه قوله تعالى: {**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**}[٣]، أي: يرى ثوابَها وجزاءَها، وهذا لأهل التَّوحيد خاصَّة بخلاف أهل الشِّرك، فهم مخلَّدون في النَّار أبدًا والعياذ بالله، وكذا قوله تَعَالى: {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**}[٤].

- في الحديث دِلالةٌ على أنَّ نظر الله يكون على ما في القَلب، وقد تقدَّم طرفًا مِنْ ذِكْرِ ذلك، فالقلب هو محل العناية والنَّظر الإلهي.

---

(١) أخرجه: البخاري(٢٢)، واللفظ له، ومسلم(١٨٤).

(٢) ينظر: المفهم؛ للقرطبي٣/٦٦.

(٣) سورة الزلزلة، الآية: ٧.

(٤) سورة النساء، من الآية: ٤٠.

- في الحديث دلالة على أنَّ الإيمان يتفاضل في القلوب، وأنَّه يفوق معنى كلمة التَّوحيد.

- دلَّ الحديث على أنَّ الإيمان القلبي وهو التَّصديق لا يقتسمه الغرماء بمظالمهم؛ بل يبقى على صاحبه؛ لأنَّ الغرماء لو اقتسموا ذلك لخلد بعض أهل التَّوحيد في النَّار، وصار مسلوبًا ما في قلبه مِنَ التَّصديق، وما قاله بلسانه مِنَ الشَّهادة، وإنَّما يَخْرُج عصاة الموحِّدين مِنَ النَّار بهذين الشيئينِ، فدلَّ على بقائهما على جميع مَنْ دَخَل النَّار مِنْهُم، وأنَّ الغرماء إنَّما يقتسمون الإيمان العملي بالجوارح، وقد قَالَ ابن عيينه وغيره: إنَّ الصوم خاصَّة مِنْ أعمال الجوارح لا تقتسمه الغرماء أيضًا[١]، ولعلَّه استنبط ذلك من قوله: ((**فإنَّه لي**)).

(١) فتح الباري؛ لابن رجب ١/٩٥.

الفصل الخامس

في الأَدْعِيَة والأَذْكار

باب: القلوب أَوْعِيَة وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ

٥٠. عن عبد اللَّه بن عمرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قال: ((**الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ**))[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- في الحديث دِلالةٌ على تفاضِل القُلوب، وأنَّ بعضها أوعَى مِنْ بعضٍ، وقوله: ((**القلوب أوعية**)) أي: حافظة متدبِّرة[٢]، فخيرُها أوعاها للخيْرِ والرَّشاد، وشرهُا أوعاهَا للغيِّ والفَسَادِ.

- شبَّه القلبَ بالوِعَاء؛ لأنَّه وعاءٌ للخير والشَّر، وفي بعض الآثار: إنَّ لله في أرضه آنية، وهي القلوب، فخيرها أرقَّها وأصلبها وأصفاها، فهي أواني مملوءة مِنَ الخير، وأواني مملوءة مِنَ الشَّر، كما قَالَ بعض السَّلف: قلوب الأبرار تغلي بالبرِّ، وقلوب الفجَّار تغلي بالفُجُورِ، وكلُّ إناءٍ بالَّذي فيه ينضَحُ، فالقلوب في سعتِها وضيقِها كالأوعية[٣].

- وكذلك شبهها بالوعاء؛ لأنَّ الوعاء مِنْ مادَّة الوعي، فإِنَّهُ آلة ما يوعى فيه، ويوصف بذلك القلب والأذن، كقوله تَعَالى: {**إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**}[٤]. وسبب ذلك؛ لما بين الأذن والقلب مِنَ الارتباطِ، فالعلم يدخل مِنَ

---

(١) أخرجه: أحمد(٦٦٥٥)، وفي إسناده عبد الله بن لهيعة رحمه الله تَعَالى، وله شاهدٌ سيأتي، وفي كلٍّ ضعفٌ، وقد حسَّنه الهيثمي في المجمع١٠/١٤٨، والمنذري في الترغيب والترهيب(٢٥٥٤).

(٢) ينظر: التَّيسير؛ للمناوي١/٣٥٤.

(٣) ينظر: مفتاح دار السعادة؛ لابن القيم: ١٢٥.

(٤) سورة الحاقة.

الأذن إلى القلب، فَهِي بابه، ولما كان القلبُ وعاء، والأذن مدخل ذلك الوِعَاء وبابه، كَانَ حُصُول الْعلم مَوْقُوفا على حسن الِاسْتِمَاع، وعَقْل القلب، والعقل هُوَ ضبط ما وصل إلى القلب، وإمساكه حَتَّى لا يَتَفلَّت منه[1].

– في الحديث دِلالةٌ على أنَّ الدعاء سببٌ مقتضٍ للإجابة معَ استكمال شرائطه، وانتفاء موانعه، وقد تتخلَّف إجابته؛ لانتفاءِ بعض شروطِه؛ أو وجود بعض موانِعه، ومِنْ أعظم شرائطه حضور القلب، ورجاءُ الإجابة مِنَ الله تَعَالى، ولهذا نهي العبد أنْ يقول في دعائه: اللهمَّ اغفر لي إنْ شئت، ولكن ليعزِمِ المسألَة، فإنَّ الله لا مُكرهَ له[2]، وقد استجاب الله لإبليس دعاءه كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: {**قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(١٤)قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ**}[3]، فالله استجاب لإبليس على شرِّه؛ في طلبه للشرِّ، فكيف لا يستجيب للمؤمن الصالح فيما يناجيه؛ للصَّلاح والإصلاح والخير، فجدير بالمؤمن أنْ يحسن الظنَّ بربِّه مِنْ أنَّه يستجيب له إن كان خيرًا له، أو أنَّه يعوِّضه بدل الفوت، فالله واسع الفضل، ولعلَّك تنظر إلى أمِّ مريم، تمنَّت أنْ تَلِدَ ولدًا؛ ليخدُمَ بيت الله، قال تعالى حاكيًا خبرها: {**إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**}[4]، ثمَّ شاء الله أنْ تلد بنتًا، فاعتذرت إلى ربِّها كما اخبر الله تعالى: {**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى**}[5]، فعلم الله صدق نيَّتها، فجازاها بأنْ تلد تلك البنت ذكرًا نبيًا وبلا زوجٍ! يخدم دين الله كلَّه لا بيته فقط! إنها نيَّات الخير المورثة إلى جلب ما لا تقدره العقول مِنْ عطاء الله وسعة كرمه!

---

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة: ١٢٥.

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم؛ لابن رجب الحنبلي ١١٥٨/٣. والحديث أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم(٢٦٧٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «**لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَه**».

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤، ١٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.

(٥) سورة آل عمران، من الآية: ٣٦.

باب: ما يَنْبَغِي مِنْ حُضُورِ القَلْبِ عِنْدَ الدُّعاء

٥١. عن أَبِي هريرة، قال: قَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ**»[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- أفاد الحديث إلى أنَّ حضور القلب وإخلاصه مع رجاء الإجابة[٢] وتعلُّق القلب بالدَّاعي شرطٌ عظيمٌ مِنْ شروطِ إجابة الدُّعاء، وإنَّما كان ذلك؛ لأنَّ القلب ملك الأعضاء كلها، وهو محلُّ نظر الله تَعَالى، وهو والوعاء الَّذي يُحمل القبول به مِنْ عند الله سبحانه وتَعَالى، فمن جلب ذلكم الوعاء وكان صالحًا عُبِّء له وزيد، ومن لم يجلبه رَجَعَ فارغًا، وعدَّ مضيِّعًا لوقته، جاهلًا ما يعرف

(١) أخرجه: الترمذي(٣٤٧٩)، وضعَّفه، ولا ينفعه تجويد الحاكم له في المستدرك(١٨١٧).

(٢) قَالَ صاحب روح البيان١٣٦/٣: «ليكن الداعي ربه على يقين بأنَّ الله يجيب؛ لأنَّ رد الدعاء؛ إمَّا للعجز في إجابته؛ أو لعدم كرم في المدعو؛ أو لعدم علم المدعو بدعاء الداعي، وهذه الأشياء منتفية عن الله تَعَالى؛ فإنَّه عالِمٌ كريمٌ قادرٌ لا مانع له من الإجابة. قَالَ سهل: ما أظهر عبد فقره إلى الله تَعَالى في وقت الدعاء في شيء يحلُّ به إلا قَالَ الله تَعَالى لملائكته: لولا أنَّه لا يحتمل كلامي لأجبته لبيك. حكي أنَّ موسى عليه السلام: مرّ برجل يدعو ويتضرَّع، فقَالَ موسى: لو كانت حاجته بيدي لقضيتها، فأوحى الله تَعَالى إليه: أنا أرحم به منك، ولكنه يدعوني وله غنم، وقلبه في غنمه، وأنا لا أقبل دعوة عبد قلبه عند غيري، فذكر ذلك للرجل، فتوجه إلى الله بقلبه، فقضيت حاجته، فيلزم حضور القلب، وحسن الظن بالله في إجابة الدعاء، وحكي عن بعض البله وهو في طواف الوداع أنَّه قَالَ له رجل وهو يمازحه: هل أخذت من الله براءتك من النار؟ فقَالَ الأبله: لا، وهل أخذ الناس ذلك فقال: نعم، فبكى ذلك الأبله، ودخل الحجر، وتعلق بأستار الكعبة، وجعل يبكي ويطلب من الله أن يعطيه كتابه بعتقه من النار، فجعل أصحابه والناس يلومونه ويعرفونه أنَّ فلانًا مزح معك وهو لا يصدقهم، بل بقي مستقرًا على حاله، فبينا هو كذلك، إذ سقطت عليه ورقة من جهة الميزاب، فيها مكتوب عتقه من النار، فسرّ بها وأوقف الناس عليها، وكان من آية ذلك الكتاب أن يقرأ من كل ناحية على السواء، لا يتغير كلَّما قلبت الورقة انقلبت الكتابة؛ لانقلابها، فعلم الناس أنه من عند الله. قيل: دعاء العامة بالأقوال، ودعاء الزاهدين بالأفعال، ودعاء العارفين بالأحوال، وإذا وفق الله عبدًا إلى نطق بأمر مّا فما وفقه إليه إلا وقد أراد إجابته فيه، وقضاء حاجته، وعدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند أهل الطريقة؛ لأنَّه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه».

كيفية مخاطبة مليكه، وأمَّا مَنْ جلب وعاءً ملوثًا أرجئ حتى يُطهِّره ويغسلَه، فما يحسن للمَمْلوك أنْ يقدم على الملك بقلب مشحونٍ بالآفات والعللِ، مِن غشٍ وحسدٍ وكبرٍ وغلٍ وأكل حرامٍ ونحو ذلك حتى ينقيه، وما من عادة الملوك أن تنظر إلى مثل ذلك، وإنَّما تصرف مِنْ وراء حجاب.

باب: دعائه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم «اللَّهمَّ اجْعَل في قَلْبِي نُورًا»

٥٢. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم كان يقول في دُعائه: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا**»[1].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يدعو الله عزَّ وجلَّ في أوقات ليله ونهاره، وعند نومه ويقظته بنوع مِنَ الدُّعاء ما يصلح لحالته تلك، ولوقته ذاك[2]، وكان من دعائه إذا انتبه مِنَ اللَّيل أنْ يسأل ربَّه أن يجعل في قلبه نورًا عظيمًا، وذلك أنَّ الله نور السماوات والأرض، وهو الَّذي جعل الظلام بأمره، والنَّهار بأمره، فناسب أنْ يَسألَ ربَّه نور السماوات والأرض، بأن يقذف في قلبه مِنْ نوره جلَّ وعلا، ليأنس به في خلوات الليالي، حيث لا نورَ إلا نوره جلَّ وعلا، فإذا دخل نور الله قلبَ المؤمِنِ، أصبح لا يرى إلا ما يُحبُّه خالقُه، ولا يَسْعد إلا في طاعة مولاه، يصبح الظَّلام الموحش معه نورًا وضياء، وخلوة الوحدة معه أنسًا وانشراحًا وسرورًا، والطَّاعة له لذَّة عظيمة، والمشقَّة في سبيله متعة كبيرة تهبُّ معها نسائم مِنْ أبواب الجنَّة المفتَّحة، فهي مشقَّة ظاهرة، وجنَّة باطنة، والعذاب في سبيل الله عند أولياء الله أحب إليهم من المتعة في معصية الله، وفي الحقيقة لا متعة في معصيةٍ، ولا عذاب في طاعةِ المحبوب، فالله يقذف في قلوب أوليائه ما تقر تسكن به نفوسهم، وقد وعدهم بما تقر بهم عيونهم، فسبحانه من أدخل أولياءه جنته وهم في

---

(١) أخرجه: البخاري(٦٣١٦)، واللفظ له، ومسلم(٧٦٣).

(٢) ينظر: شرح ابن بطال١٠/٨٥.

الدنيا، وأدخل أعداءه ناره وهم بعد في هذه العاجلة(١)، وقد تدبَّرت بعض الأحاديث الَّتي سأل رسولُ الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم ربَّه النُّور فيها، أو الَّتي أثنى على ربِّه بالنور فيها: كحديث: «**وَلَكَ الحَمْدُ نُور السَّماوات والأرضِ**»، وحديث: «**اللهمَّ اجعلْ فِيْ قَلْبِي نُوْرًا**» فوجدته صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يتضرع بذلك في ظلمات الليالي لا عند ضوء النَّهار. وكأنَّه بذلك؛ يعلمنا صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، بأنَّه اشتدَّ الظلام، وعمَّت ظلمة الباطل، وتأخرَّ ضوء الحقِّ في الظهور لمن يراه، وتعثَّر من يحمل رايته أو تأخَّر، أنْ نفر نحو نور السماوات والأرض، وأنْ نعكف على ببابه؛ داعين متضرِّعين؛ بأنْ يقذفَ في قلوبنا نورًا؛ نُبصر به حفر أهل الباطل والضلال، فمن لم يجعل الله له نورًا، فما له مِنْ نور يقيه تلك الظلمات وإن اجتهدَ في صنع مصابيح التفسير والتحليل.

باب: قوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا»

٥٣. عن عائشةَ رضي اللَّه عنها: أَنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم كان يقولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا**

---

(١) ومن جميل ما قَالَه شيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله ثراه كما في مجموع الفتاوى٢/٣٧٣: «فإنَّ وليَّ الله، لكمال محبته لله، وطاعته لله، يبقى إدراكه لله وبالله، وعمله لله وبالله؛ فما يسمعه ممَّا يُحبه الحق أحبَّه، وما يسمعه ممَّا يبغضه الحقُّ أبغضه، وما يراه ممَّا يُحبُّه الحقُّ أحبَّه، وما يراه ممَّا يبغضه الحقُّ أبغضه؛ ويبقى في سمعه وبصره من النُّور ما يميز به بين الحق والباطل؛ كما قَالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم في الحديث المتفق على صحته «**اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، واجعل لي نورًا**» . فوليُّ الله فيه من الموافقة لله: ما يتَّحد به المحبوب والمكروه والمأمور والمنهي ونحو ذلك، فيبقى محبوب الحق محبوبه، ومكروه الحق مكروهه، ومأمور الحق مأموره، ووليُّ الحق وليه، وعدو الحقِّ عدوه؛ بل المخلوق إذا أحبَّ المخلوق محبَّة تامَّة حصل بينهما نحو من هذا، حتى قد يتألم أحدهما بتألم الآخر، ويلتذ بلذته. ولهذا قَالَ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»، ولهذا كان المؤمن يسرُّه ما يسر المؤمنين، ويسوءه ما يسوءهم، ومن لم يكن كذلك، لم يكن منهم».

نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ»[١].

- **ما يستفاد من الحديث:**

– قوله: «**نقِّ قَلْبِي مِنَ الخطَايَا**»: أي خلِّصه وطهِّره مِنَ الخَطَايا الباطنيَّة، وهيَ الأَخْلَاق الذَّمِيمة، والشَّمائل الرَّديَّة، كما يُنقَّى الثَّوب الأبيض مِنَ الدَّنَسِ أي: الوَسَخ.

– في الحديث إيماءٌ إلى أنَّ القلب بمقتضى أصلِ الفِطْرةِ سليمٌ، ونَظِيْفٌ، وأَبْيضٌ، وظريفٌ، وإنَّما يسوَّد بارتكاب الذُّنوب، وبالتخلُّق بالعيوب[٢].

– يرشد الحديث إلى سؤال اللهِ والرَّغبة إليه في كلِّ ما يَنْزِل بالمرءِ مِن حاجاتِه، وأن يعيِّن في كل ما يدعو فيه، ففي ذلك إطالةُ الرَّغبة إلى الله تَعَالى والتَّضرع إليه، وذلك طاعة الله تَعَالى، وكان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يتعوَّذ بالله مِنْ كلِّ ذلك ويعيِّنه باسمه، وإن كان الله قد عصمهُ مِنْ كلِّ شرٍ؛ ليلزم نفسَه خوف الله تَعَالى وإعظامه؛ وليسُنَّ ذلك لأمته، ويعلمهم كيف الاستعاذة من كلِّ شيء حتى نَعْلَه إذا انقطع[٣].

باب: الاسْتِعَاذة مِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَع

٥٤. عن زيدِ بن أَرقم رضي الله عنه، قال: لا أَقول لكم إِلَّا كما كان رسولُ الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يقول: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ، الْقَبْرِ اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،**

---

(١) أخرجه: البخاري(٦٣٦٨)، واللفظ له، ومسلم(٥٨٩).

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح؛ للقاري٧/١٧٠٥.

(٣) شرح ابن بطال١١٨/١٠. وقد نسب شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول إلى أكثر أهل الإسلام بأنَّ الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر. ينظر: مجموع الفتاوى٣١٩/٤.

اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا))(١).

- **ما يستفاد من الحديث:**

- يعلمنا النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم الاستعاذة ((**مِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَع**))، وهو القلب القاسي الَّذي لا ينقاد للطَّاعة، ولا لأمور الشَّريعة(٢)، ولا يسكن ولا يطمئنّ بذكرِ الله(٣)، وهو أبعد القلوب عَنْ حضرة علّام الغيوب، وقد توعَّد الله تلك القلوب بقوله:{**فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**}(٤). وإنَّما خصَّ القلب بالخشوع؛ لأنَّ من خشع قلبُه خشعت جوارحه، وليس العكس، لذلك دعا الله لخشوع القلب لا لجوارح؛ لأنَّ الجوارح تابعة لهذه الملك، الَّذي عليه المعوَّل في الصلاح والفلاح.

قرن الاستعاذة بين ((**عِلْمٍ لا يَنْفَع**))، وبين ((**قَلْبٍ لا يَخْشَع**))؛ ليرمز إلى أنَّ العلم النَّافع هو ما أورث الخُشُوع في القلب(٥)، والإقبال على الرَّبِّ سبحانه وتَعَالى، قَالَ الله جلَّ وعلا: {**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**}(٦).

باب: سؤال الله الهداية للقلب، ورفع الحِقْدِ عَنْهُ

٥٥. عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم كان يدعُو: ((**رَبِّ أَعِنِّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ**

---

(١) أخرجه: مسلم(٢٧٧٢).

(٢) ينظر: شرح سنن أبي داود؛ للعيني٥/٤٥٨.

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح٤/١٧٠٦.

(٤) سورة الزمر، من الآية: ٢٢.

(٥) التَّيسير بشرح الجامع الصغير؛ للمُناوي١/٢٢٥.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٩.

الْهُدَى إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، لَكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي»[1].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- يُعلِّمنا رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أنْ ندعوَ الله سبحانه وأنْ نسأَله الهِداية لقلوبنا، فهو الهَادي إلى سواءِ السَّبيل، ولا شكَّ أنَّ ما سأله رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم ربَّه هو حاصلٌ له، كيف لا وقدْ شقَّ قلبه واستُخْرِج منه حظ الشَّطان، وملئ بالحكمة والإيمان، ومثل هذه الأدعية تدخل مِنْ باب تعليمه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم لأمَّته، وَمِنْ باب قيامه بالشُّكر والذِّكر لربِّه سبحانه وتَعَالى، وقد سَبَقَ الكلام عن مثل هذا[2].

---

(١) أخرجه: أحمد(١٩٩٧)، وابن ماجه(٣٨٣٠)، وأبو داود(١٥١٠)، وصححه الترمذي(٣٥٥١)، والنسائي في الكبرى(١٠٣٦٩)، وابن حبان(٩٤٧)، والحاكم(١٩١٠).

(٢) قَالَ العلامة ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد٢/٤٤٥: «أنواع الهداية أربعة، أحدها: الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله تَعَالى {**ذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**}، أي: أعطى كلَّ شيء صورته الَّتي لا يشتبه فيها بغيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به، ثمَّ هداه إلى ما خلقه له من الأعمال، وهذه هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره...، النوع الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر، وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام؛ فإنَّها سبب وشرط لا موجب، ولهذا ينبغي الهدى معها كقوله تَعَالى: {**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**}، أي: بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم، فلم يهتدوا. النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء، فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله: {**يضل من يشاء**}. النوع الرابع: غاية هذه الهداية وهي الهداية إلى الجنة والنار، إذا سيق أهلهما إليهما، قَالَ تَعَالى: {**إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**}. إلى أنْ قَالَ رحمه الله: «إذا عرف هذا، فالهداية المسئولة في قوله {**الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْم**} إنَّما تتناول المرتبة الثانية والثالثة خاصة، فهي طلب التعريف، والبيان، والإرشاد، والتوفيق، والإلهام».

– قوله: ((**سَخِيْمة قَلْبِي**))، ووقع أيضًا: ((**سَخِيْمَة صَدْرِي**))، أي: غشِّه، وغلِّه، وحقده، وحسدَه ونحوها، ممَّا ينشأ مِنَ الصَّدر، ويَسْكُن في القلب مِنْ مساوئ الأخلاق، وقَدْ عبَّر بلفظ: سخيمة؛ لأنَّ السَّخيمة هي السَّواد، ومنه سخام القِدْرِ[١]، وكذلك الغلُّ والحسدُ وأضرابها مِنَ الآفاتِ تسوِّد القلب، وتذهب بنوْرِهِ حتَّى تظلمه، فجديرُ بالمسلم أنْ يستعيذَ بالله مِنْ شرِّ ذلك.

باب: سؤال الله أنْ يكون القرآن ربيع القلب

٥٦. عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه، قال: قَالَ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**))، **قال: فقيل: يا رسول اللَّه، أَلا نتعلَّمُهَا؟ فقال:** ((**بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**))[٢].

- **ما يستفاد من الحديث:**

– شبَّه القرآن بزمان الرَّبيع؛ لأنَّ الإنسان يرتاح قلبُه في الرَّبيع مِنَ الأزمان، ويميلُ إليه، وكما أنَّ الرَّبيع زمان إظهار آثار رحمة الله تَعَالى، وإحياءِ الأرض بعد موتِها، كذلك القرآن؛ يظهر منه تباشير لُطْف الله مِنَ الإيمان والمعارف، وتزول به ظُلمات الكُفْرِ والجَهَالة والهُمُومِ[٣]. وقيل في معناه أيضًا: أي أسألك أن تجعل القرآن كالرِّبيع الَّذي يَرْتع فيه الحيوان، وكذلك القرآن ربيع القلوب، أي:

---

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح٥/١٧٢٣.

(٢) أخرجه: أحمد(٣٧١٢)، وصححه ابن حبان(١٠٣٥)، والحاكم(١٨٧٧)، وكذا صححه جمع من المتأخرين والمعاصرين، والأقرب ضعفه، وقد أطال النفس الشيخ شعيب في بيان ضعفه، وينظر: العلل؛ للدارقطني(٨١٩).

(٣) ينظر: شرح المشكاة؛ للطيبي٦/١٩١٠.

يجعل قلبه مرتاحًا إلى القرآن، مائلًا إليه، راغبًا في تلاوته وتدبره، وقيل: أي منتزهه، ومكان رعَيْهِ وانتفاعه بأنوارِهِ، وأشْجَارِهِ، وثِمَارِهِ، المشبَّه بها أنواع العلوم والمعارفِ، وأصْنَافِ الحِكَم والأحْكَام واللطائف(١). فالقرآن ربيع القلوب، وقوتها، وروحها، إذا أبصره القلب أثمر وأينع، وآتى حصاد الثمرة لجميع جوارح البَدَن، فتصبح النَّفس بعد ذلكَ لا تَرى إلا جَمَال اللهِ وجلالِهِ وعظيم سُلطانه، تصبح تسمع كلمة المدح ولا تلقي لها بالًا؛ وتسمع كلمة الضرِّ ولا تقلي لها بالًا؛ لأنَّها تعلم أنْ لا إله إلا الله، فلا أجرَ ولا وزر يُكتب، ولا ذنْبَ يُغْفَر، إلا بأمر الله جلَّ جلاله، يقول العزُّ بن عبد السلام طيَّب الله ثراه: والله لن يصلوا إلى شيء يبتغونه إلا بالله، فكيف يوصل إلى الله بغير الله؟ وأفضل ما يوصل إلى الله كلامه جلَّ وعلا، فلنعد إلى مصاحفنا المهجورة، ولنحلّ بها عقد الشَّياطين، ولنهدم بالتلاوة خيامَهُم الَّتي عشعشت في القلوب؛ لما مرَّ علها مِنَ الجدب واليَبس ومعاصي القَحْط، فبتلاوة القرآن؛ تحيى الأرواح والأبدان؛ وذلك أنَّ القرآن روح الروح، إن خرج عنها ماتت، وإن عاد إليها اهتزَّت، وربَتْ، وأنبَتَتْ، إنَّ الَّذي أحياها لمحيي الموتى. وليعلم أنَّه كلَّما كان قلب الإنسان أصلح، كان حبُّه وإقباله إلى القرآن أعظم، وفي الباب قصص وحكايات يضيق المقام بذكرها، والله الموفق.

باب: سؤال الله السَّلامة للقلب

٥٧. عن حسَّان بن عطيَّة، قال: كان شدَّاد بنُ أَوسٍ رضي الله عنه في سفرٍ، فنزل منزلًا، فقَالَ لغُلامه: ائتنا بالسُّفرة نعبث بها، فأنكرت عليه، فقال: ما تكلَّمتُ بكلمةٍ منذُ أَسلمتُ إِلَّا وأَنا أَخطِمُها وأَزُمُّها غير كلمتي هذه، فلا تحفظُوها عليَّ، واحفظُوا منِّي ما أَقولُ لكم: سمعتُ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يقول: «**إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْنِزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ،**

(١) ينظر: مرعاة المفاتيح٨/٢٠٦.

وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»(١).

● **ما يستفاد من الحديث:**

– يعلِّمنا رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أنَّ نسأل الله قلبًا سليمًا، وهو القلب الموحِّد السَّالم من الشرك، المطمئنُّ بالتَّوحيد بلا شكٍّ، وهو ذلكم القلب سيسعد بلقاء الله تَعَالى: {**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ** ﴿٨٨﴾ **إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴿٨٩﴾}(٢)، أي: مَنْ جاء بلا إله إلا الله موحدًا مؤمنًا بها مِنْ قَلْبِه، مُصَدقًا بها عَمَلُه، خاليًا مِنَ الشِّرك وشعبه، ليس فيه شكٌّ في الحقِّ(٣)، وهو قلب الأنبياء والأولياء والصَّالحين ومن تبعهم بإحسانٍ، كما قَالَ تَعَالى واصفًا نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام: {**إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**}(٤)، أي: سالمًا من الشِّرك والشَّكِّ، موحدًا لله جلَّ وعلا. وكما أنَّ غنى الرَّجل في دنياه بماله فكذلك غنى المؤمن يوم القيامة في سلامة قلبه من آفات الكفر والمعاصي(٥).

– وقوله: «**قلبًا سَلِيْمًا**»؛ ليخرج بذلك القلب غير السَّليم، وهو قلب الكافر والمنافق، فقلبيهما بين المرض والموت، فتبيَّن أنَّ هذه اللفظة هي دعوةٌ إلى التَّوحيد، واستعاذة مِنَ الشِّركِ والكفر والنِّفاقِ والشَّكِ، فما أجملها مِنْ دعوة، فاللهمَّ نسألك قلبًا سليمًا لا يتقلَّب إلا في طاعتِك ورضاك وحبِّك.

---

(١) أخرجه: أحمد(١٧١١٤)، واللفظ له، والترمذي(٣٤٠٧)، والنسائي(١٣٠٤)، وصححه ابن حبان (٩٣٥)، والحاكم(١٨٧٢)، وإسناده معلول؛ لانقطاعه. وقد أعله أبو نعيم في حلية الأولياء١/٢٦٥.

(٢) سورة الشعراء.

(٣) ينظر: تفسير الطَّبري١٩/٣٦٦، وتفسير ابن أبي حاتم٨/٢٨٨٣.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٨٤.

(٥) ينظر: تفسير الزمخشري٣/٣٢٦.

باب: الاستعاذَةِ مِنْ شرِّ القَلْبِ

٥٨. عن شَكَلِ بن حُميدٍ رضي الله عنه، قال: أَتيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم فقلتُ: يا رسول اللَّه، علِّمني تعوُّذًا أَتعوَّذُ به؟ قال: فأَخذ بِكَفِّي فقال: ((**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي**)): يَعْنِي فَرْجَهُ[١].

● ما يستفاد من الحديث:

– علَّمه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أنْ يستعيذ مِنْ شرِّ القلب؛ لأنَّ شرَّه كثير، والفساد منه، كما أنَّ الصَّلاح منه[٢]، فهو سيد الأعضاء، إذا سلم مِنَ الشرِّ سلمت الجوارحُ، وإنْ دخلَه الشرُّ انطلقت الجوارح إلى الحرام والعياذ بالله. وقد مرَّ معنا من الكلام ما يغني عن إعادته.

باب: سؤال الله طهارة القلب من النفاق

٥٩. عن مولَى أَبِي سعيدٍ رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أَنَّهُ كان يدعو بهذه الدَّعوات: ((**اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ، وَفَرْجِي مِنَ الزِّنَا، وَلِسَانِي مِنَ الْكَذِبِ، وَعَيْنِي مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**))[٣].

● ما يستفاد من الحديث:

– ابتدأ بسؤال اللهِ طهارةِ القلب مِنَ النِّفاق؛ تعليمًا لغيره[٤]؛ لأنَّ القلبَ هو الأساس، وعليه المعتمد، وبه صلاح الجسَد كلِّه، فإنْ سَلِمَ سلمت الأعضاءُ، وإنْ نَافَقَ نافقت الأعضاءُ، فما بعده

---

(١) أخرجه: أحمد(١٥٥٤١)، وأبو داود(١٥٥١)، والترمذي(٣٤٩٢)، اللفظ له، والنسائي(٥٤٤٤)، وصححه الحاكم(١٩٥٣)، وقَالَ الترمذي عقيبه: (هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه).

(٢) ينظر: شرح سنن أبي داود؛ للعيني٥/٤٦١.

(٣) أخرجه: الخرائطي في اعتلال القلوب(٢٨٧)، وفي مساوئ الأخلاق؛ له(١٢٩)، وإسناده ضعيفٌ، وله شاهد من حديث أم معبد كما عند البيهقي في الدعوات(٨٠٤٠).

(٤) ينظر: التَّيسير بشرح الجامع الصغير١/٢٢١.

تبعٌ له، ولن تثمر بُذور الطَّاعة إلا بسلامة أرضها ومنبتِها وهو القلب، فإنْ كانت الأرض صالحةً، ظهرتْ فيها نبتةُ الخيرِ وأثمرتْ وآتت حصادها لجميع الجوارح.

– في الخبر إيماء إلى الحثِّ على تطهير القلوب الَّتي هي محل نظر الحق، وقوله: ((**طَهِّر قلبي**))، أي بتحصيل اليقين في الدِّين، وتسوية السِّر والعلانية بين المسلمين، أو يكون تطهيره من إظهار خلاف ما في الباطن[١]. وقد ابتدأ به؛ لأنَّه محل نظره وتجليه، وما فيه يخفى على من سواه؛ فناسب تقديمه لذلك.

باب: قوله: ((اللهمَّ اهدِ قَلْبَه))

٦٠. عن عليٍّ رضي الله عنه، قال: بعثني رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم إلى اليمن، فقُلتُ: يا رسول اللَّه، تبعثُني وأنا شابٌّ أَقضي بينهُم، ولا أَدري ما القضاءُ؟ قال: فضربَ بِيَدِهِ في صدري، ثمَّ قال: ((**اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ، وَثَبِّتْ لِسَانَهُ**))، قال: فما شككتُ بعدُ في قضاءٍ بين اثنينِ[٢].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– خُصَّ قلبه بالهِداية، والمقصود بالهداية هنا هي التَّوفيق للفَهْم؛ لأنَّ الهداية ترشد إلى طريق استنباط المسائِل بالكتاب والسُّنة والقِياس والرَّأي، فيشرح الصَّدرُ، ويثبُت اللِّسانُ، فلا يقضي إلا بالحقِّ[٣]، وناسب ذكر الهادية؛ لأنَّ القضاء محلَّ الخصومات والنزاعات، والقلب يتأثر بما يسمع ويرى من حجج، فمن هاداه الله فقد وفِّق إلى إحقاق الحقِّ، ومن لم يهديه الله وكل إلى نفسه، والنفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي بالهداية.

---

(١) ينظر: مرعاة المفاتيح٨/٢٨٤.

(٢) أخرجه: أحمد(٦٣٦)، وابن ماجه(٢٣١٠)، واللفظ له، وحسنه الترمذي(١٣٣١)، وصححه ابن حبان(٥٠٥٦)، قلت: روي عن علي رضي الله عنه من وجوه، أصحها رواية أبي البختري عن عليٍّ، وهو لم يسمع منه كما نص على ذلك الأئمة.

(٣) ينظر: عون المعبود٩/٣٦١.

الفصل السَّادس

آفاتُ القَلْبِ وأَدْوَاؤه

باب: خواطر الدنيا لا تنفك عن القلب وإن شاخ صاحبه

٦١. عن هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يقول: ((**لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ**))[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– دلَّ الحديْثُ على أنَّ خواطر الدُّنيا الفانية مِنْ حبِّ الدُّنيا، كالمال، كما هو مبين في بعض الروايات، وطول الأمل، وهو العمر، لا تنقطعُ عَنِ القلب وإن شَاخَ وهَرِمِ.

– في الحديث إشارة إلى أنَّ الإرادة في القلب خلافًا لمن رأى أن ذلك في غير الأعضاء[٢].

– قوله: ((**شَابًّا**)) على المجاز لا الحقيقة؛ لقوَّة استحكامه في محبَّة المال[٣]، وطول العمر، فكان كالشَّابِّ حقيقة.

– التخصيص بهذين الأمرين هو أنَّ أحبَّ الأشياء إلى ابن آدم نفسَهُ، فأحبَّ بقاءَها وهو العمر، وسبب بقائها هو المال، فإذا أحسَّ بِقُرْبِ الرَّحِيْل قَوِيَ حبُّه لذلك[٤].

– يعاتب الشَّيخ بما لا يُعاتب عليه الشَّاب؛ فالأول يرى إدبار الدُّنيا بنفسِه وقد شاخ بها، ولكنَّه يلاحقها، وهو يرى فرارها منه، والثَّاني بعدُ في أوَّل إقبالها عليه، وزينتها له، لذا الأجدر بالشَّيخ الكبير أن يتوب مِنَ خَواطر الشَّباب، إلا في طاعة مولاه، وأن يُسْلِمَ قَلْبه لخالقه، فقد

---

(١) أخرجه: البخاري(٦٤٢٠)، واللفظ له، ومسلم(١٠٤٦).
(٢) ينظر: شرح النووي١٣٨/٧، وطرح التثريب؛ للعراقي٨٢/٤.
(٣) ينظر: عمدة القاري؛ للعيني٣٦/٢٣.
(٤) ينظر: عمدة القاري٣٧/٢٣.

أَزِفَ الرَّحيل واقترب، فلا يلاحقن الدُّنيا ويرى فرارها منه[١]؛ لذا صحَّ في الخبر مرفوعًا: ((**أَعْذَرَ اللَّهُ إلى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً**))[٢].

---

(١) قلت كما نشاهد من بعضهم حينما يُحال على التقاعد، تراه يركض بخيله ورجله؛ ليحصل على تمديد لعامٍ أو عامين، الدُّنيا ترفضه وهو يلحق بها والله المستعان، الإحالة على التقاعد رسالة نذير من الدُّنيا لأهل الدُّنيا، كأنِّي أسمعها تقول: عبد الله، قد خدمتني بما يكفي، فلا تنس نصيبك من الآخرة، وهذا مرتَّبٌ يكفيك ويغنيك عنِّي حتى تلقى الله، فازهد فيَّ كما زهدتُ فيك. وقد أفادنا مولانا الشيخ عبد الرحمن بن مولانا الشيخ عبَّاس مكاتبة: أنَّ الإمام الفقيه أحمد بن الحسين الأصفهاني القاضي أبا شجاع الشافعي في العشرين من عمره صار قاضيًا، وفي الخامس والعشرين سنة نصب قاض القضاة! فلمَّا بلغ الأربعين سنة قال: بسم الله الرحمن الرحيم: {**حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**}، قال: انتهى عمل الدنيا، الآن عمل الآخرة، فذهب للمدينة المنورة، فصار خادمًا في روضة رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يكنس المسجد حتى توفي عند باب جبريل ودفن هناك.

(٢) أخرجه: البخاري(٦٤١٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

باب: قَسْوَة القَلْب عِنْدَ أصْحَابِ الفَدَّادين

٦٢. عن عُقبة بن عمرو أبي مسعود رضي الله عنه، قال: أشار رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بيده نحو اليمن فقال: ((**الإِيمَانُ يَمَانٍ هَا هُنَا، أَلاَ إِنَّ القَسْوَةَ وَغِلَظَ القُلُوبِ فِي الفَدَّادِينَ**[١]**، عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ**[٢] **الإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ**))[٣].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– دلَّ الحديث على أنَّ أهل الجفاء والتكَّبر وقسوةَ القَلْبِ هُمْ أهلُ الخيل والإبل، وكلهم أو جلهم على هذا الضرب[٤]، وهمْ مَنْ يَسْكُنُون الصَّحاري؛ فيجهلون أمورَ دِيْنهم، لذلك روي عنه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتُتِنَ**))[٥].

---

(١) قَالَ ابن الجوزي في كشف المشكل٢/٢٠٣: (والفدادون: مختلف في لفظة وتفسيره: فأما لفظه فالأكثرون على التشديد، منهم الأصمعي وثعلب، وكان أبو عمرو الشيباني يخفف الفدادين ويقول: الواحد فدان مشدد. وفي المراد بالفدان ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المكثرون من الإبل، الَّذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم، وهم أهل جفاء وخيلاء، ...، وهذا قول الأصمعي. والثاني: أنهم الحمالون والبقارون والحمارون والرعيان، يشتغلون عن ذكر الله عز وجل. والثالث: أن الفدادين جمع فدان، وهي البقرة الَّتي يحرث بها، والمعنى أن أهلها أهل جفاء لبعدهم عن الأمصار والتأدب فيها. وهذا مذهب أبي عمرو الشيباني. فعلى هذا تكون نسبة الجفاء إلى الفدادين والمراد أصحابها...).

(٢) الأذناب: الأتباع.

(٣) أخرجه: البخاري(٣٣٠٢)، واللفظ له، ومسلم(٥١).

(٤) ينظر: الاستذكار؛ لابن عبد البر٨/٤٩٩.

(٥) أخرجه: أحمد(٣٣٦٢)، وأبو داود(٢٨٥٩)، والترمذي(٢٢٥٦)، والنسائي(٤٣٠٩)، وإسناده جيِّد كما قَالَ العقيلي٤/٤٠٩، وقد صحح.

- في الحديث ثناء على أهْلِ اليمن كما دلَّ على ذلك ظَاهِر الحديْث[١]، وعلى مَن اتَّصف بصفتِهم، وذم لأهل الكبر قساة القلوب، وعلى مَن اتَّصف بصفتهم.

(١) قَالَ الإمام النووي في شرحه على مسلم٢/٣٢: (قد اختلف في مواضع من هذا الحديث، وقد جمعها القاضي عياض رحمه الله ونقحها مختصرة بعده الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله، وأنا أحكي ما ذكره. قال: أما ما ذُكر من نسبة الإيمان إلى أهل اليمن فقد صرفوه عن ظاهره من حيث إن مبدأ الإيمان من مكة ثم من المدينة حرسهما الله تَعَالى، فحكى أبو عبيد إمام الغرب ثمَّ من بعده في ذلك أقوالًا:

أحدها: أنه أراد بذلك مكة؛ فإنَّه يقال: إن مكة من تهامة، وتهامة من أرض اليمن.

والثاني: أنَّ المراد مكة والمدينة؛ فإنَّه يروى في الحديث أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قَالَ هذا الكلام وهو بتبوك، ومكة والمدينة حينئذ بينه وبين اليمن، فأشار إلى ناحية اليمن، وهو يريد مكة والمدينة، فقال: ((**الإيمان يمان**))، ونسبهما إلى اليمن؛ لكونهما حينئذ من ناحية اليمن، كما قالوا الركن اليماني، وهو بمكة؛ لكونه إلى ناحية اليمن.

والثالث: ما ذهب إليه كثير من الناس، وهو أحسنها عند أبي عبيد، أنَّ المراد بذلك الأنصار؛ لأنَّهم يمانون في الأصل، فنسب الإيمان إليهم؛ لكونهم أنصاره. قَالَ الشيخ أبو عمرو رحمه الله: ولو جمع أبو عبيد ومن سلك سبيله طرق الحديث بألفاظه كما جمعها مسلمٌ وغيره، وتأملوها، لصاروا إلى غير ما ذكروه، ولما تركوا الظاهر، ولقضوا بأنَّ المراد اليمن وأهل اليمن، على ما هو المفهوم من إطلاق ذلك؛ إذ من ألفاظه ((**أتاكم أهل اليمن**))، والأنصار من جملة المخاطبين بذلك، فهم إذن غيرهم، وكذلك قوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**جاء أهل اليمن**))، وإنما جاء حينئذ غير الأنصار، ثمَّ إنَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وصفهم بما يقضي بكمال إيمانهم ورتب عليه: ((**الإيمان يمان**))، فكان ذلك إشارة للإيمان إلى من أتاه من أهل اليمن، لا إلى مكة والمدينة، ولا مانع من إجراء الكلام على ظاهره، وحمله على أهل اليمن حقيقة؛ لأنَّ من اتصف بشيء، وقوي قيامه به، وتأكّد اطلاعه منه، ينسب ذلك الشيء إليه؛ إشعارًا بتميزه به، وكمال حاله فيه، وهكذا كان حال أهل اليمن حينئذ في الإيمان، وحال الوافدين منه في حياة رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، وفي أعقاب موته، كأويس القرني، وأبي مسلم الخولاني رضي الله عنهما، وشبههما ممن سلم قلبه، وقوي إيمانه، فكانت نسبة الإيمان إليهم لذلك؛ إشعارا بكمال إيمانهم من غير أن يكون في ذلك نفي له عن غيرهم، فلا منافاة بينه وبين قوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم الإيمان في أهل الحجاز، ثم المراد بذلك الموجودون منهم حينئذ، لا كل أهل اليمن في كل زمان؛ فإن اللفظ لا يقتضيه هذا، هو الحق في ذلك، ونشكر الله تَعَالى على هدايتنا له، والله أعلم).

باب: ومن اختلاف المظاهر ما يوقع في اختلاف القلوب

٦٣. عنْ أَبي مسعُودٍ رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يمسحُ مناكِبَنَا في الصَّلاة، ويقولُ: ((**اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**))، قَالَ أَبُو مسعودٍ: فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلَافًا[١].

● ما يستفاد من الحديث:

- دلَّ الحديث على أنَّ اختلاف الظَّاهر يؤدِّي إلى عقوبة اختلاف البواطنِ وهي القُلوب، أوْ أنَّ اختلاف الظَّواهر دليلٌ على اختلاف القلوب[٢].

- دلَّ الحديثُ على أنَّ تقدَّم البعض على البعض ربَّما يؤدِّي إلى التنازعُ القلبي وسوء الظنَّ؛ فحثَّ على العدل الَّذي تطمئن معه القلوب، وتبعد معه الشُّكوك[٣].

- لا يُفْهَم مِنَ الحديث أنَّ القلب تابع للأعضاء كما فَهِمَ بعضهم[٤]، وإنما يفهم منه أنَّ اختلاف الظاهر قد يجرُّ إلى تأثر القلب وتعلقه بتلك الحركات، بوسوسة الشَّيطان له، بأنَّه تقدَّم عليك؛ لعلوٍ في نفسه، وأنَّه يراك دُونه.

- في الحديث حثٌّ على ائتلاف القلوب ووحدتها، وحثٌّ على ترك ما يجر إلى الاختلاف والتَّنازع.

---

(١) أخرجه: مسلم(٤٣٢).

(٢) ينظر: كشف المشكل؛ لابن الجوزي٢/٢٠٥.

(٣) ينظر: حاشية السيوطي على سنن النسائي٢/٨٧.

(٤) شرح سنن ابن ماجه؛ للسيوطي١/٦٩.

باب: لا يدخل الجنَّة مَن كَان فِي قَلْبِه مثقَالَ ذرَّة مِنْ كِبْر

٦٤. عن عبدِ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قال: ((**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**)). قَالَ رجلٌ: إنَّ الرجلَ يُحِبُّ أنْ يكونَ ثوبهُ حسنًا ونعلُهُ حسنةً، قال: ((**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**))(١).

● **ما يستفاد من الحديث:**

- الكِبْرُ ينافي خشوع القلب لله، وهوَ على أقسامٍ، أعلاها شرًا هو الكبر عَلى اللهِ سبحانه وتَعَالى، وهو كُفْرٌ والعياذ بالله، ومنه استكبار على غير الله كما في الحديث، ويلزم مِنَ الأوَّل الثَّاني، ولا عكسَ، وذلك أنَّ معتقد الكبر على ربِّه، لا شكَّ أنَّه للحق مزدر، وللنَّاس أشد استحقارًا، فالمستكبر على الله تَعَالى لا شكَّ أنَّه منازعه رداءه، ومفارق دينَه، وحرَام عليه جنَّتَه، ومَنْ لم يخشعْ لله قلبُهُ فعليه مستكبر؛ إذ معنى الخشوع التَّواضع وخلاف الخشوع والتَّواضع التكبُّر والتعظُّم، فالحقُّ لله على كلِّ مكلفٍ إشعار قلبِه الخشوع بالذِّلة، والاستكانة له بالعبودية؛ خوف أليم عقابه(٢).

وقد سلك العلماء تجاه الحديث مسالك، منها: أراد بالكبر الكفر والشِّرك؛ لأنَّه قابل ذلك بالإيمان كما في بعض الروايات الصحيحة، ومنها: أنَّ الله تَعَالى إذا أراد أنْ يدخله الجنَّة نزع ما في قلبه مِنَ الكبر حتَّى يدخلها بلا كبرٍ ولا غلٍّ في قلبِه، كقوله سبحانه: {**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ**}(٣).

---

(١) أخرجه: مسلم(٩١).

(٢) ينظر: شرح ابن بطال٩/٢٦٧.

(٣) ينظر: معالم السنن؛ للخطابي٧/١٩٧، وقد توسع ابن الجوزي في ذلك، فينظر: كشف المشكل١/٣٢٣.

– دل الحديث على أنَّ غمط النَّاس واحتقارهم هو مِنَ الكبر، كما قَالَ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**))(١)، يعني: يكفيه مِنَ الشَّرِ احتقار أخيه المسلم، فإنَّه إنَّما يحتقر أخاه؛ لتكبره عليه، والكبر من أعظم خصال الشَّر والعياذ بالله(٢).

باب: نزع الرَّحَمَةِ مِنَ القَلْبِ

٦٥. عن عائشة، رضي اللَّه عنها قالت: جاءَ أَعرابيٌّ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم فقال: تُقبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فما نُقبِّلُهُم، فقَالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**))(٣).

● ما يستفاد من الحديث:

– في الحديث إنكار يحمل معه إنذار وتقريع وتهديد للقاسية قلبوهم تجاه أولادِهم، بأنَّهم منزوعو الرَّحمة، ومَنْ هذا حاله لا يستحقُّ رحمة الله، وهذا يتأكَّد في قول النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم حينما ذَكَرَ عنده الأقرعُ بن حابس أنَّ له عشرة من الولد ما قبل منهم أحدًا قَالَ له صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**مَنْ لَا يَرْحَم لا يُرْحَم**)).

– دلَّ الحديث على أنَّ رحمة الولد الصَّغير ومعانقته وتقبيله والرِّفق به مِنَ الأعمال الَّتي يرضاها الله ويجازى عليها؛ لأنَّها مِنْ رحمة الله تَعَالى، وقد قَالَ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**إنَّما يَرْحَم الله من عِبَادِه الرُّحَمَاء**))(٤)، وقَالَ أيضًا: ((**الرَّاحمونَ يَرْحَمُهُم الله**))(٥)، لذلك كان صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم من أشدِّ النَّاس رحمة بالصَّغير، فحمل أمامة بنت زينب على عنقه وهو يصلي، والصلاة أفضل الأعمال عند الله، وقد أمر عليه الصَّلاة والسَّلام بلزوم الخشوع فيها ولإقبال عليها، ولم يكن حمله

(١) أخرجه: مسلم(٢٥٤٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم٢/٢٧٩.

(٣) أخرجه: البخاري(٥٩٩٨)، واللفظ له، ومسلم(٢٣١٧).

(٤) سبق تخريجه برقم(٢٣).

(٥) أخرجه: أحمد(٦٤٩٤)، وأبو داود(٤٩٤١)، والترمذي(١٩٤٢)، وقال الترمذي عقيبه: (حديث حسنٌ صحيح).

لها ممَّا يضاد الخشوع المأمور به فيها، وكره أنْ يشقَّ عليها لو تركها ولم يحملها في الصَّلاة، وفي فعله عليه الصلاة والسَّلام ذلك أعظم الأسوة لنا؛ فينبغي الاقتداء به في رحمته صغار الولد، وكبارهم، والرِّفق بهم[١].

- وكذلك دلَّ الحديث على أنَّ تقبيل الولد وغيره مِنْ الأهل المحارم وغيرهم من الأجانب؛ إنَّما يكون للشَّفقة والرَّحمة، لا للذَّة ولا لشهوة، وكذا الضمُّ والشَّم والمعانقة[٢].

باب: إنَّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد

٦٦. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ**)). قيل: يا رسول اللَّه، فما جَلَاؤُهَا؟ قال: ((**تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ**))[٣].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- في الحديث دِلالة على أنَّ القلوب تعتريها الغفلة والقسوة، والشُّكوك والأوهام، والجَهَالات، وَقَدْ تَتَرَاكم عليها هذه الأدرانُ، كما تَتَرَاكم الأوساخُ على المرآةِ، فتطمسها وتبطل منفعتِهَا، وَقَدْ يصيبها القليلُ منها أوْ مِنْ بَعْضِها، ولا تَسلم القلوب على كلِّ حال مِنْ إصابتِها، فهي محتاجة دائمًا وأبدًا إلى صقلٍ وتنظيفٍ بتلاوةِ القرآن، والعمل به، فمقصود الشَّارع أنَّه ينبغي على المذنبين أن يتلوا القرآن؛ لجلاء قلوبهم [٤]، ومعنى الحديث كما أنَّ الحديد إذا لم يستعمل غشيه الصَّدأ حتَّى يهلكه، كذلك القلب، إذا ترك القرآن تلاوة وعملًا يغلب عليه المرض حتى يميته.

---

(١) ينظر: شرح ابن بطال٩/٢١٢.

(٢) ينظر: فتح الباري١٠/٤٣٠.

(٣) أخرجه: الخرائطي في اعتلال القلوب(٥٠)، وأبو نعيم في الحلية٨/١٩٧، وابن بشران في أماليه(٢٣٠)، والقضاعي في مسند الشهاب(١١٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان(١٨٥٩)، وإسناده ضعيف كما نصَّ على ذلك أبو نعيم في الحلية٨/١٩٧، وابن الجوزي في العلل المتناهية٢/٣٤٧.

(٤) ينظر: تفسير ابن باديس١/٣٦.

- دلَّ الحديثُ علَى أنَّ أعظم آلة لجلاء صَدأ القلوبِ مِنْ وسَخِ الغُيوب المانع مِنْ مُقابَلة المحبوب ومطالعة المحبوب هو تلاوة القرآن(١).

- شبَّه القلوب في صدئِها وهو قسوتها لما يعلُوها مِنْ ظُلمة الذُّنوب، ورين الهوى، وغَيْن الغَفْلة، بالمرآة إذا ركبها الصدأ، بإهمال الجلاء، لا يرى فيها النَّاظر ما غاب عنه، وكذا القلب كلَّما صفا مِنْ كدورات أخلاق الَّنفس والطَّبع، ورق بدوام الموعظة والذِّكر، وانجلى عَنْ وجْهِهِ ظلمات الهوى والغَفْلة، نظر إلى عالم الغيب بنور الإيمان، إلى أن يرتقي إلى درجات الإحسان، فيعبد الله كأنَّه يراه، ويرى الجنَّة والنَّار وما فيها، فَيُقْبِل على ربِّه وعمارة أخراه، وجلاء ذلك الصدأ هو القرآن(٢).

باب: زنا القلب

٦٧. عن أَبِي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، قال: ((**الْعَيْنُ تَزْنِي، وَالْقَلْبُ يَزْنِي، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا الْقَلْبِ التَّمَنِّي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ مَا هُنَالِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ**))(٣).

---

(١) قَالَ العلامة ابن القيِّم في روضة المحبين١٦٧: (وقَالَ بعض العارفين إن الحديد إذا لم يستعمل غشيه الصدأ حتى يُفْسده، كذلك القلب، إذا عُطِّل من حبِّ الله، والشَّوق إليه وذكره، غلبه الجهل، حتى يميته ويهلكه، وقَالَ رجل للحسن: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أذبه بالذِّكر. وأبعد القلوب من الله القلب القاسي، ولا يذهب قساوته إلا حبٌّ مقلق، أو خوف مزعج، فإن قيل: ما السبب الَّذي لأجله يلتذ المحب بحبه، وإن لم يظفر بحبيبه؟ قيل: الحب يوجب حركة النفس، وشدة طلبها، والنفس خلقت متحركة بالطبع، كحركة النار، فالحب حركتها الطبيعية، فكل من أحب شيئًا من الأشياء وجد في حبه لذَّة وروحًا، فإذا خلا عن الحب مطلقًا، تعطَّلت النفس عن حركتها، وثقلت وكسلت، وفارقها خفة النشاط، ولهذا تجد الكسالى أكثر الناس همًّا وغمًّا وحزنًا، ليس لهم فرح ولا سرور، بخلاف أرباب النشاط والجد في العمل، أي عمل كان، فإن كان النشاط في عمل هم عالمون بحسن عواقبه، وحلاوة غايته، كان التذاذهم بحبه، ونشاطهم فيه أقوى، وبالله التوفيق).

(٢) ينظر: فيض القدير٢/٥٠١.

(٣) أخرجه: أحمد(٨٣٥٦)، وأصله في البخاري(٦٢٤٣)، ومسلم(٢٦٥٧).

● **ما يستفاد من الحديث:**

- في الحديث دِلالة على أنَّ التَّمني يعدُّ زنا القلب، والمقصود بالتَّمني هو انشغال القلب بالشَّهوة وبموجباتها، وتمنِّي تحققهَا، وهي تَحْصَلُ للقلوب المرِيْضَة والعياذ بالله، وعلى هذا فكما أنَّ للزنا حدٌّ، كالجلد للبكر، والرَّجم للثيِّب، فينبغي لمن وَجَدَ قلبَه قد تمنَّى أنْ يجلِدَه بسياط المواعظ والآيات والذِّكر، حتى تنزل الدَّمعة، وتظهر التَّوبة والإنابة، وإلا تراكمت الأمنيات على قلبه، وانتقل إلى فرجه فحقق ذلك كله والعياذ بالله، لذلك قَالَ الله: { **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا**}[1]، أي: ولا تقربوا أسبابه، بإطلاق النَّظر، وتمنيه وتخيله في القلب، وهو حثٌّ على سدِّ كل أبوابه مِنَ الخلوة والمخالطة.

- رتَّب الحديث الزِّنا مِنْ أدناه إلى أعلاه، ومِنْ أوَّله إلى آخرِه، فأدناه هو زنى الجوارح سوى الفرج، وأعلاه أن يصدق ذلك الفرجُ، ويأتي أوَّله مِنَ النَّظر، ثمَّ ينقل النَّظر تلك المشاهد والصُّور إلى القلب، فإن كان القلب قويًا غلب الإيمان على تلك المشاهد والصُّور، وانتصر عليها، وإنْ كان القلب ضعيفًا غلبت الصُّورة عليه، وراح القلب يمتلئ بها، وينقلها إلى الفرج؛ ليصدقها والله تَعَالى المستعان.

(١) سورة الإسراء، من الآية: ٣٢.

باب: إذا وَقَعَتْ فِي قلب المُتَزَوِّج امرأة

٦٨. عن جابرٌ: سمعتُ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يقولُ: «**إِذَا أَحَدُكُمْ أَعْجَبَتْهُ الْمَرْأَةُ، فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ، فَلْيَعْمِدْ إلى امْرَأَتِهِ فَلْيُوَاقِعْهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ**»[(١)].

● ما يستفاد من الحديث:

– في الحديث دِلالة على أنَّه يستحب لمن رأى امرأة فتحرَّكت شهوتُه، أنْ يأتي امرأته؛ ليواقعها؛ ليدفع شهوته، وتسكن نفسه، ويجمع قلبه على ما هو بصدده[(٢)]، وأنْ لا يسترسل في النَّظر؛ بل يداويه بجماع حليلته؛ فإنَّ فيه تسلية عن المطلوب بجنسه، ولأنَّ النَّظر يثير قوَّة الشَّهوة، فأمر بتنقيصها، وذلك أنَّ أول النَّظر الموافقة، ثمَّ الميل، ثمَّ المحبة، ثمَّ الوِدْ، ثمَّ الهوى، ثمَّ الوَلَه، فالموافقة للطَّبع، والميل للنَّفس، والودُّ للقلب، والمحبَّة للفؤاد، والهوى غلبة الحبِّ، والوَلَه زيادة الهوى. فَمَنْ مالَ قَلْبُه إلى امرأةٍ ولم يَقْدِر على دِفْعِ مَيْلِه خِيْف عليه أنْ يزيد فيصير حبًا، ثمَّ هوى موقعًا في الفاحشة، فأمر الشَّارع بإتيان حليلته؛ ليتخلص عمَّا في نفسه مِنَ الميل باندفاع الشَّهوة الدَّاعية إليه. ويؤخذ منه ندب تكرير إتيانها إذا لم يندفع بأول مرة؛ لاستيلاء الميل على قلبه، وأنَّه يُعجِّل ذلك ولا يمهل؛ خوفَ المحذور[(٣)].

– في الحديث دلالةٌ على تفاوت النَّظر بالنِّسبة للنَّاظر، فمنه ما يقع في القلب ومنه لا، والحديثُ جاء على ما يقع في القَلْبِ، وهي تلك النَّظرة المسمومة الَّتي تعدُّ سَهمًا مِنْ سِهَامِ إبليسَ، فالشَّيطان يتسلَّط على ابنِ آدم بذلك، وينال منه بتلك النَّظرة، فيشغل قلبُه ويعلِّقه بتلك الصُّورة الَّتي رآها، ويحسِّنها لك حتى أنَّه يراها ولا يرى غيرها، فأرشد الحديث إلى خَمْد ذلك بأنْ يأتي أهله؛ فإنَّه يجد ما يجد عندها[(٤)].

---

(١) أخرجه: مسلم(١٤٠٣).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم١٧٨/٩.

(٣) ينظر: فيض القدير ٣٥٢/١.

(٤) ينظر: عدة الصابرين؛ لابن القيم: ٥٤.

باب: الشَّهوة تَقَعُ في قَلْبِ الرَّجُلِ

٦٩. عن أبي كبشَةَ الأَنْمَارِيِّ رضي الله عنه، قال: كان رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم جالسًا في أَصحابه فدخل، ثُمَّ خرج وقد اغْتسل، فقلنا: يا رسول اللَّه، قدْ كان شيْءٌ ؟ قال: «**أَجَلْ، مَرَّتْ بِي فُلَانَةُ، فَوَقَعَ فِي قَلْبِي شَهْوَةُ النِّسَاءِ، فَأَتَيْتُ بَعْضَ أَزْوَاجِي فَأَصَبْتُهَا، فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا، فَإِنَّهُ مِنْ أَمَاثِلِ أَعْمَالِكُمْ إِتْيَانُ الْحَلَالِ**»[1].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- في الحديث دلالة على أنَّ مَنْ وقع في قلبه رغْبة إلى النِّساء أنْ يفرِّغها فيما أحلَّه الله له؛ فإنَّ ذلك يبرد تلك الحرارة العارضة الَّتي تهيج على النفس[2]، وسبق الكلام على معنى الحديث.

---

(١) أخرجه: أحمد(١٨٠٢٤)، والبخاري في التأريخ الكبير٦/١٣٩، والطبراني في الكبير(٣٢٧٥)، وأشار الطبراني في الأوسط(٣٢٥١) إلى تفرد معاوية بن صالح به، وهو صدوق له أوهام كما نصَّ على ذلك الحافظ، ومثله لا يحتمل تفرده، فيعدُّ حديثه منكرًا وإنْ جوَّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء.

وللحديث شاهدان، الأول: من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وهو معلول بالوقف كما رجَّح ذلك أبو حاتم الرازي في العلل؛ لابنه(١١٨٠)، والدارقطني(٨١٦)، والثاني من حديث أنس رضي الله عنه، وقد أنكره أبو حاتم كما في العلل(١٢٣٨)، والصحيح ما في صحيح مسلم من حديث جابر كما تقدم ذكره بأنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يندب أمته إلى صنع ذلك لا أنَّه وقع في ذلك. وينظر: تحقيق جزء من علل ابن أبي حاتم؛ للدكتور علي الصياح٢/١٩٢، فقد فصَّل القول في طرق الأحاديث وشواهدها.

(٢) وكما سبق ذكره، أنَّ الحديث لا يصحُّ، وعلى فرض صحته نقول: إنَّ نظره صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم هو من قبيل النظرة الأولى، وليس فيه دلالة على أنَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وقع في قلبه شهوة لتلك المرأة، معاذ الله، وإنما الشيء بالشيء يذكر، فرؤيته للمرأة ذكرته برغبته في إتيان أهله، ومن الطبيعي أن يستغني الإنسان بالحلال عن الحرام إذا وجد نفسه الرغبة في ذلك، فرسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بشرٌ يأكل وينام ويأتي النساء، ومن رغب عن سنته فليس منه. وهذه القصة إن صحَّت فهي منقبة له صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، ودليل على طهره وعفافه؛ لأنَّ من اعتاد النظر إلى النساء والجري وراء الشهوة المحرمة، لم يظهر في شيء من أثر ذلك الموقف العابر ولا أضعافه ولو جلست المرأة بجواره على الكرسي في السيارة، لم يبال، ولم يشعر بشيء من أثر ذلك في قلبه، وبعضهم لو ابتلي بالزنا صراحة، ما تألم لسواد قلبه، وما وجد ثقل الران على فؤاده. ينظر: تتمة الحديث في موقع الإسلام سؤال وجواب؛ للعلامة المنجد فرَّج الله عنه.

باب: من ترك ثلاث جمع طبع على قلبه

٧٠. عن جابرِ بنِ عبد اللَّه رضي الله عنهما، عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قال: «**مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ مِرَارٍ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ، طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ**»[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- في الحديث إشارة إلى أنَّ من ترك ثلاث جمعة من غير عذرٍ؛ تهاونًا وكسلًا وسفهًا طُبِعَ على قلبه، وهو أشدُّ من الختم[٢]، فطبع عليه وغشاه، ومنعه ألطافه[٣]، فلا يعي وعظًا، ولا يوفَّق للخير، أو جُعل فيه الجهل والجفاء والقسوة[٤]، أو بمعنى يصير قلبه قلب منافقٍ[٥] والعياذ بالله، والمراد به النِّفاق العملي لا الاعتقادي[٦].

---

(١) أخرجه: أحمد(١٤٥٥٩)، وابن ماجه(١١٢٦)، وصححه ابن خزيمة(١٨٥٦)، والحاكم(١٠٨١)، وقد صححه جمعٌ من المتأخرين، وله شواهد تؤيد معناه، منها ما رواه مسلم(٨٦٥) بإسناده عن الحكم بن ميناء، أن عبد الله بن عمر، وأبا هريرة حدثاه، أنهما سمعا رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، يقول على أعواد منبره: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ**». وينظر: العلل؛ لابن أبي حاتم(٦٩٦)، والعلل؛ للدارقطني(٣٢٦٣).

(٢) قَالَ ابن القيم في شفاء العليل٩٢: (قَالَ أبو إسحاق: معنى ختم وطبع في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء، والاستيثاق منه، فلا يدخله شيء كما قَالَ تَعَالى: {**أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**}، وكذلك قوله: {**طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**}. قلتُ: الختم والطبع يشتركان فيما ذكر، ويفترقان في معنى آخر، وهو أنَّ الطبع ختم يصير سجية وطبيعة، فهو تأثير لازم لا يفارق). وقد سبق الكلام عن الطبع والختم عند ذكر القلوب غير السليمة.

(٣) ينظر: شرح سنن أبي داود؛ للعيني٤/٣٧٢.

(٤) ينظر: فيض القدير؛ للمناوي٦/١٠٢.

(٥) ينظر: القول المغتذي على جامع الترمذي؛ للسيوطي١/٢١٨.

(٦) ينظر: شرح الزرقاني على الموطأ١/٤٠٩.

– عبرَّ بلفظ طبع؛ والطبعُ في اللغة: الوسخ الشديد والصدأ على السيف، ووجه المناسبة أنَّ من ترك ثلاث جمع تراكم الذَّنب على قلبه وتجمَّع، حتى يغشاه ويعلوه، وهو الرَّان الَّذي في قوله تَعَالى: {**بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ**}(١)، والران كما قالوا: الذّنب على الذّنب حتّى يسوَدَّ القلب.

– في الحديث دلالة على أنَّ الذُّنوب تضرُّ القلوب، وتذهب بلبها وبنورهَا حتى تُصْبِح لا تَعِي خَيْرًا، وَمَنْ لم يجعل الله له نورًا فما له مِنْ نُورٍ.

– في الحديث إشارة إلى أنَّه كلَّما كان الذَّنب أعظم كان أثرُه على القلب أكْبَر، فلمَّا كانت الجُمُعة مِنَ الأصول العَظِيمة، رتَّب على تركها هذه العقوبة الكبيرة، فكأنَّه جعل ترك الجمعة يذهب بثلث القلب، حتى إذا ترك ثلاث جمعة متتالية(٢) أظلم القلب كله، والعياذ بالله، وهذا يدلُّ على عِظَم الجُمُعة وفضلِهَا وخطورة تركها.

– الطبع هنا عقوبة مِنَ الله سبحانه وتَعَالى؛ للاستهانَة في مخالفةِ أمْرِهِ بلا عُذرٍ، وكذلك لا يبعُد أنَّ يكون أنَّ مِنْ جملة أسباب الطَّبع على القلب لتارك الجمعة هو ما يُحْرَمه مِنْ سَمَاع الذِّكر والمواعظ والرَّقائق الَّتي تذهب ما يَعْلق بالقلوب مِنَ الأوسَاخ، والَّتي لها الأثر في كَبْت الشُّبهات والشَّهوات، حتَّى ترجع إلى جادَّة الاستقامة والصَّواب، والله المستعان على خطباء زماننا وعلى تفريطهم في هذا الأصل العظيم!

– فرض الله الجمعة، ورتَّب الثَّواب العظيم لمن بكَّر إليها، وبضد ذلك رتَّبت عقوبة عظيمة لمن أدْبَر عنهَا، لأنَّ الإدْبَار عنها بلا عذرٍ يدل على الاستغناء، ومَن استغْنَى استغنى اللهُ عنه، وضَرَبَ على قَلْبِهِ، حتَّى يصبح مجدبًا يابِسًا لا يحييه غيث الذِّكر وإنْ هَطَل عليه بعد ذلك، والعياذ بالله.

---

(١) سورة المطففين، من الآية: ١٤.

(٢) هذا هو الأقرب، أنَّ المقصود ثلاث على التوالي والله أعلم. ينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح٤/٤٤٦.

باب: قَذْف الوَهْن في القُلُوب

٧١. عن ثوبان رضي الله عنه، قال: قَالَ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِهَا**»، فقَالَ قائلٌ: ومن قِلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**»، فقَالَ قائلٌ: يا رسول اللَّه، وما الوهن؟ قال: «**حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»[1].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- دلَّ الحديث على أنَّ حبَّ الدُّنيا وكراهيَّة الموت توجب الوَهْن وهو الضَّعف؛ وهما متلازمان، فكأنَّهما شيءٌ واحدٌ[2]، والمعنى أنَّ حبَّ البقاء في الدُّنيا، وكراهيَّة الموت يدعوهم إلى إعطاء الدَّنية في الدِّين، واحتمال الذُّل عن العدو[3]، وأنَّهما آفة قلبية تورث تسلط الأعداء على هذه الأمة، لذلك قَالَ العارفون: أخرجوا مِنْ قلوبِكم حُبَّ الدُّنيا، وأدخلوا قلوبكم حبَّ الآخرة، وقالوا: حبُّ الدُّنيا رأس كلِّ خطيئةٍ، وقالوا: إنما أتي النَّاس من خصلتين، حبُّ الدُّنيا وطول الأمل.

- دلَّ الحديث على أنَّ أعداء الأمَّة تترصد لها، فمتى ما سنحت لها الفرصة قدمت على ديار المسلمين؛ لكسر شوكتهم، وتفريق جمعهم، وسلب بلادِهم وأموالهم، وقدْ وَقَعَ هذا عَبْرَ التَّاريخ أكثر مِنْ مرَّة، عندما تداعت الأمم الصليبيَّة إلى غزو هذه الأمَّة، ومرَّة أخرى عند اجتياح التتار العالم الإسلامي، ولكن هذه النُّبوءة تحقَّقت في القرنِ الأخير بصورةٍ أوضح، فقد اتَّفق الصليبيُّون واليهود والملاحدة على هدم الخلافة العثمانية الإسلامية، ثمَّ جزَّؤوا الدِّيار الَّتي كانت تحكمها، وتقاسموا ديارَ المسلمينَ فيما بينهم، وأعطوا فلسطين لليهود، وأصبح المسلمون أضيع مِنَ الأيتام

---

(١) أخرجه: أحمد(٢٢٣٩٧)، وأبو داود(٢٤٩٧)، واللفظ له، وقد جوده بعضهم، بل قد صحح! والصحيح أنه من قول ثوبان.

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح٨/٣٣٦٥.

(٣) ينظر: شرح المشكاة؛ للطيبي١١/٣٣٩٦.

على مأدبة اللئامِ، ولا تزال قوى الشَّر إلى اليوم متداعية لتدمير هذه الأمَّة وامتصاصِ خيراتها، ونهب ثرواتها، وإذلال رجالها، والأمَّة الإسلامية خانعة ذليلة، لم تغن عنها كثرتُها، غثاء كغثاء السيل، وعلَّتها: الوَهْن، وهو حبُّ الدنيا، وكراهيَّة الموت(١).

باب: إذا أذنب المؤمن نكت في قلبه

٧٢. عن أبي هريرة، قال: قَالَ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّانُ الَّذي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**(٢)»(٣).

- **ما يستفاد من الحديث:**

– في الحديث دِلالةٌ ظَاهِرةٌ على أنَّ للذنوب أثرًا كبيرًا على القلوب، يتباين أثرها بتبايُن جُرْمِهَا ونوعِهَا، فإنْ اتْبَع ذلك توبةً واستغفارًا صُقِل قَلبُه، ورجع إلى ما كان عليه مِنَ البياضِ والصَّفاء، واستقبل تجليات الرَّب سبحانه وتَعَالى؛ فالتَّوبة بمنزلة المصْقَلة، تمحو وَسَخ القلبِ وسوادِهِ حقيقيًا أوْ تمثيليًا، والأول أقرب(٤).

– دلَّ الحديثُ على أنَّ تتابعت الذَّنب على الذَّنبِ يُسَوِّد القلبَ، وقدْ عبَّر عَنْ ذلك بالنُّكتة بعد النُّكتة، وهي الأثر الصَّغير؛ لما للذَّنب مِنْ أثرٍ، ينطفئ نور القلب، فتعمي البَصِيْرَة، فلا يُبْصر

---

(١) ينظر: القيامة الصغرى؛ للأشقر: ١٨٥.

(٢) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٣) أخرجه: أحمد(٧٩٥٢)، وابن ماجه(٤٢٤٤)، والترمذي(٣٣٣٤)، وقَالَ عقيبه: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصححه ابن حبان(٩٣٠)، والحاكم(٦).

(٤) ينظر: مرقاة المفاتيح٤/١٦٢٢.

شيئًا مِنَ العلوم النَّافعة والحكم الرَّائعة، وتزول عنه الشَّفقة والرَّحمة على نفسِه وعلى سائر الأمَّة، ويثبت في قلبه آثار الظُّلمة والفتنَة، والجراءة على الأذيَّة والمعصية(١).

- وصف النُّكتة بالسَّواد؛ لأنَّ أصل القلب أبيضٌ على الفِطْرة؛ ولأنَّ السَّواد مِنْ ألوانِ الكُفْرِ، وبذلك وصف الله عزَّ وجلَّ وجوهَ الكفَّار في الآخرة(٢) فقَالَ تبارك وتَعَالى: {**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**}(٣)، والأقرب أنَّ القلب يسودُّ حقيقةً وليس المراد التَّمثيل، وقد دلَّت على ذلك الآياتُ والأحاديثُ.

باب: الحِرْص عَلَى سَلامَةِ قَلبِ الإخوانِ مِنْ قَذْفِ الشَّيطان

٧٣. عن صفيَّةَ بِنتِ حُيَيٍّ رضي الله عنها، قالت: كان رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم مُعتكفًا فأَتَيتُهُ أَزُورُهُ لَيلًا، فحدَّثتُهُ ثمَّ قمتُ فانقَلَبتُ، فقام معي لِيقلِبَنِي، -وكانَ مسكَنُهَا في دار أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ-، فمرَّ رجلان من الأَنصارِ، فلمَّا رأَيا النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أَسرعا، فقَالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**»، فقالا سبحان اللَّه يا رسول اللَّه، قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا**»(٤).

- **ما يستفاد من الحديث:**

- دلَّ الحديثُ على اسْتِحباب أنْ يتحرَّز الإنسانُ مِنْ كلِّ أمرٍ مِنَ المكروهِ، ممَّا تجري بِهِ الظُّنون، ويخطر بالقُلوب، وأنْ يَطْلُب السَّلامة مِنَ النَّاس بإظهار البراءة مِنَ الرِّيب(٥)، فمتى ما

---

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح٤/١٦٢٣.

(٢) ينظر: المنتقى شرح الموطأ؛ لأبي الوليد الباجي٧/٣١٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

(٤) أخرجه: البخاري(٣٢٨١)، واللفظ له، ومسلم(٢١٧٥).

(٥) ينظر: معالم السنن؛ للخطابي٤/١٣٤.

خَشِيَ أنْ يسْبقَ إليه بظنٍ سوءٍ أنْ يكشِفَ معنى ذلك الظَّن، ويبرئ نَفسَه مِنْ نزغاتِ الشَّيطان الَّذي يُوَسْوِس بالشَّرِّ في القلوب[١].

– يدلُّ الحديث على كمال شفقتِه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم على أمَّتِه، ومراعاتِه لمصالحهم، وصيانة قلوبهم وجوارحهم، {**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**}[٢]، فخاف صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أنْ يُلقِي الشَّيطانُ في قلوبهما فيهْلَكا؛ فإنَّ ظنَّ السُّوء بالأنبياء كُفْرٌ بالإجمَاعِ[٣].

– أراد النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم تعليم أمَّتهِ، وهذا متأَكِّدٌ في حقِّ العلماء، وَمَنْ يقتَدي بِهِم، فلا يجوزُ لهم أنْ يفعلوا فعلًا يوجب ظنَّ السُّوءِ بهم، وإنْ كان لهم فيه مخلصٌ؛ لأنَّ ذلك يُسبب إلى إبطال الانتفاعِ بعلمِهِم[٤].

– دلَّ الحديثُ على قُرْبِ الشَّيطان مِن ابنِ آدمَ، سواء حُمِلَ: ((يجري)) على ظاهره، وهو الأقرب، وأن الله تَعَالى أقْدَرَهُ على ذلك، أوْ هو عَلى سبيلِ الاستعارة؛ مِنْ كثرةِ إغوائِه، وكأنَّه لا يفارقه كالدَّم، فاشتركا في شدَّة الاتصال وعدمِ المفارقَةِ[٥]، وهذا المعنى ظاهرٌ في قوله تَعَالى: {**مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ(٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**}[٦]. فقد جاء بناءُ الوسْواس مكرَّرًا؛ لتكريرِ الوسْوَسَة الواحدة مرارًا حتَّى يَعْزِمَ عليها العبدُ، وجاء بناءُ الخنَّاس على وزن الفعَّال الَّذي يتكرر منه نوع الفعل؛ لأنَّه كُلَّما ذَكَرَ الله انخنسَ، ثمَّ إذا غَفل العبدُ عاوده بالوسوسَة، فجاء بناء اللَّفظين مُطَابِقًا لمعنييهِمَا، فَمِنْ صفاتِ الشَّيطان الوسوسة في صُدور النَّاس، فَذَكَر وسوستَه أولًا،

---

(١) ينظر: شرح ابن بطال: ٤/١٧٥. قَالَ العلامة ابن الجوزي في كشف المشكل٤/٤٤٠: (قَالَ الشافعي رضي الله عنه: لو ظنا به شرًا لكفرا، فبادر إلى إعلامهما؛ لئلا يقع في ظنونهما ما يخرجهما إلى الكفر. قلت: ولو قدرنا امتناع الظن منهما لذلك؛ لأنَّ إيمانهما يدفع سوء الظنِّ عنهما، فوساوس الشيطان لا يملكانها في بواطن القلوب، فأراد تطهير القلوب من درن الوساوس).

(٢) سورة الأحزاب، من الآية: ٤٣.

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم١٤/١٥٦.

(٤) ينظر: إحكام الأحكام؛ لابن دقيق العيد٢/٤٥.

(٥) ينظر: فتح الباري٤/٢٨٠.

(٦) سورة الناس.

ثمَّ ذكر محلُّها ثانيًا، وأنَّها في صُدور النَّاس، وقدْ جَعَلَ اللهُ للشَّيطان دُخولًا في جوفِ العَبْدِ، ونفوذًا إلى قَلْبِه وصدرِه، فهو يجري منه مجرى الدَّم، وقد وكِّل بالعبدِ، فلا يفارقه إلى المَماتِ، نسأل الله العفو والعافية[١].

باب: كَثْرَة الضَّحِك تُمِيْتُ القَلْبَ

٧٤. عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**لَا تُكْثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**))[٢].

- **ما يستفاد من الحديث:**

– يُشيْرُ الحديث إلى أنَّ كثرة الضَّحكِ تُميْت القَلب؛ لما يحصل مِنَ الغَفْلة مِنَ الاستعداد للموتِ وما بَعْدَهُ للميعاد، فكثرة الضَّحك تُنسي القلب، وتشغله وتجعلُه في غَفلةٍ حتَّى يموتَ إنْ كان حَيًا، ويزيد اسودادًا إنْ كان ميِّتًا[٣]، وكذلك أنَّ المداومةَ على كثرةِ الضَّحكِ تُصيِّر القلب مغمورًا في الظُّلمات، بمنزلة الميِّت الَّذي لا ينفع نفسَه بنافعةٍ، ولا يدفعُ عنها مكْرُوهًا[٤]. وإنَّما كان ذلك؛ لأنَّه الضَّحك بمنزلة السُّمِّ القاتل، الَّذي يسري إلى العُرُوْقِ، فَيُخْرِجُ مِنَ القلب الخوفَ، والحزنَ، وذكرَ الموتِ، وأهوال القيامة، وهذا هو موت القلب[٥]: {**وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ**}[٦]، لذلك كان يغلب عليه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم التَّبسُّم[٧]، لا

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد؛ لابن القيم٢/٧٩٤.

(٢) أخرجه: أحمد(٨٠٩٥)، وابن ماجه(٤١٩٣)، واللفظ له، وضعفه الترمذي(٢٣٠٥)، والدارقطني في العلل(١٣٣٩)، وأبو نعيم في الحلية٦/٢٩٥. والصحيح أنَّه من قول الحسن البصري.

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح؛ للقاري٨/٣٢٣٧.

(٤) ينظر: التَّيسير؛ للمناوي١/٢٧.

(٥) ينظر: فيض القدير٣/٧٦.

(٦) سورة الرعد، من الآية: ٢٦.

(٧) أخرجه: أحمد(١٧٧١٣)، والترمذي(٣٦٤١)، وفي الشمائل؛ له(٢٢٨)، والبيهقي في شعب الإيمان(٧٦٨٧)، من حديث عبد الله بن الحارث رضي الله عنه، وإسناده ضعيف. قَالَ الترمذي عقيبه: (هذا حديث غريب).

الضَّحك، كيف لا وهو القائل: ((**يا أمَّة مُحَمَّد، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُوْنَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحكتُم قَلِيْلًا، وَلَبَكَيْتُم كَثِيْرًا**))[١]. وقد قيَّد الحديث موت القلب بالكثرةِ، وليس بمجرد الضَّحك، وإلا كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يضْحَك ويتبسَّم إن كان لذلك سببٌ، وأمَّا ما يصنع بعض الزُّهاد مِنَ الزُّهد في الضَّحك كلِّه؛ لغلبة الحال عليهم فهو أمرٌ مفضولٌ، يُعذرونَ فيه، إلا أنَّ خير الهدي هدي نبيِّنا صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم.

باب: مَوْت القَلبِ

٧٥. عن الحسنِ، أَنَّ الضَّحَّاك بنَ قيسٍ رضي الله عنه، كتب إلى قيس بن الهيثم حين مات يزيدُ بنُ معاوية: سلامٌ عليك، أَمَّا بعدُ، فإنِّي سمعتُ رسولَ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يقول: ((**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، فِتَنًا كَقِطَعِ الدُّخَانِ، يَمُوتُ فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ كَمَا يَمُوتُ بَدَنُهُ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ خَلَاقَهُمْ وَدِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**))، وإِنَّ يزيد بن معاوية قد مات، وأَنتم إِخوانُنا، وأَشقَّاؤُنا فلا تَسبِقُونا حتَّى نختار لأَنفُسِنَا[٢].

- **ما يستفاد من الحديث:**

- دلَّ الحديث على أنَّ بين يدي السَّاعة فتنٌ يموت فيها قلب الرَّجل كما يموت بدنُه، ويعنى بالموت هنا الكُفْر والعياذ بالله، فقلب الكافر يعدُّ ميتًا؛ لخلوه مِنْ نور الإيمان بالله سبحانه وتَعالى، وقوله: ((**يموت**))؛ يدلُّ على أنَّه كان قبل ذلك حيًّا، وهذا واضحٌ وبينٌ في نهاية الحديثِ، وقدْ شبَّه الكُفْرَ بالموتِ؛ لأنَّ الكفرَ مصيبةٌ مثل ما أنَّ الموتَ مصيبةٌ، بل أعظم مِنْ ذلكَ، فمصيبةُ الموتِ لا تحجب إلا نفع الدُّنيا خاصَّة، بينما مصيبةُ الكفر تحجبُ خير الآخرة، بل وتلحَقُ بصاحبها إلى

(١) أخرجه: البخاري(١٠٤٤)، ومسلم(٩٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه: أحمد(١٥٧٥٣)، وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، قَالَ الهيثمي في مجمع الزوائد٣٠٨/٧: ((رواه أحمد والطبراني من طرق فيها علي بن زيد وهو سيئ الحفظ وقد وثِّق، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح)).

غضب الله وعقابه، لذلك قَالَ بعض السلف: واعجبًا للنَّاس، يبكون على مَنْ مات بدنُه، ولا يبكون على مَنْ مات قلبُه.

الفصل السابع

الفضائِل والرَّقائق والأدْوِيَة

باب: أهلُ اليمنِ أرقُّ أفئدةً وألينُ قلوبًا

٧٦. عن أَبِي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، وَالفَخْرُ وَالخُيَلاَءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالوَقَارُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ**»[١].

● ما يستفاد من الحديث:

– غاير الحديث بين القلبِ والفؤادِ، فجعل الرِّقة للفؤاد، واللِّين للقلب، وفي التَّفرقة بين القلب والفؤاد خلافٌ بين أهلِ العلم، سبق بيانُه. وقيل هنا: وصفَ الأفئدةَ بالرِّقة، والقلوبَ باللِّين، وذلك أنَّه يقال: إنَّ الفؤاد غشاء القلب، وإذا رقَّ نفذ القول وخلص إلى ما وراءِه، وإذا غلظ تعذَّر الوصول إلى داخله، فإذا صادف القلب لينًا علق به ونجع فيه[٢].

– الرِّقة ضد الغلظَة والصفَاقة، واللِّين مقابل للقساوة، فاستعيرتْ في أحوال القَلب، فإذا نبا عن الحقِّ، وأعرض عَنْ قبوله، ولم يتأثر بالآيات والنذر يوصف بالغلظة، فكان شغافه صفيقًا لا ينفذ فيه الحقُّ، وجرمه صلبٌ لا يؤثر فيه الوعظُ، وإذا كان بعكس ذلك يوصف بالرِّقة واللِّين،

---

(١) أخرجه: البخاري(٤٣٨٨)، واللفظ له، ومسلم(٥٢). وقد مدحت الغنم في غير حديث؛ وأنَّها من خير مال المسلم عند اعتزال الفتن، كما عند البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد مرفوعًا: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ**»؛ لأنَّ المعتزل عن النَّاس بالغنم يأكل من لحومها ونتاجها، ويشرب من ألبانها، ويستمتع بأصوافها باللبس وغيره، وهي ترعى الكلأ في الجبال وترد المياه؛ وهذه المنافع والمرافق لا توجد في غير الغنم؛ ولهذا قال: «**يتبع بها شعف الجبال**» وهي رءوسها وأعاليها؛ فإنَّها تعصم من لجأ إليها من عدو. «**ومواقع القطر**»، لأنَّه يجد فيها الكلأ والماء، فيشرب منها، ويسقي غنمه، وترعى غنمه من الكلأ. وهذا شرح ابن رجب في فتح الباري١/١٠٥.

(٢) ينظر: شرح المشكاة؛ للطيبي١٢/٣٩٥٦.

فكان حجابه رقيقًا لا يأبى نفوذ الحقِّ، وجوهره ليِّن يتأثر بالنُّصح، ويحتمل أنْ يكون المراد بالرِّقة جودة الفَهْم، وباللِّين قبول الحق، فإنَّ رقة الفؤاد تُعدُّ لقبول الأشكال بسهولة، واللِّين يقتضي عدم الممانعة والانفعال عَنْ المؤثِّر بيسرٍ، ولعلَّه لذلك أضاف الرِّقة إلى الفؤاد، واللِّين إلى القلب، فإنَّه وإن كان الفؤاد والقلب واحدًا، لكنَّ الفؤاد فيه معنى النفاذ وهو التوقُّد، يقال: فاءدت اللحم أي شويته، والقلب فيه معنى التقلب، يتقلب حاله حالًا بسبب ما يعتريه.

- ظاهر كلام النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم الإخبار، والمقصود به أيضًا مدحهم على ما هم عليه مِنَ الخشية والاستكانة السَّريعة والاستجابة والتَّأثر بقوارع التَّذكر.

- لما وصفهم بذلك أتبعه ما هو كالنَّتيجة، فإنَّ صفاء القلب ورقَّته ولين جوهره يؤدِّي إلى عرفان الحقِّ والتَّصديق به، وهو الإيمان والانقياد لما يوجبه ويقتضيه، والتَّيقظ والإيقان فيما يذره ويأتيه، وهو الحكمة، فتكون قلوبهم معادن الإيمان وينابيع الحكمَة، وهي قلوب منشؤها اليَمَن، نسب إليهم الإيمان والحكمة معًا؛ لانتسابهما إليه تنويهًا بذكرِهِمَا، وتعظيمًا لشأنهما[(١)].

- أشار الحديث على أنَّ مخالطة الحيوان ممَّا يؤثر في النَّفس، وتعدي إليها هيئات وأخلاقًا تناسب طباعها، وتلائم أحوالها[(٢)].

(١) ينظر: شرح المشكاة؛ للطيبي١٢/٣٩٥٦.

(٢) ينظر: شرح ابن بطال٦/٤٥٨. فسبب فخر أهل الخيل والإبل وخيلائهم؛ للغنى المطغي؛ وقوَّة أموالهم؛ وكونها عونًا لهم على من ناوأهم وحاربهم، والسكينة في أهل الغنم؛ لضعف الغنم، وقلَّة استعانة أهلها بها في محاربة عدو ومناوأته، فرغبوا في المسالمة، وتخلقوا بالسكينة والوقار، والكف عن الأذى. ينظر: المنتقى في شرح الموطأ؛ لأبي الوليد الباجي٧/٢٠٩.

باب: الموعظة؛ لترقيق القلوب

٧٧. عن أُبيٍّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه، قال: قَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**مُوسَى رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قَالَ: ذَكَّرَ النَّاسَ يَوْمًا حَتَّى إِذَا فَاضَتِ العُيُونُ، وَرَقَّتِ القُلُوبُ، وَلَّى فَأَدْرَكَهُ رَجُلٌ...**» الحديث[١].

- **ما يستفاد من الحديث:**

- دلَّ الحديث على أنَّ بذكر الله ترق القلوبُ، وتدمع العيونُ، وتسكنُ النُّفوسُ، وتحصل الطمأنية، وهو مصدق قوله تَعَالى: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**}[٢]، فَمَنْ لم يجد أثر ذلك في قلبه عند الذِّكر فليبحث عِنْ قلبِه وحياتِه.

- يستفاد مِنَ الحديث أنَّ الواعظ إذا أثَّر وعظه في السَّامعين فخشعوا وبكوا، ينبغي أنْ يخفف؛ لئلَّا يملّوا[٣].

- دلَّ الحديث أنَّ غلبة الدَّمع قرينة دالة على رقَّة القلب، كما هو حال أبي بكر رضي الله عنه، كان رقيق القلب، يغلبه الدَّمع إن تلا كتاب الله تَعَالى، لما يجد من أثره عليه.

باب: ما يدخل الله الجنة؛ لرقة القلب ورحمته

٧٨. عن عياضِ بنِ حِمَارٍ المجَاشِعِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، قَالَ ذات يوْمٍ فِي خُطبته: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا،**

---

(١) أخرجه: البخاري(٤٧٢٦)، واللفظ له، ومسلم(٢٣٨٠).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٣) ينظر: فتح الباري٨/٤١٣.

وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إلى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ»[1].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– دلَّ الحديثُ على أنَّ مِنْ أسبابِ دخول الجنَّة واللَّذة بنعيمها هو رقَّة القلب ورحمته بالخلق، عامَّتهم وخاصَّتهم، وأنَّ الرَّحمة بالعباد تستجلب رحمة الله جلَّ وعلا؛ فإنَّما يرحم الله مِنْ عباده الرُّحماء.

– قوله: «**رحيم**» على وزن فعيل، أي: كثير الرَّحمة، وأنَّ الرَّحمة حالةٌ ملازمةٌ له، لا ينفكُّ عنها ولا تنفكُّ عنه، وقوله: «**رقيق**»، أي: ذا خشيةٍ وانكسارٍ وحزنٍ، يغلب الدَّمع على عينه؛ إذا سمع واعظ الله؛ خشية مِنَ الله جلَّ جلاله، وقد كان الصِّديق رضي الله عنه رقيق القلب أسيفًا، يغلب الدَّمع عينه إذا قرأ القرآن، وهذه القلوب الرَّقيقة مِنْ أثبت القلوب عند البلاءِ والنَّوازل؛ لما عرفتهُ مِنَ الحقِّ واليقين السَّابق، ولما عاشته مِنْ لحظات القرب مِنَ الله، فهي لا ترى إلا بنور الله، ولا تبصر إلا بالله، فيكون لها مِنَ الثَّبات ما لا يكون لغيرها وإن اشتركت الأخرى معها في القُرْبِ، فكلَّما كان القلب مِنَ الله أقرب، كان في مواطن الشدَّة أثْبَت. اللَّهمَّ ثبِّت قلوبنَا على طاعتِك وهداك؛ فإنَّا والله رأينا أناسًا يحفظون كتاب الله بجميع القراءات، وهم ينتكسونَ، ولما يتعرضوا للسِّياط

(١) أخرجه: مسلم(٢٨٦٥).

بعد! فما يقول أحدنا وهو لا يحفظ إلا أمَّ القرآن! لذلك كانت يمين نبينا صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**لا ومقلب القلوب**))؛ لكثرة الانتكاسات.

باب: لِيْن القَلْبِ؛ بإطعامِ المِسْكِيْن وبمسحِ رأسِ اليتِيْم

٧٩. عن أَبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رجلًا، شكا إلى رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قسوة قلبه، فقَالَ له: ((**إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ**))[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- أفاد الحديث أنَّ مِنْ جُملة ما تلين القلوب وتذعن به وتخشع لأمرِ الله وقضائِه هو إطعام المساكين، ومسح رأس اليتامى؛ تلطُّفًا وإيناسًا لهم؛ سواء كان المقصود بالمسحِّ كنايةً أو حقيقةً، ولا يَصْعُب الإتيان به على الحقيقةِ مع ما يحمله مِنْ معنى، فإنَّ ذلك يليِّن القلبَ ويشرحهُ؛ لأنَّ هؤلاء باب مفتوح من أبواب الجنَّة في دار العمل، فمن تعرَّض لهم آتاه الله مِنْ نعيم الجنَّة، مِنْ روحهَا ونسيمهَا وطيبهَا، فتسكن نفسُه، ويلين قلبُه؛ لما يبعثه الله له مِنْ تلك النَّفحات، وهذا مجرَّبٌ لكلِّ مَنْ مشى في هذا الدَّرب[٢]. وقد صحَّ أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قال: ((**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ**

---

(١) أخرجه: أحمد(٧٥٧٦)، وإسناده ضعيف؛ لجهالة فيه، وقد حسنه الحافظ في الفتح١١/١٥١. فائدة: لا يثبت في فضل مسح رأس اليتيم خبرٌ، كلها معلَّة من حيث الصناعة الحديثية.

(٢) قَالَ الشيخ الإمام الجيلاني رحمه الله تَعَالى كما في سير أعلام النبلاء٢٠/٤٤٧: (فتَّشت الأعمال كلها، فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام، أودُّ لو أنَّ الدنيا بيدي؛ فأطعمها الجياع، كفِّي مثقوبة لا تضبط شيئًا، لو جاءني ألف دينار لم أبيتها، وكان إذا جاءه أحدٌ بذهب يقول: ضعه تحت السجادة)؛ لينفقه فورًا، وهذه كلها لما يجده من الأنس بالله سبحانه وتَعَالى؛ لأنَّ الله قريب منهم، أو عندهم.

أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»[١].

- وفيه أنَّ مَنْ ابتلي بداءٍ مِنَ الأخلاق الذَّميمة يكون تداركه بما يضاده مِنَ الدَّواء، فالتَّكبر يداوى بالتَّواضع، والبخل بالسَّماحة، وقسوة القلب بالتَّعطف والرِّقة[٢].

- ودلَّ الحديث أيضًا على أنَّ للصَّدقة وفعل المعروف تأثيرًا عجيبًا في شرح الصَّدر[٣]، ومثل هذه الأدوية القلبية للأسف لا يهتدي إليها الأطباء، ولا يصفونَها لمن جاءهم يشكوا تكدُّر طبعِه، وضيق صدرِه، وقسوة قلبِه، فتجدهم يحولونه على العقاقير فقط[٤].

---

(١) أخرجه: مسلم(٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: فيض القدير ١/١٤٢.

(٣) ينظر: زاد المعاد؛ لابن القيم٢/٢٢.

(٤) قَالَ العلامة ابن القيم في الزاد٤/١١: «...قوة القلب واعتماده على الله، والتوكل عليه، والالتجاء إليه، والانطراح والانكسار بين يديه، والتذلل له، والصدقة، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوف، والتفريج عن المكروب، فإنّ هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها، فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء، ولا تجربته، ولا قياسه. وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا أمورا كثيرة، ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية، بل تصير الأدوية الحسية عندها بمنزلة أدوية الطرقية، عند الأطباء، وهذا جار على قانون الحكمة الإلهية ليس خارجا عنها، ولكن الأسباب متنوعة فإن القلب متى اتصل برب العالمين، وخالق الداء والدواء، ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء كانت له أدوية أخرى غير الأدوية الَّتي يعانيها القلب البعيد منه المعرض عنه، وقد علم أن الأرواح متى قويت، وقويت النفس والطبيعة تعاونا على دفع الداء وقهره، فكيف ينكر لمن قويت طبيعته ونفسه، وفرحت بقربها من بارئها، وأنسها به، وحبها له، وتنعمها بذكره، وانصراف قواها كلها إليه، وجمعها عليه، واستعانتها به، وتوكلها عليه، أن يكون ذلك لها من أكبر الأدوية، وأن توجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلية، ولا ينكر هذا إلا أجهل الناس، وأغلظهم حجابا، وأكثفهم نفسا، وأبعدهم عن الله وعن حقيقة الإنسانية، وسنذكر إن شاء الله السبب الَّذي به أزالت قراءة الفاتحة داء اللدغة عن اللديغ الَّتي رقي بها، فقام حتى كأن ما به قلبة».

باب: زِيَارَة القُبُور؛ لترقيق القلوب

٨٠. عن أَنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: نهى رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم عَنْ ثَلَاثٍ: عن زيارة القبور، وعن لُحومِ الأَضاحيِّ فوق ثلاثٍ، وعن هذه الأَنبذَةِ في الأَوعية، قال: ثمَّ قَالَ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بعد ذلك: «**أَلَا إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ: نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، ثُمَّ بَدَا لِي أَنَّهَا تُرِقُّ الْقُلُوبَ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ، فَزُورُوهَا**»[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

- أنَّ القلب يقسو لما يعرضُ عليه مِنْ زخرفِ الحياة الدُّنيا ونعيمِهَا، فتجده قدْ يركض إلى لقبٍ دنيوي زائلٍ، ولكن إذا تذكَّر الموتَ سيعلم أنَّ الألقاب كلَّها زائلةٌ إلا لقب الميِّت والجثَّة والجنازة، قد يقسو القلب لما يرى مِنْ سيَّارة تحملُه وتوصله حيثما يريد، ولكن إذا زارَ المقابر عَلِمَ أنَّ سيارتَه تلك الخشبة الَّتي سيُحْمَل عليها لمدَّة قصيرة، ثمَّ يوضع تحت التُّراب، قد يقسو القلب لما يجد مِنْ أحبَّة وأعوان وأولاد ينصرونه ويعينونه ويضاحكونه، ولكنَّه إذا زار المقابر عَلِمَ أنَّ الموت يحول بين الأحبَّة وأحبابِهم، وأنَّ هذه القُبور قد خلت مِنَ التَّجمع إلا ما كان عابرًا، وأنَّ هذا الدَّفن فِراق ما بعده لقاء حتى يوم القيامة، قد يقسو القلب لما يجد أمامهُ مِنْ بيت كبيرٍ يسكنُه، وفراشٍ ناعمٍ يرقدُ عليه، وسقفٍ مجمَّلٍ ينظرُ إليه، وماءٍ بارد يتناوله، وطعامٍ طيِّب يأكله، ولكن إذا زارَ المقابر عَلِمَ أنَّ بيتَه الحقيقي هو ذلك القبر الصَّغير، الَّذي فراشه التُّراب، وسقفه التُّراب، وأنَّ الجسد الَّذي كان يأكل ويشرب اليومَ يؤكل ويشرب! والعكس، قد يقسو القلب لما يرى أنَّ غيرهَ خيرًا منه حالًا في الدُّنيا، ولكنَّه إذا زار المقابر عَلِم أنَّ العزيز والذَّليل، القويَّ والضَّعيف، الفقيرَ والغنيَّ، الشَّريف والوضيع، الرَّئيس والمرؤوس، الذَّكي والغبيَّ، وهلم جرًا كلَّهم إلى التُّراب، وكلَّهم إلى تلك الحفرةِ، وكلَّهم سيكونونَ واحدًا في الحالِ، فإذا عَلِم ذلك رقَّ قلبُه. ولهذا ولغيره كانت زيارة المقابر وصفة نبويَّة طبيَّة لمن وجد قسوة في قلبه، وكذلك حتَّى لا يقسو قلبه، فجدير بالمؤمن

---

(١) أخرجه: أحمد(١٣٦٤٥)، وإسناده ضعيف كما نص على ذلك الشيخ شعيب، وقد صححه الحاكم(١٣٩٤)، وللحديث شواهد صحيحة.

أنْ يزور المقابر؛ يزورها بحسب ما يجد فيها صلاحًا لقلبه، وأن يكرر ذلك حتى تسكن نفسه؛ فإنَّ الدواء قد لا ينجع من أول مرَّة، فقد يحتاج إلى جرعات.

باب: رقة القلوب لرؤية النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم

٨١. عن أبي المدِلَّةِ، مولى أُمِّ المؤْمنينَ، سمع أَبا هريرة رضي الله عنه، يقول: قلنا: يا رسول اللَّه، إنَّا إذا رأَيناك رقَّت قلُوبُنا وكنَّا من أَهلِ الآخرة، وإذا فارقناكَ أَعجبتنا الدُّنيا، وشممنا النِّساء والأَولاد، قال: «**لَوْ تَكُونُونَ – أَو قال: لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ – عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا عِنْدِي، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ بِأَكُفِّهِمْ، وَلَزَارَتْكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يَغْفِرَ لَهُمْ**»(١).

● ما يستفاد من الحديث:

– في الحديث إشارة إلى أنَّ أهل الصَّفاء يحصلُ لهم مِنَ الفتح ما لا يحصل لغيرهم، وكلَّما كان القلب صافيًا خاليًا مِنَ الخواطر الشَّيطانية، مستحضرًا خشية الله كان الفتح له أزيد، فلو بقيَ الصَّحابة على حالهِم مِنَ الصَّفاء عند رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم؛ لصافحتهم الملائكةُ عيانًا في الطُّرقات، وذلك لأنَّ حالتهم عنده فَرَقٌ وخَشْيةٌ مِنَ الله كما تقرَّر، والخوف سببٌ لولوج نور اليقين في القلب، وذا سبب لموت الشَّهوة، ورفع الحُجب، وحينئذٍ يشاهد الأرواح الطَّاهرة المطهَّرة عيانًا؛ لارتفاع الموانع(٢).

– دلَّ الحديث على أنَّ ثمة غَفْلة تعرض على القلب معفوٌ عنها؛ إذْ لا بدَّ منها؛ لتدوم الحياة، فلو بقيَ القلبُ عَلَى تلك اليقظةِ ما استطاع الإنسان أنْ يَعْمُر الأرضَ، وما استطاع أنْ يقربَ أهلَهُ وهو يستشعر أنَّ الله ناظره، فهذه الغفلة مِنْ رحمة الله تَعَالى.

---

(١) أخرجه: أحمد(٢٠٢٧١)، والترمذي(٢٥٢٦)، وصححه ابن حبان(٧٣٨٧)، وقَالَ الدارقطني في العلل(٢٢٥٨): «والحديث محفوظٌ».

(٢) ينظر: فيض القدير؛ للمناوي٥/٣١٠.

– كانت رؤية النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم تبعث في قلوبهم الأنس بالله جلَّ جلاله؛ لما يرون عليه مِنْ نور الإيمان، وبشاشةِ الوجهِ، وحسنِ الحديث مِن الموعظة والتَّذكير بالله وفي الله، حتَّى رقَّ له وأحبَّه الجبل، والشَّجر، والجِذْعُ، والذِّئبُ، والأسدُ، والجملُ، والحُمرة، والحجر، والجنُّ، وكثير من الأنسِ.

– في الحديث دلالة واضحة على أثر العالم الربَّاني في إصلاح قلب المرء وتثبيتِه عند العوارض والخواطر، وهذا كله بإذن الله(١).

(١) قَالَ العلَّامة ابن القيم في كتابه الماتع الوابل الصيب ص٦٧: «وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية –قدَّس الله روحه– يقول: إنَّ في الدُّنيا جنَّة، من لم يدخلها لا يدخل جنَّة الآخرة. وقَالَ لي مرَّة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنَّتي وبستاني في صدري، إنْ رحتُ فهي معي لا تفارقني، إنَّ حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة! وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القاعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتُهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهمَّ أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك ما شاء الله. وقَالَ لي مرَّة: المحبوس مَنْ حُبِسَ قلبُه عن ربِّه تَعَالى، والمأسور من أسره هواه. ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: {**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**}. وعلم الله، ما رأيتُ أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرهم نفسًا، تلوح نضرة النَّعيم على وجهه. وكنَّا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أنْ نراه، ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا، وقوة ويقينًا وطمأنينة. فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها».

باب: وجل القلوب

٨٢. عن العِرباض بنَ سَارِيَةَ، قال: وعظنا رسولُ اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم موعظةً ذَرَفَت منها العيونُ، وَوَجِلَت منها القلوب، قلنا: يا رسول اللَّه، إنَّ هذه لموعظةُ مودِّعٍ، فماذا تعهد إلينا؟ قال: ((**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ**))[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– القلوب الحيَّة تتأثر بالموعظة؛ لما فيهَا مِنَ الإنذار والتَّخويف، فتوجل عند ذلك، والوَجَلُ: الخوف والخشية مع الحذر[٢]، وقوله: ((**ذَرَفَت منها العيونُ، وَوَجِلَت مِنهَا القُلُوْب**))، هذان الوصفان مدح الله بهما المؤمنين عند سماع الذِّكر كما قَالَ تَعَالَى: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**}[٣]، وقال: {**وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**}[٤]، وقال: {**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**}[٥]، وقال: {**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ**

---

(١) أخرجه: أحمد(١٧١٤٢)، والدرامي(٩٦)، وابن ماجه(٤٢)، وأبو داود(٤٦٠٧)، وصححه الترمذي (٢٦٧٦)، وابن حبان(٥)، والحاكم(٣٢٩).

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح ١/٢٥١.

(٣) سورة الأنفال، من الآية: ٢.

(٤) سورة الحج.

(٥) سورة الحديد، الآية: ١٦.

ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللَّهِ}[١]، وقَالَ تَعَالى[٢]: {**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إلى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ**}[٣].

– كانت قلوب الصَّحابة توجل عند الموعظة؛ وذلك لاستيلاء الخشية على قلوبِهم، وتأثير الرِّقة فيها، ولم يقل الصحابي: زَعَقْنَا ولا رقصنَا ولا زَفَنَّا ولا قُمنا ولا صرخنا كما يصنع بعض النَّاس[٤]، فهذا هو الأصل، وهذا هو الهدي، وهو أنْ تقشعرَّ الجلود، وتوجل القلوب وتلين، وتفيض العيونُ، وهذه الأحوالُ تظهرُ على القلوبِ الحيَّة والنُّفوس الزَّكيَّة؛ لما تجد من أثر ذلك فيها، وأمَّا القلوب الميِّتة فلا تنتفع بذلك، والله المستعان، وأمَّا القلوب المريضة فتتأثر بقدر الخير الَّذي فيها[٥].

– قدَّم «**ذَرَفَت العُيون**» على«**وَجَلتْ القلوب**»، والأصل أنَّ الأخير حقُّه التَّقديم؛ للإشعار بأنَّ الموعظة أثَّرت فيهم، وأخذت منهم بمجامعهم ظاهرًا وباطنًا[٦]، فاستوت علانيتهم وسريرتهم، فلم يبكوا نفاقًا، وإنَّما كان الدَّمع أمارة على تلك القلوب الوجلة.

---

(١) سورة الزمر، من الآية: ٢٣.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٨٣.

(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم؛ لابن رجب١١٢/٢.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي٣٦٦/٧.

(٥) كما سبق أنَّ هذا هو الأصل عند سماع الموعظة، وقد يضيق الحال على بعض الصالحين من أهل الأحوال، فتجدهم يُصعقون عند سماع الذكر، وهذا كان يحدث لبعض الأئمة كيحيى بن سعيد القطان الإمام المحدث شيخ المحدثين، فهم معذورن بذلك؛ لغلبة الحال عليهم.

(٦) ينظر: شرح المشكاة؛ للطيبي٦٣٣/٢.

باب: أثر الذكر ودوامه على القلب

٨٣. عن حنظلةَ رضي الله عنه، قال: كنَّا عند رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، فوعظنا، فذكَّر النَّار، قال: ثُمَّ جئتُ إلى البيت فضاحكتُ الصِّبيانَ ولاعبتُ المرأَة، قال: فخرجتُ فلقيتُ أَبا بكرٍ فذكرتُ ذلك لهُ، فقال: وأَنا قدْ فعلتُ مثلَ ما تذكرُ، فلقينا رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، فقلتُ: يا رسول الله، نافق حنظلة، فقال: ((**مَهْ**))؟ فحدَّثتهُ بالحديث، فقَالَ أَبو بكرٍ: وأَنا قد فعلتُ مثل ما فعل، فقال: ((**يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً، وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ، حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطُّرُقِ**))(١).

- **ما يستفاد من الحديث:**

إنَّ القلوب تحيى بالذِّكر، وتنشط به، وتعرج به إلى حالة لو بقيت عليها؛ لصافحة الملائكةُ أصحابها عيانًا(٢)؛ لقرب الوصف والحال بينهما، مِنْ تعظيم الله، وخشيتِه، واستدامة ذكرِه، والاشتراك في عدم الغفلة ولو للحظةٍ واحدة، وهذا يؤكِّد على أنَّ القلوب والنُّفوس تخشع وتلين بذكر الله وليس بالأنغام والألحان.

- دلَّ الحديث أنَّ انشغال القلب والنَّفس في المباح أمرٌ مشروعٌ وطبيعيٌّ، ولا يعدُّ نفاقًا، فساعة؛ لقوة اليقظة؛ وساعة للمباحِ وإنْ أوجبت بعض الغفلةِ. وهذا لأنَّ الإنسان لو حقق مع نفسه ما بقي، فلا بدَّ للمتيقِّظ مِنَ التَّعرض لأسباب الغفلة؛ ليعدِّل ما عنده، ومنْ أين يقدر على الأكل والشُّرب والجماع مِنْ يرى الأمر كأنَّه مُعايَن، وإنِّ مِنَ الغفلة لنعمةٌ عظيمةٌ، إلا أنَّها إذا زادت أفسدت، إنَّما ينبغي أن تكون بمقدار ما يعدل(٣)، فعلى العاقل أن يكون له ساعات: ساعة

---

(١) أخرجه: مسلم(٢٧٥٠).

(٢) قَالَ الطيبي في شرح المشكاة٥/١٧٣٢: (ولابدَّ من هذا القيد؛ لأنَّ الملائكة يصافحون أهل الذكر غير عيان).

(٣) ينظر: كشف المشكل٤/٢٣٠.

يناجي فيها ربَّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكر فيها في صُنْعِ الله، وساعة يخلو فيها لحاجته مِنَ المطعمِ والمشرَبِ. هكذا الكمال، وما عداه ترهات وخيال[١].

- قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة، فإذا انفصل عن مجلس الذكر، عادت القسوة والغفلة؛ وذلك أن القلب لا يكون على صفته من اليقظة عند سماع الموعظة وبعدها؛ لسببين، الأول: أنَّ المواعظ كالسياط، والسياط لا تؤلم بعد انقضائها، وإيلامها وقت وقوعها، والثاني: أنَّ حالة سماع المواعظ يكون الإنسان فيها مزاح العلة، قد تخلى بجسمه وفكره عن أسباب الدنيا، وأنصت بحضور قلبه؛ فإذا عاد إلى الشواغل، اجتذبته بآفاتها، فكيف يصح أن يكون كما كان[٢].

باب: القُلوب عَلَى قَلْبٍ واحِدٍ

٨٤. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قال: ((**أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ**[٣]**، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ**[٤] **سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا**))[٥].

---

(١) ينظر: المفهم؛ للقرطبي٧/٦٨.

(٢) ينظر: صيد الخاطر؛ لابن الجوزي: ٢٥.

(٣) جاء في النهاية؛ لابن الأثير١/٢٤٩: (المجامرُ: جمع مِجْمَرٍ ومُجْمَرٍ، فالمِجْمَرُ بكسر الميم: هو الَّذي يوضع فيه النَّارُ للبخُور. والمُجْمَرُ بالضَّم: الَّذي يُتبخَّر به وأُعِدّ له الجَمْرُ، وهو المراد في هذا الحديث: أَي إنَّ بخُورهم بالأَلُوّة، وهو العُود).

(٤) قَالَ الحافظ في الفتح٦/٣٢٥: (المخُّ: بضم الميم، وتشديد المعجمة، ما في داخل العظم، والمراد به وصفها بالصفاء البالغ، وأنَّ ما في داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد).

(٥) أخرجه: البخاري(٣٢٤٥)، واللفظ له، ومسلم(٢٨٣٤).

● **ما يستفاد من الحديث:**

– دلَّ الحديث على أنَّ مِنْ أسباب وحدة القلوب هو ترك الاختلاف المفضِي إلى التَّباغض والتَّباعد.

– وفيه أيضًا أنَّ من أمارة صَلاحِ القلب هو ذكر الله، لذا عقَّب بقوله: ((**يُسَبِّحونَ الله بكرةً وعشيًا**)).

– دلَّ الحديثُ على أنَّ طهارةَ القلبِ عن الأخلاق الذَّمية يقابله تنزيه الله عَنْ كلِّ ما لا يليق به؛ لأنَّ مَنْ عَرَفَ نفسَه عَرفَ ربَّه.

– دلَّتْ النُّصوص أنَّ التَّسبيح ليس عن تكليفٍ وإلزامٍ وإنَّما هو إلهامٌ كإلهامِ النَّفس، ووجه التَّشبيه أنَّ تَنَفُّسَ الإنسانِ لا كلفة عليه فيه، ولا بدَّ له منه، فجعل تنفسهم تَسْبِيْحًا، تلذذًا بذلك؛ وسببه أنَّ قلوبهم تنوَّرت بمعرفة الرَّبِّ سبحانه، وامتلأت بحبه ومن أحبَّ شيئًا أكثر من ذكره[١].

باب: قِرَاءة القرآنِ ما ائْتَلَفَت القُلوب

٨٥. عن جُندب بن عبد الله رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قال: ((**اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ**))[٢].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– يرشدنا النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم إلى أهميَّة ائتلاف القلوب ووحدتِهَا، والتَّحذير مِنَ الفُرْقَة في الدِّين، فكأنَّه قال: اقرءوا القرآن والزموا الائتلافَ على ما دلَّ عليه وقاد إليهِ، فإذا اختلفتُم فقوموا عنه، أي فإذا عرضَ عارضُ شبهةٍ توجب المنازعة الدَّاعية إلى الفُرقة فقومُوا عنه بتركِ تلك

(١) ينظر: فتح الباري٦/٣٢٦.

(٢) أخرجه: البخاري(٥٠٦٠)، واللفظ له، ومسلم(٢٦٦٧).

الشُّبهة الدَّاعية إلى الفُرقة، وارجعوا إلى المحكمِ الموجبِ للألفة[١]. وهذا التَّفسيرُ الأوَّل لمعنى الحديث.

– يحثنا الحديث على أنَّ القراءة لا بدَّ أن تكون عَنْ نشاطٍ وذوقٍ والخواطر له مجموعة[٢]، فإذا حصلتْ الملالة فاتركوهُ؛ فإنَّه أعظمُ مِنْ أنْ يقرأه أحدٌ مِنْ غيرِ حضور القلبِ[٣]، وهو التَّفسير الثَّاني، وكلاهما محتملٌ، والأوَّل عندي أقرب، والشُّرَّاح عليه أكثر.

– فيه تنبيهٌ على أنَّ ما دون القرآن أولى بترك الاختلاف عليه، فهو ذَكَر القرآن، وما دونه أولى بالدُّخول في الأمر[٤].

باب: فَضْل الجِهَاد لقلبِ المُسْلِم

٨٦. عن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ مُكاتبًا لها دخل عليها ببقيَّةِ مُكَاتبته، فقالت لهُ: أنتَ غيرُ داخلٍ عليَّ غير مَرَّتِكَ هذه، فعليك بالجهاد في سبيل اللَّه؛ فإنِّ سمعتُ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، يقول: ((**مَا خَالَطَ قَلْبَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ رَهَجٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ**))[٥].

(١) ينظر: شرح ابن بطال١٠/٢٨٥.

(٢) ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح؛ للمظهري٣/٩٧.

(٣) ينظر: عمدة القاري٢٠/٦٢.

(٤) قَالَ الإمام النووي: (الأمر بالقيام عند الاختلاف في القرآن محمول عند العلماء على اختلاف لا يجوز، أو اختلاف يوقع فيما لا يجوز، كاختلاف في نفس القرآن، أو في معنى منه لا يسوغ فيه الاجتهاد، أو اختلاف يوقع في شك، أو شبهة، أو فتنة، أو خصومة، أو شجار، ونحو ذلك، وأمَّا الاختلاف في استنباط فروع الدين منه، ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة وإظهار الحق، فليس منهيا عنه بل هو مأمور به، وفضيلته ظاهرة، وقد أجمع المسلمون على هذا من الصحابة إلى الآن).

(٥) أخرجه: أحمد(٢٤٥٤٨)، وقَالَ الهيثمي في مجمع الزوائد٥/٢٧٦: (رواه أحمد والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد ثقات)، وكذا قَالَ المنذري في الترغيب(٢٠٠٢)، وصححه المناوي في التَّيسير٢/٣٤٨.

● **ما يستفاد من الحديث:**

– فيه فضيلة الجهاد في سبيل الله، وأنَّ للجهاد أثرًا في صلاح القلوب، وطرح الذُّنوب، حتَّى أنَّ صاحبه ينجو بذلك يوم القيامة، لما يتعرَّض له مِنَ الفتنة عند التحامِ الصُّفوف، وضرب السِّيوف، فثبات قلبِه هناك يورثه ثباتًا يوم لقائِه، وأنَّ ذنوبَه تطرح في تلك المشاهد حتَّى يصفو قلبُه مِنْ أدران السَّيِّئات، وقد روي عنه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أنَّه قال: «**إِذَا رَجَفَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ عَذْقُ النَّخْلَةِ**»(١)، وروى راشد بن سعد، عن رجلٍ مِنْ أصحاب النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يُفْتنونَ في قبورهم إلا الشَّهيد؟ قال: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً**»(٢). فمعناه أنَّه قد امتحن نفاقه مِنْ إيمانِه؛ ببارقة السَّيف على رأسِه، فلم يفرَّ، فلو كان منافِقًا لما صَبَرَ ببارقة السَّيف على رأسه، فدلَّ على أنَّ إيمانه هو الَّذي حمله على بذلِ نفسهُ لله، وتسليمها له، وهاج مِنْ قلبِه حميَّة الغضب لله ورسوله، وإظهار دينِهِ، وإعزاز كلمتِه، فهذا قدْ أظهر صِدْقَ ما في ضميره حيث برز للقتل فاستغنى بذلك عن الامتحان في قبره(٣). والكلام في ذلك يطول.

باب: فَضْل القَلبِ المَخْمُوم

٨٧. عن عبد اللَّه بن عَمرٍو رضي الله عنهما، قال: قيل لرسُول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: أيُّ النَّاس أَفضل؟ قال: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ**» ، قالوا: صدُوقُ اللِّسان نعرفهُ، فما مخمومُ القلب؟ قال: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ**»(٤).

---

(١) أخرجه: ابن المبارك في الجهاد(٣٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه(١٩٣٥٧)، والطبراني في الأوسط(٦٠٨٦)، واللفظ له، وأبو نعيم في الحلية١/٣٦٧. وإسناده ضعيفٌ. ينظر: مجمع الزوائد٥/٣٣١.

(٢) أخرجه: النسائي(٢٠٣٥).

(٣) ينظر: الروح؛ لابن القيم: ٨١.

(٤) أخرجه: ابن ماجه(٤٢٢٠)، قَالَ أبو حاتم الرازي في العلل(١٨٧٣): «هذا حديث صحيح حسن، وزيد محله الصدق، وكان يرى رأي القدر»، وصححه جمعٌ ممن تأخر.

● ما يستفاد من الحديث:

- عبَّر بلفظ: «**مخموم**» على وزن مفعول، وهو مِنْ خمَّ البيت، أو العين، أي: كَنَسَهَا، والخمامة: الكُناسة(١)، فالمخموم كما فسَّره الحديث هو القلب التَّقي، وقد ابتدأ بذكر التَّقوى؛ لأنَّ ذلك هو الأصل، فبالتَّقوى يسلمُ القلب مِنَ الآفات الَّتي أعقب ذكْرِهَا، وأنَّ التَّقوى في القلبِ كما تقدَّم ذكر ذلك في الأحاديث، فمن اتَّقى وجعل بينه وبين الشُّبهات والشَّهوات حاجِزًا، ولم يعرِّض نفسه لها، سلم قلبُه، ومنْ عَلِمَ أنَّ القلبَ محلُّ نظر الله تَعَالى زيَّن قلبه بالملائح، ونقَّاه مِنَ الآفاتِ الدَّنيئة، مِنْ الظلم، والغلِّ وهو الحقد، والحسد وهو تمني زوال نعمة الآخرين ونحو ذلك.

- يستفاد أنَّه شبَّه الغل والحسد بالوَسَخ، فكما أنَّ الوَسَخَ يعلقُ بالشَّيء، فكذلك هذه الآفات تعلَقُ بالقلب، فخير النَّاس مَنْ كان قلبُه مكنوسًا مِنْ غبار الأغيار، ومنظَّفًا مِنْ أخلاق الأقذار(٢). فجدير بصاحب القلب أن يتخلَّص من هذه الآفات، وأن يباشرَ بكنسهَا إنْ علقت في قلبِه، فالتَّخلص من أوساخ الباطن خيرٌ من التخلص الاعتناء بالمظاهر.

باب: فَضْل مَنْ أصبَحَ قَلبُه خَاليًا مِنَ الغِشِّ

٨٨. عن سعيد بنِ المسيَّب، قال: قَالَ أَنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه، قَالَ لِي رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**يَا بُنَيَّ، إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ**»، ثمَّ قَالَ لِي: «**يَا بُنَيَّ، وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الجَنَّةِ**»(٣).

---

(١) ينظر: العين؛ للخليل٤/١٤٧، وتهذيب اللغة؛ لأبي منصور٧/١٢.

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح٨/٣٢٦٨.

(٣) أخرجه: الترمذي(٢٦٧٨)، وقد أشار إلى علته. وينظر: الضعفاء؛ للعقيلي١/١٤٨.

● **ما يستفاد من الحديث:**

– فِي الحديث دِلالة على أنَّ الغشَّ آفةٌ قلبيَّة ينبغي تجنبها، وضد الغَش النُّصح الَّذي هو إرادة الخير للمنصوح له.

– فِي الحديث تأكيدٌ على أهميَّة الثَّبات في تجنب تلك الآفة الذَّميمة، وَقَدْ عبَّر عَنْ ذَلِك بقوله: «**تصبح وتمسي**»، أي الدَّيمومة على ذلك[١].

– فِي الحديث شمولٌ وعمومٌ، فلا يقولنَّ أحدٌ أنَّ هذا خاص بأقاربي، أو بجيراني، أو بعشيرتي، بل ينبغِي أنْ يَتجنَّب ذلكَ مَع كلِّ أحدٍ، وقدْ عبَّر عَنْ ذلك بقوله: «**لأحد**»؛ نكرة؛ لتدل على العموم، للمحسن والعاصي، للمؤمن والكافر؛ فإنَّ نصيحة الكافر وللعاصي أن يجتهد في إصلاحهما؛ شفقة عليهما مِنَ الهلاك، ويسعى خلاصهم مِنْ ورطة الهلاك، باليد واللسان والتَّألف بما يَقْدرُ عَليه[٢].

– ولا شكَّ أنَّ القلب لا يستطيع تجنب الغل إلا بالمجاهدة؛ لكثرة العوارض والأفكار الَّتي تطرأ عليه، لذلك قال: «فافعل» جزاء كناية عمَّا سبق في الشرط من المعنى، والمقصود إنْ فعلت ما نصحتك به فقد أوتيت بأمر عظيم، ولهذا أشار بقوله: «ذلك»؛ للإشعار بأنَّه رفيع المنزلة، بعيد المتناول[٣] إلا لمن جاهد نفسه، ووفقه ربَّه على ذلك.

باب: القلب الشاكر

٨٩. عَنْ ثوْبان رضي الله عنه، قال: لما أُنزلتْ: {**والَّذين يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**}[٤]قال: كُنَّا مع رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم في بعضِ أَسفاره. فقَالَ

(١) شرح المشكاة؛ للطيبي٢/٦٤٤.

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح١/٢٦٢.

(٣) شرح المشكاة؛ للطيبي٢/٦٤٤.

(٤) سورة التوبة، من الآية: ٣٤.

بعضُ أَصحابه: قدْ نزل في الذَّهب والفضَّة ما نزل، فلو أَنَّا علمنا أَيُّ المالِ خيْرٌ اتَّخذناهُ، فقَالَ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**أَفْضَلُهُ لِسَانًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا شَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُهُ عَلَى إِيمَانِهِ**))[١].

● ما يستفاد من الحديث:

– يعلمنا صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أنَّ الغِنَى غنى النَّفس، وليس غنى المال، فالمال لا يُشبع قلبًا؛ ولو أنَّ لابن آدم واديًا من ذهبٍ لأحبَّ أن يكون له واديانِ ولا يملأ فاه إلا التُّراب كما صحَّ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم.

– ذكر في الحديث شُكرَ القَلب، وهو عُمْدة الشُّكر، وأعلى منازله؛ وذلك أنَّ الشَّكر على ثلاثة أوجهٍ، شكر اللِّسان، وشكر البدن، وشكر القلبِ، فشكر القلب: أنْ تعلم أنَّ النِّعمَ كلَّها مِنَ الله عزَّ وجلَّ، وشكر البدن أنْ لا تستعمل جارحةً مِنْ جوارحِكَ إلا في طاعته أنْ عافاه الله، وشكر اللِّسان دوام الحمد عليه[٢]. وقد نصَّ في الحديث على شُكرِ القلب، الَّذي هو عمدة الشُّكر كما سبق ذكره؛ إذْ بتحققه يصدق بقيَّة الشُّكر، فشكر القلب المعرفة بأنَّ النِّعم مِنَ المنعم لا غير، وشكر العمل كلما وهب اللَّه عزَّ وجلَّ لك عملاً أحدثت له عملاً ثانيًا؛ شكرًا منك للعمل الأوَّل، وعلى هذا يتصل الشُّكر بدوام المعاملة، وأوَّل الشُّكر عند العارفين أنْ لا تعصيه بنعمة مِنْ نعمهِ فتجعلها في طاعة الهوى، فأمَّا شكر الشَّاكرين فهو أن تطيعَه بكلِّ نعمة فتجعلها في سبيل المولى، وهذا شكر جملة العبدِ، وحقيقةُ الشُّكر التَّقوى، وهو اسم يستوعب جمل العبادة الَّتي أمر اللَّه تَعَالى بها عباده في قوله تَعَالى: {**يا أيُّها النَّاسُ أعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلقَكُمْ وَالَّذين من قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**}[٣]، ثم عبَّر حقيقة عَن الشُّكر بتقواه، وأخبرَ سبحانه وتَعَالى أنَّ التَّقوى

---

(١) أخرجه: أحمد(٢٢٣٩٢)، وابن ماجه(١٨٥٦)، والترمذي(٣٠٩٤)، وإسناده منقطع كما بين ذلك الترمذي.

(٢) وهو مروي عن الشيخ السري كما أخرج ذلك البيهقي في الشعب(٤٥٦٦).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١.

هي الشُّكر، فقَالَ سبحانه وتَعَالى: {**فَاتَّقُوا اللّه لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون**}(١)، وقد جمع النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم جميع مقامات الشُّكر(٢).

باب: فضل من توضأ ثمَّ صلَّى ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجه

٩٠. عَن عُقبة بن عامرٍ رضي الله عنه، قال: كانت علينا رعايةُ الإبل فجاءَت نوبتي فروَّحْتُها بعشيٍّ فأَدركتُ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قائمًا يُحدِّثُ النَّاس فأَدركتُ من قوله: ((**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**)). قَالَ فقلتُ: ما أجود هذه، فإذا قائلٌ بين يديَّ يقولُ: الَّتي قبلها أَجودُ، فنظرتُ فإذا عمرُ قال: إِنِّي قدْ رأَيتك جئتَ آنفًا، قال: ((**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ – أَوْ فَيُسْبِغُ – الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاء**))(٣) .

● **ما يستفاد من الحديث:**

– في الحديث حثٌّ على قَطْعِ الفكر أثناء الصَّلاة إلا بالله، فالإقبال بالوَجْه: ترك الالتفات، والإقبال بالقلب: قطع الفكر عنه فيما سِوى العِبَادة(٤)، والكلُّ يرجع إلى معنًى واحدٍ؛ وهو الإخلاصُ، ونفيُ الاشتغالِ، وصرفُ الخواطرِ إلى غيرِ ما هو من الرَّكعتين، وحصرُها فيما هو فيه منهما، فالإقبالُ مُعَبَّرٌ به عن هذا الحصر؛ لأنَّه إدبارٌ عن الخواطِرِ المشْغِلَةِ، وصرفٌ إلى المقصود،

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٢٣.

(٢) وينظر بلا بد: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد؛ لأبي طالب المكي ١/٣٤٦.

(٣) أخرجه: مسلم(٤٧٠).

(٤) ينظر: كشف المشكل١/١٥١.

والصَّرفُ إليه هو الإقبال، والوجه: القصدُ، والقلب: الدَّواعي، والعوازمُ، والخواطرُ، الَّتي يشتمل عليها هو، وهو أقربُ المجازات إلى الحقيقةِ، تسميةً للشيء باسم محلِّه(١).

- جمع صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بهاتين اللفظتين أنواع الخضوعِ والخشوعِ؛ لأنَّ الخضوعَ في الأعضاءِ والخشوعَ بالقلب(٢)، فالمراد مُقْبلًا عليهمَا بظاهرِهِ وباطنهِ، مُسْتَغرقًا خاشعًا هائبًا(٣)، والإقبالُ بالقلب أنْ لا يغفل عَنْهُما، ولا يتفكَّر في أمرٍ لا يتعلَّق بهما، ويصرف نفسَهُ عنه مهما أمكنَ، والإقبالُ بالوجه أنْ لا يلتفت به إلى جهة لا يليق بالصَّلاة الالتفات إليها، ومرجعه الخشوع والخضوع، فإنَّ الخشوعَ في القلب، والخضوعَ في الأعضاء(٤).

باب ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن

٩١. عن جُبير بن مُطعمٍ رضي الله عنه، قال: قام رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بِالخيفِ من مِنًى، فقال: ((**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَّتي، فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ، غَيْرُ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوُلَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ، تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ**))(٥).

● **ما يستفاد من الحديث:**

- في الحديثِ حَثٌّ وتأكيدٌ على وجوبِ صفاءِ القَلْبِ وإخلاصه للهِ، ونصيحته لولاةِ الأمرِ، ولزوم جماعة المسلمينَ في الاعتقادِ والعملِ الصَّالح مِنْ صلاة الجمعة والجماعَة، وقوله: ((**ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ**))، معناه لا يكون القلب عليهنَّ ومعهنَّ غليلًا أبدًا، يعني: لا يقوى فيه

(١) ينظر: شرح الإمام؛ لابن دقيق العيد٥/١٦١.
(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم٣/١٢١.
(٣) شرح المشكاة؛ للطيبي٣/٧٤٧.
(٤) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى؛ للأثيوبي٣/٤٢٦.
(٥) أخرجه: أحمد(١٦٧٣٨)، والدارمي(٢٣٣)، وابن ماجه(٣٠٥٦)، واللفظ له، وصححه الحاكم(٢٩٤).

مرضٌ، ولا نِفاقٌ إذا أخلص العمل لله، ولزم الجماعة، وناصح أولي الأمر[١]، فينبغي له الثَّبات على هذه الخصال[٢]؛ لأنَّ القلوب تُسْتصلَحُ بها، فمنْ تمَسك بها طهُر قلبه مِنَ الخيانةِ والدغَّلِ والشَّر[٣].

باب: فَضْل مَنْ سألَ الله الشَّهادة صَادِقًا مِنْ قَلبه

٩٢. عن سَهْل بن حنيف رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قال: ((**مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ مِنْ قَلْبِهِ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**))[٤].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– دل الحديثُ عَلَى أهميَّة وفضلِ الإخْلاصِ الَّذي محلُّه القلب، وقد قيد به الحديث: ((**بِصِدْقٍ مِنْ قَلْبِه**))؛ لأنَّ الصِّدق معيار الأعمال وقطبِهَا، فالنيَّة قُطب العمل، عليها يدور، وقد يفيد مجرَّد النيَّة مِنْ غيرِ عَمَلٍ، ولا يفيد عملٌ مِنْ غير نيَّة، ومَن صدقت نيَّته في طلب الشَّهادة فكأنَّه استسلم للقتل، فلا يضرُّه بعد بدنه عن الجهَاد؛ لعذر إن كان صادقَ النيَّة، كما قَالَ الله عزَّ وجل: {**وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إلى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**}[٥]، وكذلك مَنْ نام عن صلاة أو نسيهَا، وكذلك لو نَوى قيام اللَّيل فغلبهُ النُّعاس كَتَبَ له ثواب نيَّته. ومن هذا الجنس: {**يَا إِبْرَاهِيمُ(١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا**}[٦]؛ لأنَّ الخليل اجتهد في أن يذبَحَ بإمرار المدية، والذَّبيح استسلم، ولم يبق للفعل مانع سوى جريان القَدَر، فكانا كأنَّما فَعَلَا[٧].

---

(١) ينظر: التمهيد؛ لابن عبد البر٢١/٢٧٧.

(٢) ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه٢/٢٤٨.

(٣) ينظر: التحبير؛ لإيضاح معاني التَّيسير١/٢٢١.

(٤) أخرجه: الدارمي(٢٤٥١)، ومسلم(١٩٠٩)، وأبو داود(١٥٢٠)، وابن ماجه(٢٧٩٧)، واللفظ له، والترمذي(١٦٥٣)، والنسائي(٣١٦٢).

(٥) سورة النساء، من الآية: ١٠٠.

(٦) سورة الصافات.

(٧) ينظر: كشف المشكل؛ لابن الجوزي٢/١١٧.

- فِي الحديث حثٌ على الإخلاص؛ فإنَّه أمير العَمَل، فبالنيَّة يكبر العمل أو يَصغر، وبالنيَّة يصلح أو يفسُد، فهنا بالنيَّة يبلغ الرَّجُل منازل الشُّهداء وإن مات على فراشه، وهناك مَنْ يُقْتل ثمَّ يكبُّ فِي النَّار؛ لخلل فِي نيَّته، لذلك قَالَ بوَّب الإمام البخاري(٢٥٦هـ): «**بابٌ: لا يقولُ فلان شهيد**»[1]؛ لأنَّ صدق النيَّة لا يطلع عليه إلا الله سبحانه وتَعَالى.

---

(١) قبيل حديث(٢٨٩٨)، أورد عقيبه حديث أبي هريرة: عن النبي صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**اللهُ أعْلَم بِمَنْ يُجَاهِدَ فِيْ سَبِيْلِهِ، واللهُ أعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيْلِهِ**». وحديث: سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، التقى هو والمشركون، فاقتتلوا، فلما مال رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم رجل، لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقال: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فقَالَ رجل من القوم: أنا صاحبه، قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحا شديدا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه، فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قال: الرجل الَّذي ذكرت آنفا أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه، ثم جرح جرحا شديدا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم عند ذلك: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

باب: فَضْل مَنْ تَعَلَّق قَلبُه بالمساجِد

٩٣. عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قال: ((**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**))(١).

● **ما يستفاد من الحديث:**

– دل الحديثُ على أنَّ تعلُّق القلب بالمساجِد مِنْ مُوجِبَات ظلِّ الله سبحانه وتَعَالى، وقَدْ عَبَّر بلفظ: ((**مُعَلَّق**))؛ ليدل على شِدَّة حُبِّه لها، محافِظًا على الجُمَعِ والجَمَاعَة فيها، فقلبُه كالقِنْديل المعلَّق فيها، وإنْ كان جَسَدُه خارجها، فهو شديدُ الشَّغَف بها وإنْ فارقَها، فهو لا يخرجُ مِنْهَا إلَّا وهو ينوي الرُّجوع إليها، ويرتقَّب وقتَ توجُّهِه نحوها؛ فهذا ممَّا يستديم الحسنات؛ لأنَّ مَنْ نَوى حَسَنةً فلم يعملها كُتبتْ له حسنة وإنْ عَمِلها كُتبت له عشرًا(٢).

– لو لم يكن للمساجد فَضْلٌ، لم يكن لمنْ قَلْبُه معلَّق فيها هذا الفَضْلِ العَظِيْم(٣)، فدلَّ الحديثُ على خيريَّة المساجِد.

– مِنْ أمارَة صلاح القلوب تعلُّقها بالمساجِد؛ لتجدد الشَّوق إلى سَماع الآياتِ والذِّكر الَّذي يُحي القَلَب، ويبعث فيه السَّكينة والطَّمأنينة، ولما يجده مِنْ التَّواصي بالصَّبر والتَّواصي بالحقِّ مِنْ أهل الصَّلاح والفضل مِنْ عُمَّار المساجد.

---

(١) أخرجه: البخاري(٦٦٠)، واللفظ له، ومسلم(١٠٣١).
(٢) ينظر: المنقى شرح الموطأ؛ للباجي٧/٢٧٣.
(٣) ينظر: عمدة القاري٥/١٧٦.

باب: إنَّ الله يحبُّ كلَّ قَلْبٍ حَزِيْن

٩٤. عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم قال: ((**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ**))[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– في الحديث دِلالة على أهميَّة الحُزن لقلب المؤمنِ؛ لأنَّ القلب إذا لم يكن فيه حزنٌ خرِبَ[٢] والعياذ بالله، ففي الحزنِ عمارة القلوبِ الَّتي هي محلُّ تجلِّي الله ونظره سبحانه وتَعَالى، فالله ينظرُ إلى قلوب العبادِ، فيُحبُّ كلَّ قلبٍ تخلَّق بأخلاقِ المعرفةِ، كالخوفِ والرَّجاء، والحزنِ والرِّقة والصَّفاء[٣]، والقلب الحزين هنا بمعنى الليِّن كثير العطف والرَّحمة، المنكسر مِنْ خَشْية الله تَعَالى، المهْتَم بأمر ديْنِه، الخائف مِنْ تقصيره، فلذلك يحبُّ الله القلب إذا رأى فيه الحُزْنَ عَلى التَّقصير. فطهارة البدن بالماءِ، وطَهَارة القلبِ بالهمومِ والأحزانِ، وليس مراد بالحزين الحزين على الدُّنيا، وما فاتَ مِنْ لذَّاتها، فهذا قلب ليس بمحبوبٍ، بل مبغوض، فالحزنُ على الدُّنيا ضَرْبٌ مِنَ السُّخط والعياذ بالله، ولكن المقصود ما تقدَّم ذكره[٤].

– خُصَّ القلبُ بالحزنِ؛ لأنَّه ينبغي للمؤمن أنْ يكونَ طلق الوجْه، بسَّام غير عَبَّاسٍ، سروره في وجْهِه، وحزنُه في قَلْبِه[٥]؛ لأنَّ التَّبسُّم صدقةٌ كما روي عنه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، وهو مِنْ خُلُقِ الإسلام، وأعلى المقاماتِ مَنْ كَان بكَّاء باللَّيل، بسَّامًا بالنَّهار، بقي هنا شيء ينبغي لمنْ كَان

---

(١) أخرجه: ابن أبي الدنيا في الهم والحزن(٢)، والبزار(٢٥٨)، والخرائطي في اعتلال القلوب(٧)، واللفظ له، والطبراني في مسند الشاميين(٤٨٠)، والحاكم في المستدرك(٧٨٨٤)، وأبو نعيم في الحلية٦/٩٠، والقضاعي في مسند الشهاب(١٠٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان(٨٦٦)، ولا يصحُّ، ضعفه البزار وغيه وقد حُسِّن.

(٢) القائل هو مالك بن دينار رحمه الله كما في اعتلال القلوب؛ للخرائطي(٨).

(٣) ينظر: التَّيسير؛ للمناوي١/٢٧١.

(٤) ينظر: فيض القدير٢/٢٩٥.

(٥) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير٣/٣٨٩.

ضحوكًا بسامًا أنْ يقْصر مِنْ ذلكَ، ويلومَ نفسَه حتَّى لا تمجُّه الأنفس، وينبغِي لمنْ كَان عَبوسًا منقبضًا أنْ يتبسَّم، ويحسن خُلقَه، ويمقتْ نَفْسَه على رداءَة خُلُقِه، وكلُّ انحراف عَن الاعتدال فمذمومٌ، ولا بدَّ للنَّفسِ مِنْ مجاهدةٍ وتأديبٍ(١).

باب: فَضْل اجْتِمَاعِ الخَوْفِ والرَّجَاء في قلبِ المؤمِنِ

٩٥. عن أنسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم دخل على شَابٍّ وهو فِي المَوْتِ، فقال: ((**كَيْفَ تَجِدُكَ؟**))، قال: واللَّه يا رسول اللَّه، إِنِّي أَرجو اللَّه، وإِنِّ أَخافُ ذُنُوبِي، فقَالَ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ**))(٢).

● **ما يستفاد من الحديث:**

- أراد النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم بسؤاله؛ أنْ يَعْلَم كيف قلبه مع الله وهو في هذا الموطن، فوجد مِنْ أفعال القُلوب، أي: كيف تجدُ قلبَكَ أوْ نفْسَك في التِّنقَالَ مِنَ الدُّنيا إلى الآخرة، أراجيًا رحمة الله أو خائفًا مِنْ غَضَبِ الله؟ فكان جَوابهُ: أرجو اللهَ، أي: أَجِدُ نفسي رَاجِيًا رحمةَ الله، خائِفًا عِقَابهَ، فأبرز الجُمْلةَ الأولى في معرف الفعليَّة، والثَّانية بالاسمية، وصدَّرها بـ((إن)) التَّحقيقيَّة؛ تنبيهًا علي أنَّ خوفَه كان محقَّقًا مستمرًا، ورجاؤه حدَثَ عند سياق الموتِ. وأيضًا راعَى في نسبة الرَّجاء إلى الله، والخوف إلى الذَّنب؛ أدبًا حسنًا؛ وكذلك ينبغي للمؤمن أن يُحسن الظنَّ بالله، ويرجِّح جانب الرَّجاء على الخوف(٣)، وقد قَالَ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ**))(٤).

---

(١) ينظر: السير؛ للذهبي١٠/١٤١.

(٢) أخرجه: الترمذي(٩٨٣)، واللفظ له، وابن ماجه(٤٢٦١)، وإسناده ضعيف كما نص على ذلك الترمذي عقيبه. وينظر: العلل الكبير؛ للترمذي(٢٤٤)، والعلل؛ للدارقطني(٢٣٦٨).

(٣) ينظر: شرح المشكاة؛ للطيبي٤/١٣٦٩.

(٤) أخرجه: مسلم(٢٨٧٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

– دلَّ الحديث على أنَّ اجتماع الرَّجاء مع الخوف يورث الأمنَ مِنَ الله، وأنَّه لا يَنْبَغي السَّير إلى الله إلَّا بهذين الجناحين، فلا يقطع النَّظر في الرَّجاء عن الخوْفِ، ولا في الخوف عن الرَّجاء؛ لئلَّا يُفضي في الأول إلى المكْرِ، وفي الثَّاني إلى القنوط، وكل منهُمَا مذمومٌ، والمقصود مِنَ الرَّجاء أنَّ من وقع منه تقصير فليحسن ظنُّه بالله، وليرجو أن يمحو عنه ذنبُه، وكذا مَنْ وقعَ منه طاعة يرجو قَبُولها، وأمَّا مَنْ انهمَكَ على المعصية، راجيًا عدم المؤاخذة بغير ندمٍ ولا إقلاعٍ، فهذا في غُرورٍ؛ فعلامة السَّعادة أنْ تُطيع وتخاف أن لا تُقْبَل، وعلامة الشَّقاء أنْ تَعْصِي وترجو أنْ تَنْجو[1].

باب: الزُّهد في الدُّنيا يُرِيْحُ القَلْب

٩٦. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا يُرِيحُ الْقَلْبَ، وَالْجَسَدَ**»[2].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– في الحديث حثٌّ على الزُّهد؛ وأنَّ فيه راحة للقلب والجَسد؛ وذلك لأنَّه يُفْرغه لعمارة وقْتِه، وجمع قَلْبِه على ما هو بصدده، وقطع مواد طَمَعِه الَّتي هي مِنْ أفسدِ شيءٍ للقلب، بل أصلُ المعاصي والفساد والفُجُور كله مِنَ الطَمَعِ، فالزُّهد يقطع موادَّه، ويفرغُ البَال، ويملأ القلب، ويستحثُّ الجوارح، ويذهبُ الوَحشَة الَّتي بين العبد وبين ربِّه، ويجلب الأنسَ بِهِ، ويقوِّى الرَّغبة في

---

(١) ينظر: فتح الباري؛ لابن حجر ٣٠١/١١. قَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٢٥٦/١٠: «ولهذا ينبغي للعبد أن لا يعلِّق رجاءه إلا بالله، ولا يخاف من الله أن يظلمه؛ فإنَّ الله لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون؛ بل يخاف أن يجزيه بذنوبه، وهذا معنى ما روي عن علي رضي الله عنه أنَّه قال: لا يرجونَّ عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه... فالرجاء ينبغي أن يتعلق بالله، ولا يتعلق بمخلوق، ولا بقوة العبد، ولا عمله؛ فإنَّ تعليق الرجاء بغير الله إشراك، وإن كان الله قد جعل لها أسبابًا فالسبب لا يستقل بنفسه، بل لا بدَّ له من معاون، ولا بدَّ أن يمنع المعارض المعوق له، وهو لا يحصل ويبقى إلا بمشيئة الله تَعَالى».

(٢) أخرجه: الطبراني في الأوسط (٦١٢٠)، والبيهقي في الشعب (١٠٠٥٥)، وفيه علي بن جدعان، وهو ضعيف.

ثوابه إن ضعف عَن الرَّغبة في قُربِه والدُّنو منهُ، وذوق حلاوة معرفتِه ومحبَّته، فالزَّاهدُ أروحُ النَّاس بدنًا وقلبًا، فإنْ كان زهدُه وفراغُه مِنَ الدُّنيا قوة له في إرادة الله والدار الآخرة بحيث فرغ قلبه لله، وجعل حرصه على التقرُّب إليه، وشحَّه على وقتِه أنْ يُضيِّع منه شيء في غيرِ ما هو أرضى الله، وأحبَّ إليه، كانَ مِنْ أنعم النَّاس عَيْشًا، وأقرَّهم عينًا، وأطيبهم نَفْسًا، وأفرحهم قَلبًا؛ فإنَّ الرَّغبة في الدُّنيا تشتِّت القلب، وتبدِّد الشَّمل، وتطيل الهمَّ والغمَّ والحُزْن، فهي عذاب حاضر يؤدِّى إلى عذاب منتظر أشد منه، وتفوت على العبد مِنَ النِّعم أضعاف ما يروم تحصيله بالرَّغبة في الدُّنيا، وحقيقة الزُّهد هو فراغ القلب مِنَ الدُّنيا، لا فراغ اليدين منها، ويقابله الشُّح والحرص، وهو ثلاثة أقسام: زهد في الحرام، وزهد في الشُّبهات والمكروهات، وزهدٌ في الفضلات، فالأوَّل فرضٌ، والثَّاني فضلٌ، والثالث متوسِّط بينهما بحسب درجة الشُّبهة وإن قويت التحَق بالأوَّل، وإلَّا فبالثَّالث، وقَدْ يكون الثَّالث واجبًا بمعنى أنَّه لا بدَّ منه، وذلك لمن شمَّر إلى الله والدَّار الآخرةِ، فزهْدُ الفضلة يكون ضرورة؛ فإنَّ إرادة الدُّنيا قادحة في إرادة الآخرة(١).

باب: مَنْ كانَتْ الآخرةُ نِيَّتَه جُعِل غِنَاهُ فِي قَلْبِه

٩٧. عن زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يقولُ: ((**مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**))(٢).

● **ما يستفاد من الحديث:**

- يشير الحديث إلى أنَّ ما كُتِبَ للعبد مِنَ الرِّزق يأتيه لا محالة، إلا أنَّه مَنْ طلب الآخرة يأتيه بلا تَعَبٍ، ويشعر بكفايته في قلبِهِ، فقلبه غنيٌّ بالمال وإنْ قلَّ، وَمَنْ طَلَبِ الدُّنيا يأتيه بتعبٍ وشدَّة،

---

(١) ينظر: عدة الصابرين٢٢٦.

(٢) أخرجه: أحمد(٢١٥٩٠)، والدارمي(٢٣٥)، وابن ماجه(٤١٠٥)، واللفظ له، وحسنه الترمذي(٢٦٥٦)، وصححه ابن حبان(٦٨٠).

ويَشْعُر بأنَّه فقير محتاج وإن كَثُر مالُه، فطالب الآخرةِ قَدْ جَمَعَ بين الدُّنيا والآخرة؛ فإنَّ المطلوب مِنْ جمعِ المال؛ الرَّاحة في الدُّنيا، وقدْ حصلتْ لطالب الآخرةِ، وطالبُ الدُّنيا قَدْ خَسِرَ الدُّنيا والآخرة؛ لأنَّه في الدُّنيا في تعبٍ شديدٍ في طلبها، فأيُّ فائدةٍ له في المال إذا فاتت الرَّاحة(١).

- في الحديث تصحيح للمفاهيم، وأنَّ الجزاء مِنْ جِنْسِ العَمَل، وهذا واضحٌ في التَّقابُلِ والمطابقةِ الَّتي جاء بها، فقوله: ((**جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِه**)) مقابل لقوله: ((**جَعَلَ اللهُ الفقرَ بين عَيْنَيه**))؛ لأنَّ الأوَّل أقبلَ على الله سبحانه وتَعَالى، فأغناه وأشبعَه وقَذَفَ في قلبِه الغِنَى وإنْ قلَّ المال في يَدِه، والثَّاني انهمَكَ على الدُّنيا فراحَ يطلبها ويسعى لها سعْيرها، فُعوقب أنْ لا يجد كفايته وإن امتلأت خزائنه، وقوله: ((**جَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ**)) مقابل قوله: ((**شتَّت عليه أمره**))؛ لأنَّ الأول أقبل على الله، ومَنْ أقبَل على الله فهو حسبه، بخلاف الأول، ظنَّ بماله خيرًا، فعوقب بأن يترك إلى نفسه، فتبعثرت أمورُه، وفسدت معيشتُه، وقوله: ((**وأتَتهُ الدُّنيا وهي راغِمَة**)) مقابل قوله: ((**ولا يَأتِيْه مِنْهَا إلا مَا كُتِبَ له**))، فالأول أتاه ما كُتِبَ له مِنَ الدُّنيا وهي راغمة؛ لأنَّها تطلبه ولا يطلبها، والثَّاني: أتاه ما كُتِبَ له مِنَ الدُّنيا وهو راغم؛ لأنَّ تعب فيها(٢).

- يشير الحديث إلى أنَّ الغنى الحقيقي هو غنى القلب الَّذي يقذفه الله في طلاب الدَّار الآخرة، وأنَّ الفقرَ الحقيقي هو مَنْ أقبلَ على الدُّنيا الفانية الزَّائلة، مُدبرًا عَن الآخرة الباقية، فهذا هو الفقر الحقيقي والغنى الحقيقي، وإذا كان هذا غنى مَنْ كانت الآخرة أَكبر همِّه فكيف مَنْ كان الله أكبر همِّه، فهذا من باب التَّنبيه والأَولى(٣).

---

(١) ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه عقيب حديث(٤١٠٥).

(٢) ينظر: شرح المشكاة؛ للطيبي١١/٣٣٧٢.

(٣) ينظر: طريق الهجرتين؛ لابن القيم: ٤٧. وينظر بلا بدَّ: عدة الصابرين؛ له١٨٨، فقد تكلم عن ذلك بكلام نفيس جدًا.

باب: قوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((إنَّما الغِنَى غِنَى القَلب))

٩٨. عن أَبي ذرٍّ، قال: قَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: ((**يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى؟**))، قلتُ: نعم يا رسول الله، قال: ((**فَتَرَى قِلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ؟**))، قلتُ: نعم يا رسول الله، قال: ((**إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ**))، ثمَّ سألني عن رجلٍ من قريشٍ، فقال: هل تعرفُ فُلانًا؟، قلت: نعمْ يا رسولَ الله، قال: ((**فَكَيْفَ تَرَاهُ أَوْ تَرَاهُ؟**))، قلت: إذا سأَل أُعطيَ، وإذا حضر أُدخل، ثمَّ سألني عن رجُلٍ منْ أَهل الصُّفَّة، فقال: ((**هَلْ تَعْرِفُ فُلَانًا؟**))، قلتُ: لا والله، ما أَعرفهُ يا رسول الله، قال: فما زال يُحلِّيهُ، ويَنْعَتُهُ حتَّى عرفتُهُ، فقلتُ: قدْ عرفتُهُ يا رسول الله، قال: ((**فَكَيْفَ تَرَاهُ أَوْ تَرَاهُ؟**))، قلتُ: رجلٌ مسكِينٌ من أَهلِ الصُّفَّة، فقال: ((**هُوَ خَيْرٌ مِنْ طِلَاعِ الْأَرْضِ مِنْ الْآخَرِ**))، قلتُ: يا رسول الله، أَفلا يُعطى من بعضِ ما يُعطى الآخرُ؟ فقال: ((**إِذَا أَعْطِيَ خيرًا فَهُوَ أَهْلُهُ، وَإِنْ صُرِفَ عَنْهُ فَقَدْ أُعْطِيَ حَسَنَةً**))[١].

● **ما يستفاد من الحديث:**

– يُبيِّن لنا النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم حقيقة الغنى وحقيقة الفَقْر، فالغنيُّ هو مَنْ أغنى الله قلبَه وإن لم يكن له إلا قوت يومِهِ، والفقيرُ مَنْ أفقرَ اللهُ قلبَه وإنْ ملك الدُّنيا كلَّها، قَالَ تَعَالَى: {**وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى**}[٢]: أي فقيرًا فأغناك بالرضى والقناعة بِما أَعطاك[٣]، وغنى القلب غنًى عن الشَّيء، والغني عَن الدُّنيا أتمُّ مِنَ الغنى بالدُّنيا[٤]، وقد قيل: مَنْ عَدِم القناعة لم يفدهُ المال غنىً[٥]؛ لأنَّ كثيرًا ممَّن وسَّع الله عليه في المالِ لا يَقْنع بما أُوتي، فهُوَ يجتهدُ في الازديادِ ولا يبالي مِنْ أينَ يأتيه، فكأنَّه فقيرٌ؛ لشدَّة حرصِه، وإنَّما حقيقةُ الغنى غنى النَّفس، وهو مَن استغنى بما أوتي، وقنع به

---

(١) أخرجه: النسائي في الكبرى(١١٧٨٥)، والطبراني في الكبير(١٦٤٣)، وفي الشاميين؛ له(٢٠٢٠)، وصححه ابن حبان(٦٨٥)، والحاكم(٧٩٢٩).

(٢) سورة الضحى، الآية: ٨.

(٣) وهذا الوجه رجَّحه جمعٌ من المفسرين.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات؛ للقشيري٢/٦٠٩.

(٥) تفسير الآلوسي١٥/٣٨٢.

ورضي ولم يحرصْ على الازدياد، ولا ألحَّ في الطَّلب، فكَأنَّه غنيٌّ، فالغنى النَّافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النَّفس، وبيانه أنَّه إذا استغنتْ نفسُه كفَّت عَن المطامِع، فعزَّت وعظُمَت، وحصل لها مِنَ الحظوةِ والنَّزاهة والشَّرف والمدح أكثر مِنَ الغنى الَّذي يناله مَنْ يكون فقير النَّفس؛ لحرصه، فإنَّه يورِّطه في رذائل الأمورِ وخسائس الأفعال؛ لدناءة همَّته وبخله، ويكثر مَنْ يذمُّه مِنَ النَّاس، ويصغر قَدْرُه عندهم، فيكون أحقرَ مِنْ كلِّ حقيرٍ، وأذلَّ مِنْ كلِّ ذليلٍ، والحاصل أنَّ المتَّصف بغنى النَّفس يكون قانعًا بما رزقَه اللهُ، لا يحرصُ على الازدياد لغير حاجةٍ، ولا يلحُّ في الطَّلب، ولا يلحَفُ في السُّؤال، بل يرضَى بما قسم الله له، فكأنَّه واجدٌ أبدًا، والمتَّصف بفقرِ النَّفس على الضدِّ منه؛ لكونه لا يقنع بما أعْطِي، بل هو أبدًا في طلب الازديادِ مِنْ أي وجهٍ أمكنَه، ثمَّ إذا فاتَه المطلوب حَزِن وأسِفَ، فكأنَّه فقيرٌ مِنَ المال؛ لأنَّه لم يستغنِ بما أُعطِي، فكأنَّه ليس بغني، ثمَّ غنى النَّفس إنَّما ينشأ عن الرضى بقضاء الله تَعَالى، والتَّسليم لأمره، علمًا بأنَّ الَّذي عند الله خير وأبقى، فهو معرِضٌ عَنِ الحرصِ والطَّلب، وما أحسن قول القائل: غَنى النَّفس ما يكفيك مِنْ سَدِّ حاجة، فإنْ زاد شيئًا عاد ذاك الغنى فقرًا. وإنَّما يحصل غنى النَّفس بغنى القلب، بأنْ يفتقِرَ إلى ربِّه في جميع أموره، فيتحقَّق أنَّه المعطي المانِع، فيرضى بقضائِه ويشكره على نعمَائِه، ويفزع إليه في كشف ضرائِه، فينشأ عَنِ افتقار القلب لربِّه غنى نَفْسه عَنْ غير ربِّه تَعَالى [1].

---

(١) ينظر: فتح الباري١١/٢٧٣.

بابُ: مَنْ تفرَّغ لِعِبَادَةِ الله مَلأ اللهُ قَلْبَه غِنَى

٩٩. عن مَعْقِل بنِ يسارٍ رضي الله عنه، قال: قَالَ رسول الله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**قَالَ رَبُّكُمْ تَعَالى: ابْنَ آدَمَ**[١] **تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ قَلْبَكَ غِنًى، وَامْلَأْ يَدَيْكَ رِزْقًا، ابْنَ آدَمَ لَا تَبَاعَدْ عَنِّي فَأَمْلَأْ قَلْبَكَ فَقْرًا، وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ شُغْلًا**»[٢].

● **ما يستفادُ من الحديث:**

- في الحديث نداءٌ وأمرٌ وحثٌّ مِنَ الله لعباده على أنْ يفرِّغوا قلوبَهم إلى عبادته، بتحقيق كمال العبوديَّة له؛ لأنَّه المورث إلى غنى قلبيٍّ، وغنى ماديٍّ، فقوله: «**تَفَرَّغ لعبادَتي**» أي: بالغ في فراغ قلبِكَ لعبادةِ ربِّك واقتصر عَن اكْتِساب ما يزيد على الكِفَاية[٣]، «**أمْلأ قَلْبَكَ غِنَى**» أي: أحسن قلبك علومًا ومعارف تورث الغنى عَنْ غيرِ المَوْلَى، وهو الغنى الحقيقي، «**وأملأ يدك رِزْقًا**» أي: وأسدُّ باب حاجتِك إلى النَّاس، وإلَّا تفعل تُحرم مِنْ غنى القلب ولا تُسدُّ الفَقْر؛ لترك عبادة الرَّب، لأنَّ النَّاس فقراءٌ على الإطلاق، فتزيد فقرًا إلى فقرِكَ[٤]، وتُتْعِب نَفْسكَ بكثرة التَّردد في طلب المال، ولا تَنال إلا ما قَدَّرتُ لك مِنَ المال في الآزالِ، مع بقاء القلبِ مُلتهبًا على الدُّنيا غير بالغٍ منها أمله؛ كون الفَقْر نُصْب عيني العَبْدِ لا يُفَارُقه، ولولا سَكْرة عشَّاق الدُّنيا بحبِّها لاستغاثوا

---

(١) جاء في مرقاة المفاتيح٨/٣٢٣٨: «خص بالنداء؛ لأنَّه عمدة العابدين، وأضيف إلى آدم؛ إشعارًا بأنَّه يتبعه في مرتبة التائبين».

(٢) أخرجه: الطبراني في الكبير(٥٠٠)، وصححه الحاكم في المستدرك(٧٩٢٦)، وأعلَّه أبو نعيم في الحلية٢/٣٠٣، وهو الصواب، وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه: أحمد(٨٦٩٦)، وابن ماجه(٤١٠٧)، والترمذي(٢٤٦٦)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ»، وصححه ابن حبَّان(٣٩٣)، والحاكم(٣٦٥٧). والصواب ضعفه. ينظر: العلل؛ للدارقطني(١٥٩٦)، والعلل المتناهية؛ لابن الجوزي(١٣٤٠).

(٣) ينظر: فيض القدير٣/٣٠٨.

(٤) ينظر: التَّيسير بشرح الجامع الصغير١/٢٧٥.

مِنْ هذا العذاب، على أنَّ أكثرهم لا يزال يشكو أو يصرُخ منه، فهو بين همٍّ لازمٍ، وتعبٍ دائمٍ، وحسرةٍ لا تنقضي[١].

باب: الحَذَر مِنْ زَيْغِ القَلْب بَعْد مَعْرِفَته

١٠٠. عن أَبِي الدَّرداء، قال: خرجَ علينا رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، ونحن نذكرُ الفقرَ ونتخوَّفُهُ، فقال: ((**آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيهْ، وَايْمُ اللَّهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**)). قَالَ أَبو الدَّرداء: صدق واللَّه رسول اللَّه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، تركنا واللَّه على مثل البيضاء، ليلُها ونهارُها سوَاءٌ[٢].

- **ما يستفاد من الحديث:**

- ظاهر سياق الحديث أنَّ هذا بيان لحال القلوب، لا لحالة الملة، والمعنى تركتُكم عَلَى قُلوبٍ هي مِثَل الأرضِ البيضاء ليلًا ونهارًا، ويحتمل أنْ يكونَ لفظ المثل مُقْحَمًا، والمعنى على قلوبٍ بيضاءَ نقيَّة عَنِ الميل إلى البَاطِلِ، لا يميلها عَنِ الإقبالِ عَنِ الله تَعَالى السَّراء والضَّراء[٣].

---

(١) ينظر: إغاثة اللهفان: ٣٧، ومرقاة المفاتيح٨/٣٢٣٨.

تكملةٌ: قَالَ العلامة المناوي طيب الله ثراه في فيض القدير٢/٣٠٨: (قَالَ العلائي: أمر الله في هذا الخبر بالتفرغ لعبادته، ومن جملة ذلك أن لا يكون في القلب شاغلٌ عن الإقبال على طاعته، وقد صرح المصطفى صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم في غير ما خبر بأنَّ الفراغ من النعم الَّتي لا يليق إهمالها. قَالَ ابن عطاء الله: فرغ قلبك من الأغبار يملأه من المعارف والأسرار، ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوًا بصور الآثار، فارتحلت من حيث نزلت لا تستنبط منه النوال، ولكن استنبط من نفسك وجود الإقبال، وقال: الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثمَّ لا تتوجه إليه، ويقل عوائقك ثمَّ لا ترحل إليه).

(٢) أخرجه: ابن ماجه(٥)، وحسَّنه البزار(٤١٤١)، وله عدَّة شواهد.

(٣) ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه١/٦.

- في الحديث تحذير مِنَ الدُّنيا؛ لأنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم خرج عليهم وهم يتذاكرون الفَقْر، فراح يُبشِّرهم بما ستُفتح الدُّنيا لهم، ثمَّ حَذرهُم أنَّ بعض القلوب تزيغ بسب الدُّنيا[١]، ودلالة هذا واضحة[٢] في قوله صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: «**فَوَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»[٣]، لذلك كان الصحابة يخافون من الفتح أكثر من الفقر، لذا لما أُتِي عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ رضي اللَّه عنه يومًا بطعامِهِ، قَالَ: قُتِلَ مصعبُ بنُ عميْرٍ وكان خيْرًا منِّي، فلمْ يُوجدْ لهُ ما يُكَفَّنُ فيه إِلَّا بُرْدةٌ، وقُتِلَ حمزةُ وَهو خَيْرٌ مِنِّي، فلمْ يُوجدْ لهُ ما يُكَفَّنُ فيه إِلَّا بُرْدَةٌ، لقدْ حشيتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عُجِّلتْ لنا طَيِّبَاتُنَا في حياتِنا الدُّنْيَا ثُمَّ جَعَل يَبْكِي[٤]!

ربَّما قال الذي قاله وما قُدِّم إلا صنفين اثنين، وهو أحد العشرة المبشَّرة بالجنَّة، فما نقول نحنُ وقد أغرقنا في هذه النِّعم التي لا تحصى! فاللهمَّ ارزقنا شكر نعمك، وتجاوز عن تقصيرنا، ولا تفتنَّا، واختم بالصَّالحات آجلنا، ربَّاه لا تقبض أرواحنا حتى ترانا أهلًا لرحمتك ودخول جنَّتك، فوالله لا نقوى على نارك وعذابك، ربَّاه أنت غني عن عذابنا ونحن فقراء إلى جنَّتك.

---

(١) ينظر: شرح سنن ابن ماجه؛ للراجحي ٣/١.

(٢) وينظر: الزهد والورع والعبادة؛ لابن تيمية ٣٨.

(٣) أخرجه: البخاري(٤٠١٥)، واللفظ له، ومسلم(٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه.

(٤) أخرجه: البخاري(١٢٧٤).

الخاتمة

الحمد لله عَودًا على بَدْءٍ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبيِّ الأوَّل قَدْرًا، الخاتمِ مَبْعثًا، أطْهَرِ الآدميينَ قَلبًا، وأزكَاهم نَفْسًا، وأذْكَاهم عَقْلًا، وأرْفَعهم ذِكْرًا، سيِّدنا وحبِيْبِنَا محمَّدٍ صلَّى الله عليه وعلى آلهِ وَصَحْبِه وسلَّم تَسْليمًا كثيرًا مُباركًا.

وبعد: فقدْ مَنَّ الله عليَّ بإتمام هذه الرِّسالة المباركة، وقد قضَّيت معها بعض الشُّهور، وكان العملُ فيها مُباركًا، جعلها اللهُ حُجَّة لي لا عَليَّ، ونفعَ اللهُ بها قارئها وناظرها، ويسَّر نشرها، ورزقها القَبُول في الأرضِ، والقَبُولَ عِنْدَه، ولا حرمني الله أجرَ مدادهِا، وحسْبِي أنِّي قَصَدْتُ فيها نَصِيْحةً لهذه الأمَّة المحمَّديَّة على نبيِّها أفضل الصَّلاة وأزكى التَّحيَّة، ولسْتُ أزعم فيها تَجْدِيدًا ولا تحريرًا، ولا سَبْقًا، بل ولا تأليفًا بالمعنى الحقيقي، وإنَّما هي جمعٌ للخواطرٌ، وَلَمٌّ لشتات ما تفرَّق مِنْ كَلَامِ أهلِ العِلم وتقْييده في مَوضعٍ واحدٍ. والله وحَدَه المقصُود، وهو حَسْبي ونعم الوَكِيْل.

وليُعْلم إنِّي لم أقيِّد فيها النَّتائج المتوصَّل إليها لأمورٍ: مِنْهَا: أنَّ هذه الرِّسالة مصنَّفة على غير الجادَّة الأكاديميَّة. وأيضًا: تعدُّ التبويبات حمَّالة لمجمل الأمور التي جاءت في الرِّسالة، وقد ذكرتها مع تتمة الموضوعات في فِهْرسَتْ المحتويات المفصَّل.

هذا، وَما كَان فِيهَا مِنْ صَوابٍ فَمِنَ الله وحْدَه، وَمَا كانَ فيها مِنْ خَطأ أوْ سَهْوٍ أوْ نِسْيانٍ، فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيطان، واللهُ ورسولهُ وأهلُ العلم منه بُراء، وآخر دَعْوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد، وعلى آله وصحبه وسلِّم .

ثَبَتُ المصادرِ والمراجع

١. أحاديث معلَّة ظاهرها الصحة؛ لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الآثار ط. الثانية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٢. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام؛ لتقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى : ٧٠٢هـ)، المحقق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٣. إحياء علوم الدين؛ لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

٤. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري؛ لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبي العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط. السابعة، ١٣٢٣هـ، عدد الأجزاء: ١٠.

٥. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار؛ لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ٣٦٨هـ، ٤٦٣هـ، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار قتيبة، دمشق، ط. الأولى ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ٢٧ مجلد.

٦. الإشراف في منازل الأشراف؛ لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: د. نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط. الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٧. اعتلال القلوب؛ لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: حمدي الدمرداش، نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط. الثانية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٨. إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان؛ لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، حققه: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط. الأولى، ١٤٣٢هـ، عدد الأجزاء: ٢.

٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم؛ لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط. السابعة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٢.

١٠. إِكمال المعلِم بفوائد مسلم؛ لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبي الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء، مصر، ط. الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٨.

١١. أمالي ابن بشران؛ لأبي القاسم عبد الملك بن محمد بن محمد بن عبد الله بن بشْران بن محمد بن بشْران بن مهران البغدادي (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

١٢. الأمثال في الحديث النبوي؛ لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، المحقق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية، الهند، ط. الثانية، ١٤٠٨هـ،١٩٨٧م.

١٣. الإيمان؛ لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط. الخامسة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١٤. بدائع الفوائد؛ لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، المحقق : علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، عدد الأجزاء: ٥.

١٥. بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب؛ منسوبة لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي(المتوفى ٣٢٠هـ)، تحقيق: يوسف مرعي، مؤسسة آل البيت، عمان الأردن، ٢٠٠٩م.

١٦. تاج العروس من جواهر القاموس؛ لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٧. التاريخ الكبير؛ لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبي عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، ط. دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، عدد الأجزاء: ٨.

١٨. التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير؛ لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، (المتوفى: ١١٨٢هـ)، المحقق: محمد صبحي بن حَسَن حَلّاق، مكتبةُ الرُّشد، الرياض، السعودية، ط. الأولى، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، عدد الأجزاء: ٧.

١٩. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف؛ لعبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبي محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٧هـ، عدد الأجزاء: ٤.

٢٠. تفسير ابن باديس؛ لعبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ)، المحقق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط. الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٢١. تفسير القرآن العظيم؛ لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي سلامة، دار طيبة، ط. الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٨.

٢٢. تفسير القرآن العظيم؛ لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط. الثالثة١٤١٩هـ.

٢٣. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج؛ للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط. الثانية، ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: ٣٠.

٢٤. تفسير آيات أشكلت؛ لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، المحقق: عبد العزيز بن محمد الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢.

٢٥. تفسير روح البيان؛ لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي، عدد الأجزاء: ١٠.

٢٦. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد؛ لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ، عدد الأجزاء: ٢٤.

٢٧. التَّنوير شرح الجامع الصَّغير؛ لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبي إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، المحقق: د. محمَّد إسحاق، دار السلام، الرياض، ط. الأولى، ١٤٣٢ هـ، ٢٠١١م، عدد الأجزاء: ١١.

٢٨. تهذيب اللغة؛ لأبي محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.

٢٩. التوضيح لشرح الجامع الصحيح؛ لابن الملقن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط. الأولى، ١٤٢٩هـ،٢٠٠٨م، عدد الأجزاء: ٣٦.

٣٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان؛ لعبد الرحمن بن ناصر السعدي(المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م.

٣١. التيسير بشرح الجامع الصغير؛ لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط. الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٢.

٣٢. جامع الترمذي؛ لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط. الثانية، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

٣٣. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم؛ لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. السابعة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣٤. الجامع لأحكام القرآن؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط. ١٤٢٣، هـ ٢٠٠٣م.

٣٥. الجهاد لابن المبارك؛ لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ)، تحقيق: د. نزيه حماد، الدار التونسية، تونس، ١٩٧٢م.

٣٦. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي؛ لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار المعرفة، المغرب، ط. الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٣٧. حسن التنبه لما ورد في التشبه؛ لنجم الدين الغزي، محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي (المولود بدمشق سنة ٩٧٧ هـ، والمتوفى بها سنة ١٠٦١ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط. الأولى، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، عدد الأجزاء: ١٢.

٣٨. الحسنة والسيئة؛ لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء؛ لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م، دار الكتاب العربي، بيروت، (طبعة ١٤٠٩هـ)، عدد الأجزاء: ١٠.

٤٠. درء تعارض العقل والنقل؛ لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)

٤١. الدعاء؛ لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٣هـ.

٤٢. الدعوات الكبير؛ لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبي بكر البيهقي (المتوفى:٤٥٨هـ)، المحقق: بدر بن عبد الله البدر، دار غراس، الكويت، ط. الأولى، ٢٠٠٩م، عدد الأجزاء: ٢.

٤٣. ذخيرة العقبى في شرح المجتبى؛ لمحمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، دار المعراج الدولية، ط. الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٤٢.

٤٤. الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق؛ لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي(المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط. الأولى ١٤٢٩هـ.

٤٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: ١٦.

٤٦. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة؛ لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٤٧. روضة المحبين ونزهة المشتاقين؛ لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٤٨. زاد المعاد في هدي خير العباد؛ لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت،ط. السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ،١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٥.

٤٩. الزهد والورع والعبادة؛ لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: حماد سلامة، محمد عويضة، مكتبة المنار، الأردن، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ.

٥٠. السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير؛ للشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي، عدد الأجزاء: ٤.

٥١. سنن ابن ماجه؛ لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب، عدد الأجزاء: ٢.

٥٢. السنن الكبرى؛ لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، المحقق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١٠.

٥٣. سنن النسائي؛ لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٨.

٥٤. سنن سعيد بن منصور؛ لأبي عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الجوزجاني(المتوفى: ٢٢٧هـ)، المحقق: د. سعد آل حميد، دار العصيمي، الرياض، ط. الأولى ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ٥.

٥٥. سير أعلام النبلاء؛ لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(المتوفى: ٧٤٨هـ)، مجموعة من المحققين، الرسالة، ط. الثالثة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ٢٥.

٥٦. شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية؛ لتقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ)، مؤسسة الريان، ط. السادسة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٥٧. شرح الإلمام بأحاديث الأحكام؛ لتقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢ هـ)، تحقيق: محمد خلوف العبد الله، دار النوادر، سوريا، ط. الثانية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، عدد الأجزاء: ٥.

٥٨. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك؛ لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، (المتوفى ١١٢٢هـ)، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

٥٩. شرح سنن ابن ماجه؛ لعبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

٦٠. شرح سنن أبي داود؛ لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٧.

٦١. شرح صحيح البخاري؛ لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي، المحقق: ياسر بن إبراهيم، إبراهيم الصبيحي، مكتبة الرشد، عدد المجلدات: ١١.

٦٢. شرح مشكل الآثار؛ لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى١٤١٥هـ، ١٤٩٤م، عدد الأجزاء: ١٦.

٦٣. شعب الإيمان؛ لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٠هـ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، عدد الأجزاء : ٧.

٦٤. الشمائل المحمدية؛ لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٥. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان؛ لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ١٨.

٦٦. صيد الخاطر؛ لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، ط. الأولى،١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٦٧. الضعفاء؛ لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العُقَيلي، (المتوفى: ٣٢٢هـ)، المحقق: مازن السرساوي، دار ابن عباس، مصر، ط. الثانية، ٢٠٠٨م، عدد الأجزاء: ٦.

٦٨. طرح التثريب في شرح التقريب؛ لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر العراقي(المتوفى: ٨٠٦هـ)، إحياء التراث العربي، عدد الأجزاء: ٨.

٦٩. طريق الهجرتين وباب السعادتين؛ لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط. الثانية، ١٣٩٤هـ.

٧٠. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين؛ لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، السعودية، ط. الثالثة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٧١. علل الدارقطني؛ لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى : ٣٨٥هـ)، تحقيق: د. علي الصياح.

٧٢. علل الكبير؛ لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، رتبه على كتب الجامع: أبو طالب القاضي، المحقق: صبحي السامرائي وآخرون، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ.

٧٣. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية؛ لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١٤٠٣هـ، تحقيق: خليل الميس، عدد الأجزاء: ٢.

٧٤. العلل الواردة في الأحاديث النبوية؛ لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، الرياض، ط. الأولى ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٧٥. العلل؛ لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د. سعد بن عبد الله الحميد و د. خالد الجريسي، مطابع الحميضي، ط. الأولى، ١٤٢٧هـ، عدد الأجزاء: ٧.

٧٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري؛ لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفي العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، إحياء التراث العربي، بيروت، عدد الأجزاء: ١٢.

٧٧. عون المعبود شرح سنن أبي داود؛ لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبي عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثانية، ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: ١٤.

٧٨. العين؛ لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.

٧٩. غريب الحديث؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، المحقق: د. حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، عدد الأجزاء: ٥.

٨٠. الفائق في غريب الحديث والأثر؛ لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط. الثانية، عدد الأجزاء: ٤.

٨١. فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، اعتنى به: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: ١٣.

٨٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط. الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٨٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط. الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٨٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل؛ لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٣.

٨٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير؛ لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط. الأولى، ١٣٥٦هـ، عدد الأجزاء: ٦.

٨٦. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد؛ لمحمد بن علي بن عطية الحارثي، أبي طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ٢.

٨٧. قوت المغتذي على جامع الترمذي؛ لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ، عدد الأجزاء: ٢.

٨٨. القيامة الصغرى؛ لعمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس، الأردن، مكتبة الفلاح، الكويت، ط. الرابعة، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٨٩. الكاشف عن حقائق السنن، المشهور بشرح المشكاة؛ لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٧هـ،١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١٣.

٩٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين؛ لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، عدد الأجزاء: ٤.

٩١. كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه؛ لمحمد بن عبد الهادي التتوي، أبي الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، دار الجيل، بيروت.

٩٢. لسان العرب؛ لمحمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط. الثالثة - ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ١٥.

٩٣. لطائف الإشارات؛ تفسير القشيري؛ لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط. الثالثة.

٩٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد؛ لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ١٠.

٩٥. مجمل اللغة؛ لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٢.

٩٦. مجموع الفتاوى؛ لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٩٧. مختار الصحاح؛ لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ط. الخامسة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٩٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الثالثة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢.

٩٩. مراتب الكمال بدين الله الإسلام؛ للشيخ عباس فاضل الحسني، مؤسسة الضحى، كركوك.

١٠٠. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؛ لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الجامعة السلفية، بنارس الهند، ط. الثالثة١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٠١. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؛ لعلي بن سلطان محمد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٩.

١٠٢. مساوئ الأخلاق ومذمومها؛ لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)،تحقيق: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، ط. الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٠٣. المستدرك على الصحيحين؛ لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١١هـ، عدد الأجزاء: ٤.

١٠٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل؛ لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

١٠٥. مسند البزار؛ لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: مجموعة من الباحثين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط. الأولى، عدد الأجزاء: ١٨.

١٠٦. مسند الدارمي؛ لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، السعودية، ط. الأولى، ١٤١٢هـ، ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٤.

١٠٧. مسند الشهاب؛ لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٢.

١٠٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، عدد الأجزاء: ٥.

١٠٩. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود؛ لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية، حلب، ط. الأولى ١٣٥١هـ، ١٩٣٢م.

١١٠. المعجم الأوسط؛ لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠.

١١١. المعجم الصغير؛ لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ٢.

١١٢. معجم الفروق اللغوية؛ لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط. الأولى، ١٤١٢هـ.

١١٣. المعجم الكبير؛ لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط. الثانية، عدد الأجزاء:٢٥.

١١٤. معجم مقاييس اللغة؛ لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام هارون، دار الفكر، عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦.

١١٥. مفاتيح الغيب، وهو التفسير الكبير؛ لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الثالثة١٤٢٠هـ.

١١٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة؛ لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٧. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم؛ لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٦٥٦هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٧.

١١٨. المنتقى شرح الموطأ؛ لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، ط. الأولى، ١٣٣٢هـ، عدد الأجزاء: ٧.

١١٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج؛ لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الثانية، ١٣٩٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.

١٢٠. ميزان الاعتدال في نقد الرجال؛ لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط. الأولى، ١٣٨٢هـ، ١٩٦٣م، عدد الأجزاء: ٤.

١٢١. ميزان الاعتدال لحفظ الدين والأحوال(المحبوبات)؛ للشيخ عباس السيد فاضل الحسني، ط. الأولى، دار الرسالة، العراق، سامراء، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٧.

١٢٢. ميزان الاعتدال لحفظ الدين والأحوال(المقربات)؛ للشيخ عباس السيد فاضل الحسني، ط. الثانية، دار الرسالة، العراق، سامراء، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦.

١٢٣. النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

١٢٤. الهم والحزن؛ لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: مجدي فتحي السيد، دار السلام، القاهرة، ط. الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

١٢٥. الوابل الصيب من الكلم الطيب؛ لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط. الثالثة، ١٩٩٩م.

فهرست المحتويات

تمَّ بحمد الله تعالى